

الفتوحات القُروية في شرح المقررة الأخرسية

تأليف

العارف بالله تعالى
سيري أبي القبايل أحمد بن عجيبة الحسيني
المتوفى ١٢٢٤ هـ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

اعتنى بجمعه وتقديمه

الأستاذ عبد السلام العمراني الخالدي

الْفُتُوحَاتُ الْقُدُوسِيَّةُ فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ

تأليف
العارف بالله تعالى
سيد أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسيني
المتوفى ١٢٢٤ هـ

اعتنى بجمعه وتقريره
الأستاذ عبد السلام المرافئ الخالدي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah

DKI

أسستها في بيروت سنة 1971 هـ
Est. by Mohammed Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohammed Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : الفتوحات القدوسية

في شرح المقدمة الأجرومية

Title : AL-FUTUHAT AL-QUDDUSIYYAH

FI SHARH AL-MUQADDIMAH AL-AJRUMIYYAH

التصنيف : نحو

Classification: Syntax

المؤلف : أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني (ت 1224 هـ)

Author : Sidi Ahmad ben Ajiba Al-Hassani (D.1224H.)

المحقق : عبد السلام المزراحي الخالدي

Editor : Abdus-Salam Al-Imrani Al-Khalidi

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات : 224

قياس الصفحات : 17x24 cm

سنة الطباعة : 2015 A.D - 1436 H.

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الثانية

Edition : 2^e

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamed Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Qusbbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Saloh Beirut 1107 2290

هرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
ماتف : +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس : +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
مربع ١١-٩٤٢٤
بيروت-لبنان
رقعتي المصحح-هرمون ١١-٧٢٢٩٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف وجيز بسيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحابه أجمعين.

وبعد، فإن العارف بالله تعالى المحقق البارز القُدَّ أبا العباس سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي الحسني - المزداد بقرية خميس أنجرة الواقعة بين طنجة وتطوان، عام 1160 أو 1161 هجرية - هو الإمام العارف بالله تعالى ومن أبرز أقطاب التصوف المغربي.

ألف نحو الأربعين في الشريعة والحقيقة، نذكر من مؤلفاته تفسيره للقرآن العظيم بالعبارة والإشارة الذي سمّاه: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؛ ثم شرّحه للفتاحة الكبير، الذي أطلق عليه نفس الاسم، وإيقاظ الهمم في شرح الحكيم، والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، وشرحه لخمريّة ابن الفارض، ولنوثة الإمام الششتري، ولتأثية شيخه سيدي محمد البوزيدي الحسني، وللصلاة المشيشية، ثم هذا الشرح الذي سمّاه «الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية» وهو الذي بين يدي القارئ، وقد سبق أن نشرناه بكامله لأول مرة سنة 1420 هـ الموافق لسنة 1999 م ولكن مع الأسف الشديد بأخطاء ونواقص كثيرة، وها نحن نعيد طبعه طبعةً مراجعةً معتمدين فيها خاصة على مخطوط جيّد يرجع لسنة 1287، وقد ذكر الناسخ في آخره ما يلي: «بلغت مقابله من الأصل المخرج من مبيضة مؤلفه رضي الله عنه جهد الاستطاعة، فالحمد لله والشكر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله»، ولذلك يبدو لنا أنه مخطوط أحق بالاعتماد عليه. وقد أضفنا إليه تعريف موجز بالأعلام المذكورة في الشرح اعتماداً على: كتاب الأعلام للزركلي، وسلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتّاني، ونشر المثنائي لمحمد بن الطيب القادري، وموسوعة أعلام المغرب بتنسيق وتحقيق محمد حجي، وتاريخ النحو العربي في

المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد أباه.

والذي جعل سيدي أحمد بن عجيبة يؤلف هذا التأليف النفيس هو الربط بين اللسان والجنان، فصلاح اللسان من صلاح الجنان، لأنه مرهون بصلاح القلب، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يستقيم المرء حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه». وبما أن علم النحو يُصلح اللسان، وعلم التصوف يُصلح القلب والجنان، جعله يجمع بينهما. فأهل الظاهر يُرَكِّزون على النحو لإصلاح اللسان، وأهل الباطن يُرَكِّزون على علم القلوب لإصلاح الجنان، وقد سموا علم النحو الإشاري بعلم المحو، لأنه يمحي من القلوب كل القبائح والعيوب، ولذا قال رضي الله عنه: «ثم يجب عليه بعد إصلاح لسانه إصلاح عقله وجنانه بتصفيته من الرذائل، وتحليته بأنواع الفضائل، ليتأهل بذلك قلبه لإشراق أنوار حقيقة التوحيد وأسرار التفريد، فأصلاح اللسان كمال دون كمال لأنه يحتاج إلى إصلاح الجنان».

توفي - رضي الله عنه - عام 1224 هـ، وضريحه الأنور بقرية الزميج الأنجربة، على بُعد عشرين كيلومتراً من مدينة طنجة.

أما صاحب الأجرومية فهو سيدي محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجرؤم، النحوي المقرئ، ولد بفاس سنة 672 هـ. ألف مقدمته وهي صغيرة الحجم ولكن كُتِبَ لها أن تعم الخافقين وأن تنال من الشهرة والذيع ما نالته خلاصة ابن مالك لأنها شملت ما يعرف من النحو ضرورة لجميع الدارسين، و عدد الذين شرحوها أو نظموها يفوق المائة. له كذلك «فرائد المعاني في شرح حرز الأمان» في مجلدين ويعرف بشرح الشاطبية، وله مصنفات أخرى و أراجيز. توفي بفاس سنة 723 هـ.

جامعه ومقدمه

عبد السلام العمراني الخالدي

متن الأجرومية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْبِ الرَّحْمَةِ

الْكَلَامُ هُوَ اللَّفْظُ الْمُرَكَّبُ الْمُفِيدُ بِالْوَضْعِ، وَأَقْسَامُهُ ثَلَاثَةٌ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى.

فَالِاسْمُ يُعْرَفُ بِالْخَفْضِ وَالتَّنْوِينِ، وَدُخُولِ الْآلِفِ وَاللَّامِ، وَحُرُوفِ الْخَفْضِ وَهِيَ: مِنْ، وَإِلَى، رَعْنُ، وَعَلَى، وَفِي، وَرُبُّ، وَالْبَاءُ، وَالْكَافُ، وَاللَّامُ، وَحُرُوفِ الْقَسَمِ وَهِيَ: الْوَائُ، وَالْبَاءُ، وَالنَّاءُ.

وَالْفِعْلُ يُعْرَفُ بِقَدْ، وَالسَّيْنِ، وَسَوْفَ، وَتَاءِ التَّانِيثِ السَّائِكَةِ.

وَالْحَرْفُ مَا لَا يَضْلُحُ مَعَهُ دَلِيلُ الْاسْمِ وَلَا دَلِيلُ الْفِعْلِ.

بَابُ الْإِعْرَابِ

الْإِعْرَابُ: هُوَ تَغْيِيرُ أَوَاجِرِ الْكَلِمِ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا.

وَأَقْسَامُهُ أَرْبَعَةٌ: رَفْعٌ، وَنَصْبٌ، وَخَفْضٌ، وَجَزْمٌ، فَلِلْأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ: الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ، وَالْخَفْضُ وَلَا جَزْمَ فِيهَا. وَلِلْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ: الرَّفْعُ، وَالنَّصْبُ، وَالْجَزْمُ وَلَا خَفْضَ فِيهَا.

بَابُ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الْإِعْرَابِ

لِلرَّفْعِ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ: الضَّمَّةُ، وَالْوَاوُ، وَالْآلِفُ، وَالتَّوْنُ.

فَأَمَّا الضَّمَّةُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْإِسْمِ الْمُفْرَدِ، وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ، وَالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِأَخْبَرِهِ شَيْءٌ.

وَأَمَّا الْوَائُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ: فِي جَمْعِ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ، وَفِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ وَهِيَ: أَبُوكَ، وَأَخُوكَ، وَحُمُوكَ، وَفُوكَ، وَذُو مَالٍ.

وَأَمَّا الْآلِفُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي ثَلَاثَةِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً.

وَأَمَّا التَّوْنُ فَتَكُونُ عَلَامَةٌ لِلرَّفْعِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ إِذَا اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرُ تَثْنِيَّةٍ، أَوْ ضَمِيرُ جَمْعٍ، أَوْ ضَمِيرُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ.

وَلِلنَّصْبِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ: الْفَتْحَةُ، وَالْأَلِفُ، وَالْكَسْرَةُ، وَالْيَاءُ، وَحَذْفُ التَّوْنِ. فَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْأِسْمِ الْمُفْرَدِ، وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَفِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ.

وَأَمَّا الْأَلِفُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ نَحْوُ: رَأَيْتُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ.

وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي التَّثْنِيَةِ وَ الْجَمْعِ.

وَأَمَّا حَذْفُ التَّوْنِ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي رَفَعَهَا بِثَبَاتِ التَّوْنِ.

وَلِللْخَفْضِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: الْكَسْرَةُ، وَالْيَاءُ، وَالْفَتْحَةُ، فَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْأِسْمِ الْمُفْرَدِ الْمُتَصَرِّفِ، وَ فِي جَمْعِ التَّكْسِيرِ الْمُتَصَرِّفِ، وَ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ. وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، وَ فِي التَّثْنِيَةِ وَ الْجَمْعِ. وَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْخَفْضِ فِي الْأِسْمِ الَّذِي لَا يَنْتَصِرِفُ. وَلِلجَزْمِ عَلَامَتَانِ: السُّكُونُ، وَالْحَذْفُ، فَأَمَّا السُّكُونُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الصَّحِيحِ الْآخِرِ، وَأَمَّا الْحَذْفُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلْجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُعْتَلِّ الْآخِرِ وَفِي الْأَفْعَالِ الَّتِي رَفَعَهَا بِثَبَاتِ التَّوْنِ.

فصل

الْمُعَرَّبَاتِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعَرَّبُ بِالْحَرَكَاتِ، وَقِسْمٌ يُعَرَّبُ بِالْحُرُوفِ.

فَالَّذِي يُعَرَّبُ بِالْحَرَكَاتِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: الْأِسْمُ الْمُفْرَدُ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ، وَفِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ، وَكُلُّهَا تُرْفَعُ بِالصُّمَّةِ، وَتُنْصَبُ بِالْفَتْحَةِ، وَتُخَفَّضُ بِالْكَسْرَةِ، وَتُجْزَمُ بِالسُّكُونِ، وَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: جَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ يُنْصَبُ بِالْكَسْرَةِ، وَالْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْتَصِرِفُ يُخَفَّضُ بِالْفَتْحَةِ، وَفِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُعْتَلِّ الْآخِرِ يُجْزَمُ بِحَذْفِ آخِرِهِ.

وَالَّذِي يُعَرَّبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: التَّثْنِيَّةُ، وَجَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ، وَالْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ، وَالْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ، وَهِيَ: يَفْعَلَانِ، وَتَفْعَلَانِ، وَيَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلِينَ، فَأَمَّا التَّثْنِيَّةُ فَتُرْفَعُ بِالْأَلِفِ وَتُنْصَبُ وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ، وَأَمَّا جَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ، فَيُرْفَعُ بِالْوَاوِ وَتُنْصَبُ وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ، وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ فَتُرْفَعُ بِالتَّوْنِ

بَابُ الْأَفْعَالِ

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ

بَابُ الْفَاعِلِ

وَالْمُضْمَرُ نَحْوُ قَوْلِكَ: ضَرَبْتُ، وَضَرَبْنَا، وَضَرَبْتَ، وَضَرَبْتُمْ، وَضَرَبْتُمَا، وَضَرَبْتُمْ، وَضَرَبْتُنَّ، وَضَرَبَ، وَضَرَبْتَ، وَضَرَبْنَا، وَضَرَبُوا، وَضَرَبِينَ، وَالْمِنْفَصِلُ اثْنَا عَشَرَ.

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ

وهو الاسم المرفوع الذي لم يذكر معه فاعله، فإن كان الفعل ماضياً ضمَّ أوله وكسراً ما قبل آخره، وإن كان مضارعاً ضمَّ أوله وفتح ما قبل آخره، وهو على قسمين: ظاهر ومضمر، فالظاهر نحو قولك: ضرب زيد، ويضرب زيد، وأكرم عمرو، ويكرم عمرو، والمضمر اثنا عشر نحو قولك: ضربت، وضربنا، وضربت، وضربتم، وضربتما، وضربتن، وضرب، وضربت، وضربنا، وضربوا، وضربن.

بَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

المبتدأ هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية. والخبر هو الاسم المرفوع المسند إليه، نحو قولك: زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون.

والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره، والمضمر اثنا عشر، وهي: أنا، ونحن، وأنت، وأنت، وأنتم، وأنتن، وهو، وهي، وهما، وهم، وهن، نحو قولك: أنا قائم، ونحن قائمون، وما أشبه ذلك.

والخبر قسمان: مفرد، وغير مفرد، فالمفرد نحو: زيد قائم، وغير المفرد أربعة أشياء: الجار والمجرور، والظرف، والفعل مع فاعله، والمبتدأ مع خبره، نحو قولك: زيد في الدار، وزيد عندك، وزيد قام أبوه، وزيد جاريتُه ذاهبة.

بَابُ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

وهي ثلاثة أشياء: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظننت وأخواتها.

فأما كان وأخواتها فإنها ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي: كان، وأمسى، وأصبح، وأضحى، وظل، وبات، وصار، وليس، وما زال، وما انفك، وما فتىء، وما برح، وما دام، وما تصرف منها نحو: كان ويكون وكن، وأصبح ويصبح وأصبح. تقول: كان زيد قائماً، وليس عمرو شاحصاً، وما أشبه ذلك.

وأما إن وأخواتها فإنها تنصب الاسم وترفع الخبر، وهي: إن، وأن، وكأن، ولكن، وليت، ولعل. تقول: إن زيدا قائم، وليت عمراً شاحص، وما أشبه ذلك، ومعنى إن وأن للتوكيد، وكأن للتشبيه، ولكن للاستعلاء، وليت للتمني، ولعل للترجي والتوقع.

وَأَمَّا ظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا فَإِنَّهَا تَنْصِبُ الْمُبْتَدَأَ وَالْخَبَرَ عَلَى أَنْهُمَا مَفْعُولَانِ لَهَا، وَهِيَ ظَنَنْتُ، وَحَسِبْتُ، وَخَلْتُ، وَزَعَمْتُ، وَرَأَيْتُ، وَعَلِمْتُ، وَوَجَدْتُ، وَاتَّخَذْتُ، وَسَمِعْتُ، تَقُولُ: ظَنَنْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، وَخَلْتُ عَمْرًا شَاحِصًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

بَابُ النَّعْتِ

النَّعْتُ تَابِعٌ لِلْمَنْعُوتِ فِي رَفْعِهِ، وَنَصْبِهِ، وَخَفْضِهِ، وَتَعْرِيفِهِ، وَتَنْكِيرِهِ، تَقُولُ: جَاءَ زَيْدٌ الْعَاقِلُ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا الْعَاقِلَ، وَمَرَزْتُ بِزَيْدِ الْعَاقِلِ، وَالْمَعْرِفَةُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: الْأِسْمُ الْمُضْمَرُّ، نَحْوُ: أَنَا، وَأَنْتَ. وَالْأِسْمُ الْعَلَمُ، نَحْوُ: زَيْدٌ وَمَكَّةُ. وَالْأِسْمُ الْمُبْتَهَمُ، نَحْوُ: هَذَا وَهَلِ هَذَا وَهَؤُلَاءِ. وَالْأِسْمُ الَّذِي فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، نَحْوُ: الرَّجُلُ وَالْعَلَامُ. وَمَا أَضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ. وَالتَّنْكِيرُ: كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ فِي جَنْبِهِ لَا يَخْتَصُّ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ. وَتَقْرِيبُهُ: كُلُّ مَا صَلَحَ دُخُولُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ.

بَابُ الْعَظْفِ

وَحُرُوفُ الْعَظْفِ عَشْرَةٌ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْفَاءُ، وَثَمَّ، وَأَوَّ، وَأَمَّ، وَإِمَّا، وَبَلَّ، وَلَا، وَلَكِنْ، وَحَتَّى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَإِنَّ عَظْفَتْ بِهَا عَلَى مَرْفُوعٍ رَفَعَتْ، أَوْ عَلَى مَنْصُوبٍ نَصَبَتْ، أَوْ عَلَى مَنْخَفُوضٍ خَفَضَتْ، أَوْ عَلَى مَجْزُومٍ جَزَمَتْ. تَقُولُ: قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرُوا، وَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمَرُوا، وَمَرَزْتُ بِزَيْدٍ وَعَمَرُوا، وَزَيْدٌ لَمْ يَقُمْ وَلَمْ يَقْعُدْ.

بَابُ التَّوَكِيدِ

التَّوَكِيدُ تَابِعٌ لِلْمُؤَكِّدِ فِي رَفْعِهِ، وَنَصْبِهِ، وَخَفْضِهِ، وَتَعْرِيفِهِ، وَيَكُونُ بِالْفَائِظِ مَعْلُومَةً، وَهِيَ: النَّفْسُ، وَالْعَيْنُ، وَكُلُّ، وَأَجْمَعُ، وَتَوَائِعُ أَجْمَعُ، وَهِيَ: أَكْتَعُ وَابْتَعُ وَابْتَصَعُ، تَقُولُ: قَامَ زَيْدٌ نَفْسُهُ، وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ، وَمَرَزْتُ بِالْقَوْمِ أَجْمَعِينَ.

بَابُ الْبَدَلِ

إِذَا أَبْدِلَ اسْمٌ مِنْ اسْمٍ، أَوْ فِعْلٌ مِنْ فِعْلٍ تَبِعَهُ فِي جَمِيعِ إِغْرَابِهِ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَبَدَلُ الْأَشْتِمَالِ، وَبَدَلُ الْعَلْطِ. نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ أَخُوكَ، وَأَكَلْتُ الرُّغِيفَ ثَلَاثَةً، وَتَقَعَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا الْفَرَسَ، أَرَدْتُ أَنْ تَقُولَ الْفَرَسَ فَعَلِظْتَ فَأَبْدَلْتَ زَيْدًا مِنْهُ.

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشْرَ، وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمُضَدَّرُ، وَظَرْفُ الزَّمَانِ، وَظَرْفُ الْمَكَانِ، وَالْحَالُ، وَالْتَمِيزُ، وَالْمُسْتَنَى، وَاسْمُ لَا، وَالْمُنَادَى، وَالْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ، وَخَبَرُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، وَاسْمُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، وَالتَّابِعُ لِلْمَنْصُوبِ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التَّنْعُ وَالْعَطْفُ وَالتَّوَكِيدُ وَالْبَدَلُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ، نَحْوُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ. وَهُوَ قِسْمَانِ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، فَالظَّاهِرُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَالْمُضْمَرُ قِسْمَانِ: مُتَّصِلٌ، وَمُنْفَصِلٌ، فَالْمُتَّصِلُ اثْنَا عَشَرَ وَهِيَ: ضَرَبْتَنِي، وَضَرَبْتَا، وَضَرَبْتَكَ، وَضَرَبْتُكَمَا، وَضَرَبْتُكُمْ، وَضَرَبْتُكُنَّ، وَضَرَبْتَهُ، وَضَرَبْتَهُمَا، وَضَرَبْتَهُنَّ، وَضَرَبْتُنَّ. وَالْمُنْفَصِلُ اثْنَا عَشَرَ، وَهِيَ: إِيَّايَ، وَإِيَّانَا، وَإِيَّاكَ، وَإِيَّاكِ، وَإِيَّاكُمَا، وَإِيَّاكُنَّ، وَإِيَّاهُ، وَإِيَّاهَا، وَإِيَّاهُمَا، وَإِيَّاهُنَّ.

بَابُ الْمَضْدَرِ

الْمَضْدَرُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَجِيءُ ثَالِثًا فِي تَضْرِيْفِ الْفِعْلِ، نَحْوُ: ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: لَفْظِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ، فَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ فِعْلِهِ فَهُوَ لَفْظِيٌّ نَحْوُ: قَتَلْتُهُ قَتْلًا، وَإِنْ وَافَقَ مَعْنَى فِعْلِهِ دُونَ لَفْظِهِ فَهُوَ مَعْنَوِيٌّ نَحْوُ: جَلَسْتُ قُعُودًا، وَقُمْتُ وَقُوفًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ

ظَرْفُ الزَّمَانِ هُوَ اسْمُ الزَّمَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ فِي، نَحْوُ: الْيَوْمَ، وَاللَّيْلَةَ، وَغَدُوًّا، وَبُكْرَةً، وَسَحْرًا، وَغَدًا، وَعَتَمَةً، وَصَبَاحًا، وَمَسَاءً، وَأَبَدًا، وَأَمَدًا، وَجِيْنًا، [وَوَقْتًا] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَظَرْفُ الْمَكَانِ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ فِي، نَحْوُ: أَمَامَ، وَخَلْفَ، وَقُدَّامَ، وَوَرَاءَ، وَقَوْقَ، وَتَحْتَ، وَعِنْدَ، وَمَعَ، وَإِزَاءَ، وَجِدَاءَ، وَتِلْقَاءَ، وَهَنًا، وَثَمَّ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

بَابُ الْحَالِ

الْحَالُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسَّرُ لِمَا أَنْبَهَمَ مِنَ الْهَيْئَاتِ نَحْوُ قَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ

رَاكِبًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ مُسْرَجًا، وَلَقِيتُ عَبْدَ اللّٰهِ رَاكِبًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَلَا يَكُونُ الْحَالُ إِلَّا نَكْرَةً وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ، وَلَا يَكُونُ صَاحِبَهَا إِلَّا مَعْرِفَةً.

بَابُ التَّمْيِيزِ

التَّمْيِيزُ هُوَ الْإِسْمُ الْمُنْصُوبُ الْمَقْسَرُ لِمَا انْتَبَهَ مِنَ الذَّوَاتِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: تَضَيَّبَ زَيْدٌ عَرَقًا، وَتَفَقَّأَ بَكْرٌ شَحْمًا، وَطَابَ مُحَمَّدٌ نَفْسًا، وَاشْتَرَيْتُ عَشْرِينَ غَلَامًا، وَمَلَكَتُ يَسْمِينَ نَعَجَةً، وَزَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبًا، وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا. وَلَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ إِلَّا نَكْرَةً، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ.

بَابُ الْإِسْتِثْنَاءِ

وَحُرُوفُ الْإِسْتِثْنَاءِ ثَمَانِيَّةٌ، وَهِيَ: إِلَّا، وَغَيْرُ، وَسِوَى، وَسِوَاءَ، وَخَلَا، وَعَدَا، وَخَاشَا. فَالْمُسْتَثْنَى بِإِلَّا يُنْصَبُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُوجِبًا تَامًا، نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا عَمْرًا، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مَتَفِيًا تَامًا جَازَ فِيهِ الْبَدَلُ وَالنَّصْبُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ وَإِلَّا زَيْدًا. وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ نَاقِصًا كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَوَامِلِ، نَحْوُ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا ضَرَبْتَ إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَزْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ. وَالْمُسْتَثْنَى بِغَيْرِ، وَسِوَى، وَسِوَاءَ مَجْرُورٌ لَا غَيْرُ. وَالْمُسْتَثْنَى بِخَلَا، وَعَدَا، وَخَاشَا، يَجُوزُ نَصْبُهُ وَجَرَّةً، نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ خَلَا زَيْدًا وَزَيْدًا، وَعَدَا عَمْرًا وَعَمْرًا، وَخَاشَا بَكْرًا وَبَكْرًا.

بَابُ لَا

اعْلَمْ أَنَّ لَا تُنْصَبُ النِّكَرَاتُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إِذَا بَاشَرَتْ النِّكَرَةَ وَلَمْ تَتَكَرَّرْ لَا، نَحْوُ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ، فَإِنْ لَمْ تَبَاشِرْهَا وَجَبَ الرَّفْعُ وَوَجَبَ تَكَرُّارُ لَا، نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ، فَإِنْ تَكَرَّرَتْ لَا جَازَ إِعْمَالُهَا وَالْعَاوُفَا، فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ.

بَابُ الْمُتَادِي

الْمُتَادِي خَمْسَةٌ أَنْوَاعٌ: الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنِّكَرَةُ الْمَقْصُودَةُ، وَالنِّكَرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ، وَالْمُضَافُ، وَالْمُسَبَّبُ بِالْمُضَافِ. فَأَمَّا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ وَالنِّكَرَةُ الْمَقْصُودَةُ فَيَتَّبَعَانِ عَلَى:

الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، نَحْوُ: يَا زَيْدُ وَيَا رَجُلًا. وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لَا غَيْرُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ بَيَانًا لِسَبَبِ وَقُوعِ الْفِعْلِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ إِجْلَالًا لِعَمْرٍو، وَقَصْدُكَ ابْتِغَاءَ مَعْرِفَتِكَ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ

هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ لِبَيَانِ مَنْ فُعِلَ مَعَهُ الْفِعْلُ نَحْوُ قَوْلِكَ: جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ، وَاسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ. وَأَمَّا خَبَرُ كَانَ وَأَخَوَاتُهَا وَاسْمُ إِنَّ وَأَخَوَاتُهَا، فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا فِي الْمَرْفُوعَاتِ، وَكَذَلِكَ التَّوَابِعُ فَقَدْ تَقَدَّمَتْ هُنَاكَ.

بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ

الْمَخْفُوضَاتُ ثَلَاثَةٌ: مَخْفُوضٌ بِالْحَرْفِ، وَمَخْفُوضٌ بِالإِضَاقَةِ، وَتَابِعٌ لِلْمَخْفُوضِ. فَأَمَّا الْمَخْفُوضُ بِالْحَرْفِ فَهُوَ مَا يُخَفِّضُ بِمَنْ، وَإِلَى، وَعَنْ، وَعَلَى، وَفِي، وَرُبِّ، [وَالْبَاءِ]، وَالْكَافِ، وَاللَّامِ. وَيَحْرُوفِ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْبَاءُ، وَالشَّاءُ. وَبِوَاوِ رَبِّ وَيَمْدُ وَمُنْدُ.

وَأَمَّا مَا يُخَفِّضُ بِالإِضَاقَةِ، فَنَحْوُ قَوْلِكَ: غُلَامُ زَيْدٍ، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يُقَدَّرُ بِاللَّامِ وَمَا يُقَدَّرُ بِمَنْ. فَالَّذِي يُقَدَّرُ بِاللَّامِ، نَحْوُ: غُلَامُ زَيْدٍ وَالَّذِي يُقَدَّرُ بِمَنْ، نَحْوُ: ثَوْبُ خَزٍّ، وَيَابُ سَاجٍ، وَخَاتَمُ حَدِيدٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْفُتُوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةِ فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ

مقدمة المؤلف رضي الله عنه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَفَضَّلَهُ بِالْعَقْلِ
وَالْمَعْرِفَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَكْوَانِ، ثُمَّ خَصَّ الْعَرَبَ الْعَارِبَةَ بِالْبَرَاغَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفَصَاحَةِ
اللِّسَانِ، فَأَنْزَلَ عَلَى لِسَانِهَا وَمَحَاوَرَةِ كَلَامِهَا الْقُرْآنَ، فَأَعْجَزَ بِبَلَاغَتِهِ وَبَرَاغَتِهِ الْإِنْسَ
وَالْجَانَّ، وَأَخْرَسَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ فُرْسَانَ الْبَرَاغَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ
عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ سَوَابِغِ الْإِحْسَانِ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً
أَهْلُ الدُّوْقِ وَالْعِيَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، قُطِبَ دَائِرَةُ الزَّمَانِ،
وَأَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالْحَقِّ وَالتَّبَيَّانِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعِثْرَتِهِ وَأَخْرَابِهِ
الَّذِينَ أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَأَشْرَقَ بِهِمْ أَنْوَارَ الْإِيمَانِ وَشُمُوسَ الْعِرْقَانِ.

وَبَعْدُ: فَأَهْمُ مَا يَغْتَنِي بِهِ الْإِنْسَانُ بَعْدَ إِصْلَاحِ دِينِهِ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ،
إِصْلَاحُ لِسَانِهِ مِنَ اللَّحَنِ فِي الْكَلَامِ، وَذَلِكَ بِالتَّغْلُغِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ، إِذْ بِذَلِكَ
يَتَقَوَّى عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ،
الَّذَانِ بِهِمَا قَامَ الدِّينَ، وَاشْتَقَرَّ بَقَاؤُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْلَا هَذَا الْعِلْمُ الشَّرِيفُ لَدَخَلَ
فِي السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ التَّغْيِيرُ وَالتَّحْرِيفُ، وَلَوْ قَعَّ الْحَلَلُ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ،
فَتَعَيَّنَ جِفْظُ هَذَا الْعِلْمِ وَتَحْصِيلُهُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ لَيْسَب. ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ إِصْلَاحِ
لِسَانِهِ، إِصْلَاحُ عَقْلِهِ وَجَنَانِهِ بِتَصْنِيفِهِ مِنَ الرَّدَائِلِ، وَتَحْلِيلِهِ بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ لِيَتَأَهَّلَ بِذَلِكَ
قَلْبُهُ لِإِشْرَاقِ أَنْوَارِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ. فإِصْلَاحُ اللِّسَانِ كَمَالٌ دُونَ كَمَالٍ،
وَإِصْلَاحُهُمَا مَعًا كَمَالُ الْكَمَالِ. وَلِلَّهِ دَرُ سَيِّوِيُو⁽¹⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ:

(1) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر الملقب بسيويه: إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. ولد في
إحدى قرى شيراز سنة 148 و قدم البصرة فلزم الخليل بن أحمد و صنف كتابه المسمى كتاب
سيويه في النحو، لم يُصنَع قبله و لا بعده مثله. و رحل إلى بغداد فناظر الكسائي. و عاد إلى
الأمواز و توفي بها شاباً سنة 180.

لِسَانٌ فَصِيحٌ مُغْرِبٌ فِي كَلَامِهِ قِيَا لَيْتَهُ مِنْ خَسْرَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ
وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَقَى وَمَا ضَرُّ دَا تَقْوَى لِسَانٌ مُفْجِعٌ

وقال الشيخ الصالح الفقيه الميموني⁽¹⁾ رضي الله عنه: «وأقبح من القبيح أن يتعلم الإنسان أو يعلم إصلاح اللسان ولا يتعلم أو يعلم إصلاح القلب الذي هو محل الرب».

فالنحو على قسمين، نحو لسان الفم، ونحو القلب، ومعرفة نحو القلب عند العقلاء أكد وأنفع من معرفة اللسان بدليل أننا نجد من لا يُحَسِّنُ التَّلَفُّظَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فَيَلْحَنَ فِي كَلَامِهِ برفع المنصوب ونصب المرفوع، ويكون في حاله متخلِّفاً بالكتاب والسنة، والتخلُّق بالكتاب والسنة هو النحو القلبي، فهذا مرضي عند الله ورسوله، ويوجد نحوي لسان الفم غير متخلِّق بالكتاب والسنة، وهذا هو الغالب في زماننا هذا، وهذا مذموم عند الله ورسوله. ولذلك قال (ص): «فَسَاقُ أُمَّتِي قُرَآئُهَا». وقال أيضاً: «العلم علمان، علم اللسان فذلك حُجَّةُ الله على ابن آدم، وعلم القلب فذلك العلم النافع». وعلم القلب هو اليقين الكبير، ومعرفة الله بنعت العيان وهو النحو القلبي وهو فرض عين على كل مسلم، أغني علاج القلب من الأمراض كحب الدنيا الذي هو رأس الخطايا، وهم الرزق، وخوف الخلق، وغير ذلك من الأمراض التي تعوق عن معرفة الحق وشهوده. وهذا النحو القلبي تسميه الصوفية: المَخَوُّ بِالْمِيمِ لأنه يمحو من القلب كل ما سوى الله. وهذا العلم هو مَحْطٌ رِخَالِهِمْ وَمَجَالُ أَفْكَارِهِمْ، قد استغنوا به عن جميع العلوم.

قيل للولي الكبير سيدي أحمد بن موسى⁽²⁾ رضي الله عنه: هل قرأت شيئاً من النُّحُو؟

فقال: «قرأت بَيِّنِينَ مِنَ الْأَلْفِيَّةِ، قوله: فما لنا إلا أتباع أحمد، وقوله: فما أبيع أفعُل ودع ما لم يَبَّعْ».

وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقنا مولاي العربي⁽³⁾ رضي الله عنه: «ما عَرَفْتُ مِنْ

(1) إبراهيم بن شمس الدين محمد بن عيسى، أبو إسحاق الميموني المصري الشافعي: الشيخ المعقولي الباني كما وصفه صاحب نشر الماثني. ولد بمصر سنة 991 وتوفي بها سنة 1079 له تصانيف منها: حاشية على تفسير البيضاوي، والعطايا الرحمانية بحل رموز المواهب اللدنية، وتهته الإسلام ببناء بيت الله الحرام، كتبه على إثر سقوط جانب من البيت الحرام سنة 1039.

(2) أحمد بن موسى الجزولي السملالي أبو العباس نزيل تازروالت بالسوس الأقصى، الشيخ الجليل الشهير، الولي الكبير، من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع دفين مراكش، توفي سنة 971.

(3) مولاي العربي بن أحمد الحسني الإدريسي الزروالي الشهير بالدرقاوي، الولي الشهير، مؤسس =

النَّحْوِ إِلَّا إِعْرَابَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) : إِنْ شَرَطَ، وَيُغْنِهِمْ جَوَابَ الشَّرْطِ، وَالْمُرَادُ بِالْغِنَى الْغِنَى الْأَكْبَرُ، فَيَكُونُ خُطَابًا لِلْمُتَوَجِّهِينَ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ.

وَأَجَلَ مَا صُنِّفَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ لِلْمُبْتَدِي وَفُتِحَ بِهِ عَلَى الْمُنْتَهَى : الْمَقْدَمَةُ الْأَجْرُومِيَّةُ، الْمُبَارَكَةُ الْمَيْمُونَةُ. فَقَدْ عَمَّ نَفْعُهَا الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَتَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ كُلُّ سَائِلِكٍ وَطَالِبٍ، فَذَلِكَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّةِ مُؤَلِّفِهَا وَصِلَاحِهِ. وَقَدْ أَرَدْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ أَنْ أَضَعَ عَلَيْهَا شَرْحًا مُتَوَسِّطًا، مُتَوَشِّحًا بِنُكَيْتٍ عَجِيبَةٍ قُلْتُ أَنْ تَوْجَدَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَطْوَلَاتِ، وَإِشَارَاتٍ صَوْفِيَّةٍ غَرِيبَةٍ، قُلْتُ أَنْ يَغْوِضَ عَلَيْهَا مَنْ لَهُ شَأْنٌ فِي عِلْمِ الْأَذْوَاقِ وَالْإِشَارَاتِ.

وَسَمَّيْتُهِ الْقُتُوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةَ فِي شَرْحِ الْمُقَدَّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ. وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَنْبَغِي الشُّرُوعُ فِيهِ، حَتَّى يَعْلَمَ الْخَائِضُ فِيهِ حَدَّهُ وَمَوْضُوعَهُ وَوَاضِعَهُ وَاسْتِمْدَادَهُ وَسَائِرَ مَبَادِئِهِ الْعَشْرَةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْفَقِيهَ الْعَالِمَ الْمُحَرَّرَ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ زُكْرِي التَّلْمَسَانِي^(٢) بِقَوْلِهِ :

وَالْأَسْمَ الْإِسْتِمْدَادَ حَكَمَ الشَّارِعُ	الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الْوَاضِعُ
وَنَسَبَةَ فَائِدَةٍ جَلِيلَةٍ	تَصَوُّرُ الْمَسَائِلِ الْفَضِيلَةِ
بِفَهْمِ ذِي الْعَشْرَةِ مَيِّزُهَا يُنِيطُ	حَقُّ عَلَى طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يُحِيطُ

أَمَّا حَدُّهُ : فَهُوَ عِلْمٌ يُسْتَخْرَجُ بِالْمَقَائِيسِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ اسْتِقْرَاءِ كَلَامِ الْعَرَبِ، أَوْ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَخْوَالُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ إِعْرَابًا وَبِنَاءً.

وَمَوْضُوعُهُ : الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ، الْأَسْمُ وَالْفِعْلُ وَالْحَرْفُ ؛ لِأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْهَا مِنْ حَيْثُ إِعْرَابُهَا وَبِنَاؤُهَا وَإِفْرَادُهَا وَتَرْكِيبُهَا.

الطريقة الدرقاوية. ولد بعد 1150 ببني زروال وتوفي بها عام 1239. تفقه وتصوف بفاس. أخذ عن جماعة من الأولياء وحمدته منهم الشيخ مولاي علي العمراني الملقب بالجمل. قبل خلف نحو أربعين ألف تلميذ منهم أكابر الشيوخ العارفين مثل محمد البوزيدي ومحمد الحراقي وعبد الواحد الدباغ وأحمد البدوي زويتن وأبو يعزى المهاجي ومحمد ظافر المدني وغيرهم كثير. له رسائل إلى أصحابه جمعت في حياته.

(1) التَّوْر : الآية 32.

(2) أبو العباس أحمد بن الشيخ محمد بن زكري المانوي المغمري التلمساني، توفي سنة 899 هـ فقيه أصولي يباني، نشأ يتيمًا وتعلم الحياكة فاستأجر للعمل بنصف دينار في الشهر، فرآه العلامة ابن زاغو فأعجبه ذكائه، فسأله عن ولني أمره فقال آتي، فذهب إليها وتعهده بأن يعطيها في كل شهر نصف دينار وأن يفقه ولدها ويؤدبه، فرفضت، واستمر إلى أن نبغ واشتهر. من كتبه : مسائل القضاء والفتيا، وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب.

وواضعه: أمير المؤمنين سَيِّدُنَا عَلِيٌّ⁽¹⁾ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، بِسَبَبِ شَكْوَى أَبِي الْأَسود الدُّؤَلِي⁽²⁾ لَخَنَ بَنَاتِيُو فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الْأَسود، اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الكلمة: اسمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ، فالاسم ما أَنبَأَ عن المُسَمَّى، والفعل ما أَنبَأَ عن حركة المُسَمَّى، والحرف مُوَصِّلٌ بينهما، وَاَنْحَ على هذا النَّحْوِ، أي انسج على هذا الشُّبْهِ. ولهذا سُمِّيَ علم النحو؛ وهو من إطلاق لفظ المُضَدِّرِ على المفعول، فالتنحو بمعنى المَنَحْوِ، كالتَّسْجِ بِمَعْنَى التَّنْسُوجِ. وأَعْلَمُ أَنَّ إعراب الكلام كان للعرب سَجِيَّةً لا يَقْدِرُونَ على اللَّحْنِ. فلما ظَهَرَ الإسلامُ وَنَكَّحَتِ الصَّحَابَةُ بَنَاتِ الْعَجَمِ اختلطت الأَلْسُنُ، فَكَادَتِ الْعَرَبِيَّةُ تَتَلَاشَى، فَوَضَعَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عِلْمَ النَّحْوِ. وقال الفخر الرازي⁽³⁾ في كتابه المحرَّر في علم النحو: «رَسَمَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لأبي الْأَسود بابَ إِنَّ، وبابَ الإِضَافَةِ، وبابَ الإِمَالَةِ. ثم صَنَّفَ أَبُو الْأَسود بابَ العطف، وبابَ التَّنْفِثِ، ثم صَنَّفَ بابَ التعجب، وبابَ الاستفهام». وقيل: وَاَضِيعَهُ أَبُو الْأَسود من غَيْرِ واسِطَةٍ. وقيل: أولُ مَنْ وَضَعَهُ نصر بن عاصم، وقيل: عبد الرحمن بن مُرْمَزٍ، والمشهورُ الأول. وتَقَدَّمَ وَجْهُ تَسْمِيَّتِهِ بِالنَّحْوِ. والمُتَّصِفُ بِهِ نَحْوِيٌّ، وَيُجْمَعُ على نَحْوِيِّينَ. وأما نُحَاةُ فجمع ناحٍ، كقاضي وقضاة.

وَاسْتِمْدَادُهُ: من كَلَامِ الْعَرَبِ نَقْلًا وَثَرًّا.

وَحُكْمُهُ فَرَضُ كَفَايَةٍ؛ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِحِفْظِ الْعِلْمِ وَمِفْتَاحُهُ، إِلَّا مَنْ تَضَدَّى لِتَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَلَامِ رَسُولِهِ (ص)، فَيَكُونُ فِي حَقِّهِ فَرَضٌ عَيْنٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ». وَالْجَاهِلُ مُلْحَقٌ بِالْعَامِدِ فِي كَثِيرٍ مِنْ

(1) تَرى الإمام علي بن أبي طالب في مدرسة القرآن والبلاغة النبوية، وَاَكْبَ نَزُولِ الْقُرْآنِ وَ عَرَفَ فِيهِ نَزْلَ، وَأَيَّنَ نَزْلَ، وَكَيْفَ نَزْلَ، وَاهْتَمَّ بِجَمْعِهِ فَكَانَ لَهُ مَصْحَفُهُ وَقِرَائَتُهُ. وَ مَلَازِمَتُهُ لِلرَّسُولِ (ص) جَعَلَتْهُ يَسْتَقِي مَنَابِيعَ اللُّغَةِ مِنْ أَوْتِي جَوَامِعِ الْكَلِمِ.

(2) ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَفْيَانَ بْنِ جَنْدَلٍ أَبُو الْأَسود الدُّؤَلِي الكِنَانِي: وَاضَعَ عِلْمَ النَّحْوِ، كَانَ مَعْدُودًا مِنْ الْفُقَهَاءِ وَالْأَعْيَانِ وَالْأَمْرَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْفُرْسَانِ وَالْحَاضِرِيِّ الْجَوَابِ، مِنْ التَّابِعِينَ. أَوَّلُ مِنْ نَقَطَ الْمَصْحَفَ. تَوَفَّى سَنَةَ 69 هـ.

(3) مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّيْمِيِّ الْبَكْرِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي: الْإِمَامُ الْمَفْسِّرُ. أَوْحَدَ زَمَانَهُ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَعِلُومِ الْأَوَائِلِ. وَهُوَ قُرَشِي النِّسْبِ أَصْلُهُ مِنْ طَبْرِسْتَانَ وَ مَوْلَدُهُ فِي الرَّيِّ سَنَةَ 544 هـ. لَهُ عِدَّةُ كُتُبٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ وَ كَانَ وَاعِظًا بَارِعًا بِاللُّغَتَيْنِ. تَوَفَّى سَنَةَ 606. مِنْ كُتُبِهِ: مِفْتَاحُ الْغَيْبِ فِي التَّفْسِيرِ، لَوَامِعُ الْبَيِّنَاتِ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَ الصِّفَاتِ، مَعَالِمُ أَصُولِ الدِّينِ، مُحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَ الْمُتَكَلِّمِينَ، أَسْرَارُ التَّنْزِيلِ، أَنْمُودِجُ الْعِلُومِ، السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي مَخَاطِبَةِ النُّجُومِ، الْأَرْبَعُونَ فِي أَصُولِ الدِّينِ، كِتَابُ الْهِنْدِيَّةِ.

الأحكام. وقال الإمام الرازي في المحصول⁽¹⁾: «اعلم أن معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض عين لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع، ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيل، فلا بد من معرفة أدلتها، والأدلة راجعة للكتاب والسنة، وهما وإردان بلفظ العرب، فقد توقف علم الأحكام على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو، وما يتوقف عليه الواجب المطلق فهو واجب». وقال عز الدين بن عبد السلام⁽²⁾: «من أنواع الواجبات، الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم كلام الله وكلام رسوله (ص). وذلك لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب».

وتصور مسائله: هي معرفة كَوْنِ الفاعِل مرفوعاً، والمفعول منصوباً، والمضارع مُعْرَباً، والماضي والأمر مَبْنِيَّانِ، والضمير لا يعود على ما بعده إلا في مسائل. وقس على هذا من قواعد.

وفصيلته: معرفة كلام الله وكلام رسوله (ص)، وصَوْنُهُمَا مِنَ اللَّحْنِ والتحرّيف. وتَاهِيكَ به شرفاً، فقد قال عليه السلام: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي قَوَاعَهَا وَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا، قَرُبَ مُبْلَغُ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ». ومعنى نَضَرَ: حَسَنَ وَبَهَجَ.

وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «إعراب القرآن أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ». وعن عمر رضي الله عنه: «تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ». وعن علي رضي الله عنه:

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ وَالْمَرْءُ تُعَظَّمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلَهَا مِنْهَا مَقِيمُ الْأَلْسَنِ

وكان عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن. وعن الحسن البصري⁽³⁾ رضي الله عنه: «مَنْ لَحَنَ فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ». وقال أبو حيان⁽⁴⁾ في

(1) كتاب المحصول في علم الأصول.

(2) عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، شيخ القرافي وابن دقيق العيد وغيرهما. توفي سنة 660.

(3) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، من التابعين، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة سنة 21 هـ وشب في كنف علي بن أبي طالب. سكن البصرة وعظمت هيئته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة. توفي بالبصرة سنة 110.

(4) محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية =

نصيدة له بعد كلام:

وَقَدْ قُصِّرَتْ أَغْمَارُنَا وَعِلْمُونَا يَطُولُ عَلَيْنَا حَصْرُهَا وَنُكَابُهَا
وَفِي كُلِّهَا خَيْرٌ وَلَكِنْ أَصْلُهَا هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْ مِنْ جَهُولِ يُعَايِدُهَا
بِهِ يُعْرِفُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الَّتِي هُمَا أَصْلُ دِينِ اللَّهِ ذُو أَنْتَ عَابِدُهَا
وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ⁽¹⁾ فِي أَوَّلِ تَحْفَتِهِ:

وَبَعْدُ فَالْجَاهِلُ بِالنَّحْوِ اخْتَفَر إِذْ كُلُّ عِلْمٍ قَالَيْنِو يَفْتَقِر
وَقَالَ السَّيْوَطِيُّ⁽²⁾ فِي الْفَيْتَةِ:

النَّحْوُ خَيْرٌ مَا بِهِ الْمَرَّةُ عُنِي إِذْ لَيْسَ عِلْمٌ عَنْهُ حَقًّا يَفْتَنِي
وَقَالَ آخَرُ:

لَوْ تَعَلَّمَ الطَّيْرُ مَا فِي النَّحْوِ مِنْ أَدَبٍ لَفَنَّتْ وَرَنَّتْ عَلَيْهِ بِالمَنَاقِبِ
وَقَالَ آخَرُ:

ارْكَبْ جَوَادَ النَّحْوِ ثُمَّ لِيَكُنْ لَكَ عَلَى الْمَنْطِقِ إِكْبَابُ
تَفَلَّسَفَ ثُمَّ تَصَوَّفَ فَلَيْسَ إِلَّا لِلْعِلْمِ مِنْهُمَا بَابُ

ونسبته من العلوم الجزئية لأنه جزئي لَهَا وآلة توصل إليها، وَلَا عِلْمٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ كَمَالاً أَوْ شَرْطاً كَمَا تَقَدَّمَ.

وفائدته: أي غايته، مَلَكَةٌ يُحْتَزَزُ بِهَا مِنَ الْخَطَا فِي النُّطْقِ: حتى لَا يَقْتَأَ بِخُرُجٍ عَنِ الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْغَالِبِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّحْوَ مُرَكَّبٌ مِنْ عِلْمِ الْإِعْرَابِ وَعِلْمِ التَّضْرِيفِ، فَهُمَا كَالْفَنِّ الْوَاحِدِ

والتفسير والمحدث والتراجم واللغات. ولد سنة 654 هـ بغرناطة. انتقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة 745 بعد أن كُفَّ بعصره. اشتهرت تصانيفه في حياته وقرلت عليه، من بينها: البحر المحيط في التفسير، وكان باحثاً في اللغات خاصة لغات الترك والفرس والحيشة.

(1) عمر بن مظفر بن عمر، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان بسورية سنة 691 وتوفي بحلب سنة 749. من بين مؤلفاته شرح لألفية ابن مالك.

(2) عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة. ومن بينهم: الألفية في النحو واسمها الفريدة وله عليها شرح. ولد بالقاهرة سنة 849 ونشأ يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 911.

لَا يَنْبَغُ إِلَّا بِهِمَا، وَلِذَا يَجْمَعَانِ غَالِبًا فِي الْمَوْضُوعَاتِ، غَيْرَ أَنَّ الْكَثِيرَ يَصْدُرُونَ بِالْإِعْرَابِ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ وَضَعًا كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، ثُمَّ وَضَعَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْدَأُ بِالتَّصْرِيفِ، لِأَنَّ مَبْحَثَهُ الْمُفْرَدُ، وَهُوَ قَبْلَ الْمَرْكَبِ. وَقَدْ تُذَكَّرُ جُمْلَةٌ مِنَ التَّصْرِيفِ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ، كِبْنَاءِ صِيغَةِ الْمُضَارِعِ، وَالْأَمْرِ، وَأَبْنِيَةِ الْمَصَادِرِ، وَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ وَالْمَفْعُولِينَ، وَالصِّفَةِ الْمَشَبَّهَةِ بِهَا، وَاسْمِ التَّفْضِيلِ، وَالزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْأَلَةِ، وَالتَّكْسِيرِ، وَالتَّصْغِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَإِنَّ هَذَا شُعْبَةٌ مِنْ عِلْمِ التَّصْرِيفِ أُدْرِجُ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عِلْمَ التَّصْرِيفِ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَرْجِعُ لِتَغْيِيرِ الْكَلِمَةِ لِمَعْنَى، كِبْنَاءِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ غَالِبًا فِي بَابِ الْإِعْرَابِ. وَقِسْمٌ يَرْجِعُ إِلَى تَغْيِيرِهَا لِغَيْرِ مَعْنَى، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي بَابِ التَّصْرِيفِ.

وَالْكَتَبُ الْمَوْضُوعَةُ لِهَذَا الْعِلْمِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: مُخْتَصِرَةٌ، وَمُتَوَسِّطَةٌ، وَمُطَوَّلَةٌ. فَالْأُولَى: كَهَذِهِ الْمَقْدَمَةِ، وَجُمْلُ الرُّجَاجِيِّ⁽¹⁾، وَقَوَاعِدُ ابْنِ هِشَامٍ⁽²⁾ وَالثَّانِيَّةُ: كَالْفَتَى ابْنِ مَالِكٍ⁽³⁾ وَالسِّيُوطِي، وَمُعْنِي ابْنِ هِشَامٍ وَأَضْرَابُهَا. وَالثَّلَاثَةُ: كَكِتَابِ سَيِّبَوَيْهِ، وَتَسْهِيلِ ابْنِ مَالِكٍ وَأَضْرَابُهَا. فَقَدْ قَالَ أَبُو حَيَّانَ: مَنْ قَرَأَ التَّسْهِيلَ لَمْ يَكُنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ أَنْحَى مِنْهُ. وَقَدْ حَلَفَ أَلَّا يَقْرَأَ مِنْ كُتُبِ النَّحْوِ إِلَّا هُوَ.

وَمَهْنَا اصطِلَاحَاتٌ قَدْ يُتَوَقَّفُ عَلَيْهَا فِي عِلْمِ النَّحْوِ، مِنْهَا تَفْسِيرُ الشَّاذِّ وَالضَّعِيفِ وَالضَّرُورَةِ. فَالشَّاذُّ: مَا خَالَفَ الْقِيَاسَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى قَلَّةِ وَجُودِهِ وَكَثْرَتِهِ. وَالضَّعِيفُ: مَا

(1) عبد الرحمان بن إسحاق النُّهَاسِيُّ الرَّجَّاجِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ: شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِهِ. وَلَدَ فِي نِهَازَنْدٍ وَنَشَأَ فِي بَغْدَادَ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَتَوَفَّى فِي طَبْرِقَةِ سَنَةِ 337، نَسَبُهُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ الرَّجَّاجِ. لَهُ كِتَابُ الْجُمْلِ الْكَبِيرِ، وَالإِبْضَاحُ فِي عِلَلِ النَّحْوِ، وَالزَّاهِرُ فِي اللُّغَةِ.

(2) عبد الله بن يوسف، أَبُو مُحَمَّدٍ، جَمَالُ الدِّينِ، ابْنُ هِشَامٍ: مِنْ أَمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَلَدَ بِمِصْرَ سَنَةِ 708 وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ 761. قَالَ بَنُ خُلْدُونٍ: مَا زِلْنَا وَتَحَنُّنًا بِالمَغْرِبِ نَسْمَعُ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمِصْرَ عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ أَنْحَى مِنْ سَيِّبَوَيْهِ. مِنْ تَصَانِيفِهِ: مُعْنَى اللَّيِّبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعْرَابِ، الْإِعْرَابُ عَنْ قَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ، عَمْدَةُ الطَّالِبِ فِي تَحْقِيقِ تَصْرِيفِ ابْنِ الْحَاجِبِ، شُدُورُ الذَّهَبِ، قَطْرُ البَنْدِيِّ، التَّحْصِيلُ وَالتَّفْصِيلُ لِكِتَابِ التَّذِيلِ، أَوْضَحُ الْمَسَالِكِ إِلَى الْفَتَى ابْنِ مَالِكٍ.

(3) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، الطَّائِي الْجَيْثَانِي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، جَمَالُ الدِّينِ: أَحَدُ الْأَمَّةِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ. وَلَدَ فِي جَيْثَانَ بِالْأَنْدَلُسِ سَنَةَ 600 ثُمَّ غَادَرَهَا بَعْدَ مَا نَازَلَ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ وَتَرَدَّدَ بَيْنَ مِصْرَ وَدِمَشْقَ حَيْثُ اسْتَقَرَّ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ 672. كَانَ الْمُنْتَهَى فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَرَوَايَةِ الْأَشْعَارِ، إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ وَمَلَقًا إِمَامًا كَبِيرًا بِالحَدِيثِ. قَضَى حَيَاتِهِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ. مِنْ أَكْثَرِ مَوْلَفَاتِهِ شَهْرَةُ أَرْجُوزَةِ نَظَمِهَا فِي 2757 بَيْتًا الْمَسْمَاةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَّةُ، وَمِنْهَا انْتَقَى الْخُلَاصَةُ الْأَلْفِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ بِالْأَلْفِيَّةِ، وَلامِيَةُ الْأَفْعَالِ، وَتَسْهِيلُ الْفُرَاوْدِ وَتَكْمِيلُ الْمَقَاصِدِ، الَّذِي يُمَثِّلُ الْآرَاءَ الْآخِرَةَ وَالنِّهَايَةَ لَابْنِ مَالِكٍ وَإِلَيْهِ وَإِلَى الْأَلْفِيَّةِ يَرْجِعُ كَثِيرًا سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ عَجِيَّةٍ فِي شَرْحِهِ.

قلّ وجوده في كلام العرب، والضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة. وقد يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومُطرّداً، فالمطرّد: ما لا يتخلّف، والغالب: ما كثر لكنه يتخلّف. والكثير: دونه، والقليل: دونه، والنادر: أقلّ من القليل ولا يُقاس إلا على الكثير أو المطرّد على المشهور. والشاهد: ما يُذكر لتقرير قاعدة من كلام الله أو كلام رسوله أو كلام العرب، والمثال: ما يُذكر لإيضاح تلك القاعدة. والبصريون: هم النحويون الناشئون بالبصرة كسيبويه، ومن أخذ هو عنهم كالخليل⁽¹⁾، ويونس⁽²⁾، وأبي عمرو بن العلاء⁽³⁾ ومن تبع هؤلاء في المذهب، وإن لم ينشأ بالبصرة، لكن أخذ بمذهبهم. والكوفيون: هم النحويون الناشئون بالكوفة، وأشهرهم الكسائي المقري⁽⁴⁾ ومن أخذ عنه كيحيى بن زياد⁽⁵⁾، وخلف الأحمر⁽⁶⁾ وهشام الضرير⁽⁷⁾، وأبي إسحق

- (1) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم القراهدي الأزدي الحمدي، أبو عبد الرحمان: من أئمة اللغة و الأدب وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه. ولد سنة 100 في البصرة ومات فيها سنة 170. عاش فقيراً صابراً. وقيل في سبب وفاته أنه صدمته سارية حينما كان يفكر في طريقة في الحساب تسهله على العامة. له كتاب العين، ومعاني الحروف، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض.
- (2) يونس بن حبيب الضبي، أبو عبد الرحمان، ويعرف بالنحوي: علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. أعجمي الأصل. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة. من كتبه: معاني القرآن، واللغات، والنوادر، والأمثال. ولد سنة 94 وتوفي سنة 182.
- (3) زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة و الأدب وأحد القراء السبعة. ولد بمكة سنة 70، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة 154.
- (4) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة. ولد في إحدى قرأها وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر ونقل في البداية، وسكن بغداد وتوفي بالرّي سنة 179 عن سبعين عاماً. له تصانيف منها: معاني القرآن، والقراءات، والنوادر.
- (5) يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة سنة 144 وانتقل إلى بغداد. توفي في طريق مكة سنة 207. كان فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه: المقصور والممدود، وكتاب اللغات، والفاخر في الأمثال. كان يتفلسف في تصانيفه.
- (6) خلف بن حبان، أبو محرز، المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان يضع الشعر ويشبه إلى العرب. له ديوان شعر، وكتاب جبال العرب، ومقدمة في النحو. توفي سنة 180.
- (7) هشام بن معاوية، أبو عبد الله، الكوفي: من أهل الكوفة، نحوي، ضرير. من كتبه: الحدود، والمختصر، والقياس، كلها في النحو. توفي سنة 209.

البُغوي وأضرابهم، ومن تبع مذهبهم وإن لم ينشأ بالكوفة. واعلم أن العلم إن كان عقلياً أو ذوقياً لم يحتاج إلى نسبة قائله، إذ بُرْهانه في نفسه، وشاهده معه فلا يحتاج إلى معرفة قائله، إذ برهانه في نفسه وشاهده معه فلا يحتاج إلى معرفة قائله إلا من حيث الكمال. وأما إن كان نقلياً، فلا بُد من معرفة قائله لأنه موكل إلى أمانته، فمن اعتمد في نقله على من لا يعرف حاله، كان كالباني على غير أساس. ثم ما ترتب منهما كالفقه والنحو، فإن كلاً منهما منقول معقول، لكن يغلب فيه جانب النقل، فينبغي معرفة القائل، لتطمئن به النفس.

فالمؤلف رحمه الله هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، عُرف بابن أجروم، بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشدودة، ومعناه بلغة البربر، الفقير الصوفي. ولعلّه في لغتهم بالقاف المعقودة، ووصفه بعض الشراح بالفقيه الإمام الصالح البركة. وبعضهم بالأستاذية، والأستاذ بالذال المعجمة وهمزة مضمومة، لفظة فارسية عربتها العرب، ومعناه عند الفرس العالم بالشيء، الجاهر فيه، والجمع أستاذ. وكان رحمه الله عالماً بالقراءات، ماهراً فيها. شرح جرر الأمانى⁽¹⁾ شرحاً عجيباً، وتمهّر في العربية، فكان مجتهداً فيها لا يتقيد بمذهب البصريين ولا مذهب الكوفيين، بل يميل مع الحق أينما ظهر له. أخذ عن أبي حيان وغيره. وُلِدَ رحمه الله عام اثنين وسبعين وستمائة، وفي هذه المائة توفي جمال الدين ابن مالك، صاحب الألفية، فكان يُقال: توفي نحوي، ووُلِدَ نحوي، مات رحمه الله سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، فعمره إحدى وخمسون سنة. رُوِيَ أنه رضي الله عنه حج وألف هذه المقدمة تجاه الكعبة، ولذلك عُمّت بركاتها.

ولم يفتح كتابه بالحمدلة، بل اكتفى بالتسمية أولاً فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قالباء متعلقة بمحذوف، يقدر كل واحد ما جعلت التسمية مبدأ له فيقدر هنا، أولف، ويقدر مؤخرًا للإيدان بالحضر والاختصاص، والباء للاستعانة أو المصاحبة والملازمة، وطولت خطأ، عوضاً من الألف المحذوف.

والاسم مشتق من السُمُر عند البصريين وهو العلو والارتفاع، لأنه يدلُّ على مُسمَّاء ويظهره. وأصله يَمُوءُ حذفت لامه وعُوِضَ عنها همزة وصل.

(1) قصيدة في القراءات تُعرف بالشاطبية لصاحبها القاسم بن فيره، أبو محمد الشاطبي وهو إمام القراء، ولد بشاطبة بالأندلس عام 538. كان ضريباً، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة. توفي بمصر عام 590.

وعند الكوفيين من الوَسم وهو العلامة لأنه علامة على مُسمَّاهُ حُذفت فازه،
وَعُوْض عنها همزة وصل، فَوَزَنه عند البصريين إَفْعُ، وعند الكوفيين اَغْلُ.

والله عَلمٌ على الذَّات الواجبة الوجود، المستحقة للكَمالات؛ وهو أَغْرَف
المعارف عند الجمهور، وبعده الضمير، وهل هو مرتجل أو منقول خلاف.

والرَّحْمَن الرَّحِيم صفتانِ بَيِّنَتانِ للمبالغة من رَحْمَ بعد نقله إلى قَعْل بالضم؛ لأنَّ
الصفة المشبهة لا تكون إلَّا من القاصِر، والجمهور على أَنَّ الرَّحْمَن أَتْلَغ من
الرحيم؛ لأنَّ كثرة المبنى تدلُّ على كثرة المَعْنَى. واختلف في تعيين معنهما، فقيل
الرَّحْمَن في الدنيا، والرَّحِيم في الآخرة. ولا شك أن الرحمة في الدنيا أعم؛ لأنها
تشمل المؤمن والكافر، وفي الآخرة خاصة بالمؤمن. وقيل: الرَّحْمَن بجلال النعم،
والرحيم بدقائقها. وقيل: الرَّحْمَن بنعمة الإيجاد، والرَّحِيم بنعمة الإمداد، وهذا
أَحْسَنُهَا. ويجوز فيهما سبع إعرابات جَرَّهما ورفعهما ونصبهما، ورفع الثاني ونصبه
مع جرِّ الأول ورفع الأول، ونصب الثاني، وعكسه. ولا يجوز جرِّ الثاني مع رفع
الأول أو نصبه، إذ لا يجوز الاتباع بعد القطع على المشهور.

ولمَّا كَانَ المقصود من عَلمِ التَّخْوِ إصلاح الكلام من اللَّحْن، بدأ به فقال رحمه
الله: الْكَلَامُ هُوَ اللَّفْظُ الْمُرَكَّبُ الْمُفِيدُ بِالْوَضْعِ.

قلتُ: الْكَلَامُ عند اللُّغَوِيِّينَ كل ما يفهم المقصود، كَانَ قولاً أو غيره، وعند
النحويين ما أَشَار إليه المصنّف بقولِهِ: هو اللفظ، أي الصَّوْتُ المشتمل على بعض
الحروف الهجائية، فاحترزَ بِهِ، مما يفهم المعنى وليس بلفظ كالخط. تقول العربُ:
الخط أَحَدُ اللَّسَانَيْنِ، والإشارة كقول الشاعر:

حَوَاجِبُنَا تَفْضِي الْحَوَاجِجَ بَيْنَنَا وَتَحْنُ صُمُوتِ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
ولسان الحال كقول الشاعر:

امتلاً الحوض وقال قطني مَهْلًا رُوَيْدًا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي
وحديث النفس، قال الشاعر:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا
وَالْتَكْلِيمُ هُوَ مصدر كَلَّمَ، كقول الشاعر:

قَالُوا كَلَامَكَ هَذَا وَهِيَ مُصْغِيَةٌ يَشْفِيكَ قُلْتُ صَحِيحَ ذَلِكَ لَوْ كَانَا

فَأُطْلِقَ الْكَلَامُ على التَّكْلِيمِ الذي هو مَعْنَى وهو إيصال الكلام إلى الغير؛ فهذه
الأمور كُلُّهَا تُسَمَّى كَلَامًا في اللُّغَةِ لَا في اصطلاح النحويين. قَالَ في الْكَلَامِ عَوْضًا

عن المضاف إليه، أي كلام النحويين، وقيل: للاستغراق. قال المبرد⁽¹⁾: الكلام كله صريه وعجبيه لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة: اللفظ والتركيب والإفادة. وبقوله بالوضع، يخرج غير كلام العرب. والمركب: ما تركب من كلمتين فأكثر، سواء كان ملفوظاً به أو مقدراً كاستقم وسواء تركب من اسمين أو فعل واسم، أو من فعل واسمين، أو من فعل وثلاثة أسماء، أو من جملتين، واحترز به من الكلمة الواحدة، إمّا حقيقة، كنم وقل وبّل، أو حكماً كغلبك وامرى القيس وتابط شراً علماً. وأسقط هذا الشرط أي التركيب، كثير من النحويين استغناء عنه بالمفيد.

■ تنبيه:

لا يشترط في المركب أن يكون من متكلم واحد، فلو اتفق رجلان أن يقول أحدهما كلمة، والآخر كلمة وحصلت الفائدة للسامع، لكان كلاماً. كما أن الكاتب لا يشترط اتحاده، في كون الخط خطه، قاله ابن مالك وغيره.

والمفيد: ما أفاد فائدة يحسن سكوت المتكلم عليها، بحيث لا يصير السامع منتظراً لشيء آخر واحترز به، مما لا فائدة فيه، لتوقفه على غيره لجملته الشرط دون الجزاء أو ما هو معلوم عند المخاطب كالسما فوقنا، والأرض تحتنا، والنار حارة، والله ربنا، إذا خاطب به المؤمن، هكذا قال الجمهور. وقال أبو حيان: لا وجه لاشتراط كون الفائدة جديدة، وإلا لزم في كل ما علم مذكوله أن لا يكون كلاماً واللازم باطل.

قلت: أمّا الإخبار بمعلوم فلا وجه للنطق به إلا على وجه التبرك والتلذذ أو الترقّي في اليقين، أو التحذير والتبشير في الوعد، فهذا لا بأس بذكره. ويسمى كلاماً باعتبار قائله، والله تعالى أعلم.

وقوله بالوضع: المراد به الوضع العربي؛ وهو جعل اللفظ دليلاً على المعنى، احتراز به من كلام المعجم وهو كل ما خالف العربية، كالعبرانية، والسريانية، والسلحية، وغير ذلك. فلا يسمى شيء من ذلك كلاماً عند النحويين، إذ لا بحث لهم فيه بإعراب ولا بناء. وقيل: المراد بالوضع: القصد. وهو أن يقصد المتكلم إفادة

(1) محمد بن يزيد الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده في البصرة سنة 210 ووفاته ببغداد سنة 286. كان من العلماء الذين لم يجعلوا من النحو صيفاً جافاً وهذا واضح في كتابه: الكامل الذي يعد من أمهات الأدب الأصلية. وله كذلك المقتضب، بمثابة تلخيص وتبسيط كتاب سيبويه، وإعراب القرآن، وطبقات النحاة البصريين.

السامع، فاخترز به من كلام النائم والسكران ومُحاكاة الطيور، فلا يُسمَّى شيء من ذلك كلامًا. وهذا القيد اعتبره الجزولي⁽¹⁾، وابن مالك، وابن عصفور⁽²⁾ وغيرهم، ورد بأن المفيد يُغني عنه، فإن حصلت الفائدة للسامع من هؤلاء وأيقن بصحة كلامهم سُمي كلامًا في حقه. قال الأزهري⁽³⁾: وهذا الخلاف له التفات إلى الخلاف في دلالة الكلام، هي هل وضعية أو عقلية، والأصح الثاني. فإن من عَرَفَ مُسَمَّى زيد، وعَرَفَ مُسَمَّى قائم وسمع زيد قائم بإعرابه المخصوص فيهم بالضرورة مُعْنَى هَذَا الْكَلَامِ. اهـ. يَغْنِي أَنْ الْخِلَافَ فِي تَفْسِيرِ الْوَضْعِ بِالْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِالْقَصْدِ مَبْنِي عَلَى الْخِلَافِ فِي دَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعْنَى، هَلْ هِيَ وَضْعِيَّةٌ أَوْ عَقْلِيَّةٌ. فَإِنْ قُلْنَا دَلَالَةُ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعْنَى وَضْعِيَّةٌ، فَسَرْنَا الْوَضْعَ بِالْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ وَإِنْ قُلْنَا دَلَالَتُهُ عَقْلِيَّةٌ فَسَرْنَا الْوَضْعَ بِالْقَصْدِ. وَقَوْلُهُ: وَالْأَصَحُّ الثَّانِي فِيهِ نَظَرٌ بَلِ الْأَصَحُّ أَنَّ دَلَالَةَ الْكَلَامِ وَضْعِيَّةٌ لِأَنَّ الْعَرَبَ، كَمَا وَضَعَتْ الْمَفْرَدَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْأَشْخَاصِ، وَضَعَتْ الْجُمْلُ تَدُلُّ عَلَى النُّسَبِ، لَكِنْ وَضَعِ الْمَفْرَدَاتِ بِالشَّخْصِ، بِأَنَّ وَضَعَتْ كُلَّ مَفْرَدٍ يَدُلُّ عَلَى مُسَمَّاءُ. وَوَضَعِ الْجُمْلُ بِالنُّوعِ بِأَنَّ وَضَعَتْ بَعْضُ الْجُمْلُ تَدُلُّ عَلَى النُّسَبِ، بِأَنَّ تَكَلَّمَ يَبْعُثُ الْجُمْلُ، وَسَكَتَتْ عَنِ الْبَاقِي. قَبَضَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى مَا تَكَلَّمَ بِهِ، انْظُرِ الشَّنَوَانِي⁽⁴⁾ هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَلَامِ. وَأَمَّا الْكَلِمُ فَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ جَمْعِي، أَقْلُهُ ثَلَاثَةٌ، أَفَادَ أَمْ لَا. فَقَوْلُكَ: قَامَ زَيْدٌ، كَلَامٌ لَا كَلِمٌ. وَقَوْلُكَ: إِنْ قَامَ زَيْدٌ، كَلِمٌ لَا كَلَامٌ. وَقَوْلُكَ:

(1) عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي، نشأ في السوس بالمغرب حيث ولد عام 540. أدى فريضة الحج ومكث برهة من الزمان بمصر حتى أحكم دراسة النحو وأصول اللغة. بعد رحلته في طلب العلم استأنف رحلة العطاء فدرس في بجاية والمرية وأخيرا مراکش حيث ولي الخطابة وحيث توفي سنة 607. له مقدمة مشهورة المعروفة بالقانون، وشرح أصول بن السراج، وشرح قضيدة بانث سعاد، مختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي.

(2) علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور: حامل لواء العربية بالأندلس في عصره. من أشهر مصنفاته: المقرَّب في النحو، والممتع في التصريف، وشرح جمل الزجاجي وإيضاح الفارسي والمتنبي، وله ثلاثة شروح لكتاب سيبويه. ولد بإشبيلية سنة 597 وتوفي بتونس سنة 669.

(3) خالد بن عبد الله الجرجاوي الأزهري، زين الدين وكان يعرف بالوقاد: نحوي من أهل مصر. ولد بجرجا من الصعيد سنة 838 ونشأ وعاش في القاهرة. له المقدمة الأزهرية في علم العربية، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، وشرح الأجرومية، والتصريح بمضمون التوضيح في شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وشرح البردة.

(4) أبو بكر بن إسماعيل الشنواني: نحوي، تونسي الأصل، ولد بشنوان بمصر سنة 959 وتعلم في القاهرة، وبها توفي سنة 1019. له كتب كلها شروح وحواش على الأجرومية، والشنور، والقطر، في النحو.

قد قام زيدٌ، كَلَام وكَلِم. والكلمة: اسم مُفْرَد كَزَيْدٍ. والقول عام. فيصدق بالكلام والكلم والكلمة. وينفرد بقولك: غلام زيدٌ، فَيَبَيِّنُ الكَلَام والكَلِم عموم وخصوص مِنْ وجِه، ويبحث فيه الأزهري بعد اتحاد المادَّة، فانظره، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

الكَلَام عِنْدَ الأكياس هو اللفظ المركَّب من المقال والحَالِ بأن يكون المتكَلِّمُ مِمَّن ينهض حَالُهُ ويدلُّ على الله مقالُهُ، المفيد في قلوب المستمعين إِمَّا علوماً أو أنواراً أو أسراراً. وفي الحِكْم⁽¹⁾ «تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما صار التنوير وصل التعبير». فيفيد بمجرد وضعه في القلوب نهوضاً واشتياقاً إلى الحضرة المقدسة، أو خوفاً زاجراً عن المعصية. والحاصل أنَّ الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب. فيفيد إِمَّا خوفاً مُزعِجاً أو شوقاً مقلِّقاً. وإذا خرج من اللسان كان حدّه الأذان. أو تقول: الكلام عند الحكماء هو اللفظ المركَّب من القول والعمل. فإذا كان الكلام خالياً عن العمل كان غير مفيد في القلوب شيئاً لكون الحال يُكذِّب المقال؛ لأن المتكلم الواعظ، إذا عمل أولاً ثم تكلم ووعظ، نفع قوله وأنهض حاله. وإلا كان ضرباً في حديد بارد، وفي ذلك يقول الشاعر:

يا أيها الرجلُ المُعَلِّمُ غَيْرُهُ	هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ هَذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لَذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا	وَمِنَ الضَّنَا وَجَوَاهُ أَنْتَ سَقِيمُ
وَأَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عَقُولَنَا	نُضْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْهَاهَا عَنْ غَيِّهَا	فَلَمَّا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعِظْتَ وَتُقْتَدَى	بِالنُّقُولِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنُتْ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ	عَارَ عَلَيْنِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وإن شئت قلت: الكلام الذي يعود بالنفع على صاحبه هو اللفظ المركَّب من القلب واللسان، المفيد بوضعه في القلب تنويراً أو ترقيةً وشهوداً؛ وهو الذكر الحقيقي باللسان والقلب، أو بالقلب والروح، أو بالروح والسر وهو دوام الشهود،

(1) الحكم العطائية لصاحبها أحمد بن محمد، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندري: من العارفين الكبار. أول من صنف كتاباً في الطريقة الشاذلية. توفي بالقاهرة سنة 709. من تصانيفه: لطائف المثنى في أخبار الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، التنوير في إسقاط التدبير، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، مفتاح القلاح ومصباح الأرواح، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس. وأشهرهم كتاب الحكم الذي تناوله بالشرح سيدي أحمد بن عجيبة وكثيراً ما يقتطف منه في كل مصنفاته.

أو المفيد أجراً جزيلاً، وإحساناً جميلاً وهو ذكر اللسان والقلب إذا كان بلا شيخ، أو أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر، وما سوى ذلك لغو وهدر ولهو وتضييع العمر واشتغال بما لا ينفع. قال تعالى: ﴿لَا حَيْزَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽¹⁾. وقال عليه السلام: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَنْفَعُهُ». فالكلام كله عليك لا لك إلا ذكر الله وما والآء. وفي الحديث: «رَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَكَتَ فَلَسِمَ أَوْ تَكَلَّمَ فَعَنِمَ». ويرحم الله القائل:

لَوْ يَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْقِيَّاسِ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءٍ عِنْدَ النَّاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ فَافْهَمُ هَذَاكَ اللَّهُ آدَابَ الطَّلَبِ

وسمعت شيخنا البوزيدي⁽²⁾ رضي الله عنه يقول: «الفقير الصادق يتكلم بكلمة واحدة يقضي بها ألف حاجة، والفقير الكاذب يتكلم بألف كلمة يقضي بها حاجة واحدة». وقلت في بعض الرسائل لبعض الإخوان بعد كلام: طالب الوصول لا تجده إلا ذاكرًا أو متفكرًا أو تالياً أو مُصَلِّيًا أو مَذْكُرًا أو مستمعًا. أوقاته معمورة وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة، إن تكلم فيذكر الله أو ما يقرب إلى الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله، يجول في عظمة الله أو فيما يقربه إلى الله وإن تحرك فيالله وإلى الله، وإن سكن فمع الله، مستأنسًا بالله مشغلاً بربه غائبًا عن نفسه، ليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار، أنسه بالله ومجالسته مع الله، التقوى زاده والقناعة رفاده، ومن بحر العرفان استمداده، قد استغنى بالله عما سواه ورفض وراء ظهره دنياه وهواه، قد اتخذ الله صاحبًا، وترك الناس جانبًا، وفي الصمت عن غير ذكر الله حُكْمٌ وأسرارٌ لا يدوقها إلا من استعمله وتخلق به، والله تعالى أعلم. هذا ما يتعلق بكلام الخلق عبارة وإشارة. وأما كلام الحق تعالى، فهو معنى قائم بذاته، قديم بقدم الذات، مُنَزَّه عن الحروف والأصوات وعن التركيب والتقديم والتأخير وسائر أنواع التغيرات، المتعلق بعلق دالة بما يتعلق به العلم من المتعلقات.

ولما كانت المعنى لا تظهر إلا بالحسن، خلق الله حُرُوفًا وأصواتًا تدل على تلك المعنى، فتارة يخلقها من الجمادات، كالشجرة وغيرها مثلاً، وتارة من الحيوانات كالملائكة وال آدمي وغيرهما. فكما أن الذات لا تظهر إلا في مظاهر التجليات الحسية

(1) النساء: الآية 114.

(2) محمد بن أحمد البوزيدي الحسني، من أكابر أصحاب مولاي العربي الدرقاوي، شيخ سيدي أحمد بن عجيبة. له كتاب الآداب المرضية لسالك طريق الصولية، وكتاب المسلك القريب إلى حضرة الحبيب، ورسائل إلى أصحابه و أشعار. توفي سنة 1229.

كذلك الصفات لا تظهر إلا في التجليات الخلقية. فالكلام معنى قائم بالذات، ولا تقبض المعنى إلا بالجس، فأظهر الله حروفاً وأصواتاً تدل على معنى كلامه تعالى. ولما كانت كل صفة من صفاته تعالى لا تتناهى كان ما يدل عليها لا يتناهى جنسه ونوعه. فالكلام الذي هو معنى قائم بذاته تعالى لا نهاية له لأنه تابع لعلمه. وكذلك ما يدل عليه لا يتناهى جنسه ونوعه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفْذَ كُلُّ رَبِّي وَلَوْ جِثَا يَمِيلُ مِدَادًا ۖ﴾ (١)، ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كُلُّهُ أَتَى﴾ (٢). وقول المتكلمين: كُلُّ مَا دَخَلَ الوجودُ مُتَنَاءٍ، خاصٌّ بالمخلوقات وصفاتها. وأما ذات الحق تعالى وصفاته فلا نهاية لها ولا لما يدل عليها، فتجليات الذات لا تنحصر ولا تتناهى. وكذلك تجليات الصفات لا تنحصر ولا تتناهى نوعاً وجنساً. فكلام الخلق يتناهى لفظاً ونوعاً، وكلام الحق لا يتناهى نوعاً وإن كان يتناهى لفظاً. فكل كلمة برزت للوجود تتناهى في نفسها؛ لأنها مخلوقة، ولا تتناهى في نوعها؛ لأنها دالة على معنى لا نهاية لها. فإذا انقضت كلمة من جهة لفظها، فلا بد من كلمة أخرى تدل على المعنى الذي لا نهاية له. وهكذا لأن الكلام تابع للعلم، وعلمه تعالى لا نهاية له فذلك كلامه الدال عليه. فالحروف والأصوات مخلوقة حادثة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ﴾ (٣) والمعنى قديم بقديم الذات، والله تعالى أعلم.

ولما كان كل مرگب لا بد له من أجزاء يترگب منها، بين ذلك فقال:

وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى.

قلت: الضمير يعود على الكلام؛ فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه لا إلى أنواعه، والفرق بينهما أن تقسيم الشيء إلى أنواعه يصح حمل المقسوم على كل نوع من أنواعه كتقسيم الإعراب إلى أربعة كما يأتي فيصح أن تقول: أرفع إعراباً، والنصب إعراباً، والحذف إعراباً بخلاف تقسيم الكلام إلى الاسم والفعل والحرف. فلا يصح أن تقول: الاسم كلام، والفعل كلام، والحرف كلام. فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه أي أجزاء الكلام التي يترگب منها، من حيث مجموعها لا جميعها ثلاثة. والتحقيق أن التقسيم إنما هو للكلمة التي يترگب الكلام منها. فلو قال: وأقسام الكلمة التي يترگب منها ثلاثة، لكان أحسن لأن الكلام قد يترگب من جزءين فقط.

(١) الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) لقمان: الآية ٢٧.

(٣) الأنبياء: الآية ٢.

فلا يَبْقَى بتمام التقسيم.

وَحَقِيقَةُ الْأَسْمَاءِ: مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ بِصِغَتِهِ لِلزَّمَانِ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، وَمُتَّبِعٌ، كَالْمَوْصُولَاتِ وَالْإِشَارَاتِ.

وَحَقِيقَةُ الْفِعْلِ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى فِي نَفْسِهِ وَتَعَرَّضَ بِصِغَتِهِ لِلزَّمَانِ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ: مَاضِي، وَمُضَارِعٌ، وَأَمْرٌ.

وَحَقِيقَةُ الْحَرْفِ: مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى فِي غَيْرِهِ فَقَطْ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ: مُخْتَصٌّ بِالْأَسْمَاءِ، كَحُرُوفِ الْجَرِّ، وَمُخْتَصٌّ بِالْأَفْعَالِ كَالنَّوَاصِبِ وَالْجَوَازِمِ، وَمَشْتَرِكٌ بَيْنَهُمَا، كَهَلْ وَبَلْ وَكَمْ. وَقَوْلُنَا فِي حَدِّ الْحَرْفِ فَقَطْ، احْتِرَازًا مِنْ أَسْمَاءِ الشُّرُوطِ فَإِنَّهَا تَدُلُّ فِي نَفْسِهَا وَفِي غَيْرِهَا، فَهِيَ أَسْمَاءٌ لَا حُرُوفٌ.

وَسُمِّيَ الْأِسْمُ اسْمًا لِسُمُوِّ لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى شَرَفٍ مَسْمُوءٍ غَالِبًا، وَلَآئِهْ يَخْبِرُ بِهِ وَعَنْهُ وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ.

وَسُمِّيَ الْفِعْلُ فِعْلًا لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ صَدَرَ مِنَ الْفَاعِلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْأِسْمُ مَا دَلَّ عَلَى الْمَسْمُومِ وَالْفِعْلُ مَا دَلَّ عَلَى حَرَكَةِ الْمَسْمُومِ. وَقَدْ لَا يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ كَمَاتٍ وَهَلَكٍ. فَيَدُلُّ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِالشَّيْءِ، أَيْ اتَّصَفَ بِالْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ، وَمِنْهُ عَزَّ وَذَلَّ أَيْ اتَّصَفَ بِالْعِزِّ وَالذَّلِّ.

وَسُمِّيَ الْحَرْفُ حَرْفًا لَوُقُوعِهِ طَرَفًا مِنَ الْكَلَامِ لَيْسَ مَقْصُودًا بِالذَّاتِ، وَمِنْهُ حَرْفُ الْجَبَلِ أَيْ طَرَفُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ⁽¹⁾ أَيْ مِنَ الَّذِينَ غَيْرَ مُتِمِّكِينَ مِنْهُ بَلْ أَقَلَّ شَيْءٍ يُزَلِّزُهُ عَنْهُ. وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ جَاءَ لِمَعْنَى مِنْ حُرُوفِ الْمَبْنِيِّ الَّتِي هِيَ جُزْءُ الْكَلِمَةِ، كَالضَّادِ مِنْ ضَرْبٍ وَالْعَيْنُ مِنْ عُمَرٍ، وَمِنْ حُرُوفِ الْمُتَعَجِّمِ الَّتِي هِيَ أَضَلُّ مَدَارِ اللُّغَةِ عَرَبِيَّتُهَا وَعَجَبِيَّتُهَا. وَهِيَ أَلِفٌ، وَبَاءٌ، وَتَاءٌ إِلَى آخِرِهِ فَإِنَّهَا أَسْمَاءٌ، وَالْمَعْنَى الَّذِي جَاءَ إِلَيْهَا الْحَرْفُ هِيَ الْمَعْنَى فِي غَيْرِهِ كَمِنْ لَتَبْعِيضِ الْكَلَامِ؛ فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى تَبْعِيضِ غَيْرِهَا لَا نَفْسِهَا أَوْ ابْتِدَاءٍ غَايَةِ غَيْرِهَا، وَهَكَذَا. وَكَذَلِكَ إِلَى تَدَلُّ عَلَى انْتِهَاءِ غَيْرِهَا الْوَاقِعَ بَعْدَهَا، وَكَذَلِكَ سَائِرُ حُرُوفِ الْمَعْنَانِ كَلَنْ لَتَوْكِيدِ مَا بَعْدَهَا، وَلَبِثَ لِلتَّمْنِي، وَفِي عَلَى ذَلِكَ.

■ الْإِشَارَةُ:

وَأَقْسَامُ الْكَلَامِ الَّذِي يَصِلُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَاهُ ثَلَاثَةٌ: اِسْمٌ أَيْ ذِكْرُ الْأِسْمِ الْمَفْرُودِ وَهُوَ اللَّهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ أَنَّم رَّبُّكَ وَيَتَنَلَّ إِلَيْهِ

تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ (١) أي انقطع إليه انقطاعاً كلياً ليلاً ونهاراً. فالاسم المفرد هو سلطان الأسماء وهو اسمُ الله الأعظم، فلا يزال المرید يذكره بلسانه، ويستهر به حتى يمتزج بلحمه ودمه وتسرّي أنواره في كليته وجزئياته فيتحد الذّاكر والمذكور، فينتقل الذّكر إلى القلب، ثم إلى الرّوح، ثم إلى السرّ، فحينئذ يخرسُ اللّسان، ويحصل على محلّ الشهود والعيان، فيصير ذكّر اللسان ذنباً من الذنوب عند مشاهدة علام الغيوب، «حسنات الأبرار سيئات المقربين». وفي ذلك يقول الشاعر:

مَا إِنْ ذَكَرْتِكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي سِرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرَاكَ
حَتَّى تَكُنْ رَقِيبًا مِنْكَ يَهْتِفُ بِي يَاكَ وَيَحْكُ وَالشُّكْرَ إِيَّاكَ
أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَصَلَ الْكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ

فالذكر منشور الولاية، ولا بدّ منه في البداية والنهاية، وهو باب عظيم للدخول على الله، كما قال الشاعر:

الذِّكْرُ بَابٌ عَظِيمٌ أَنْتَ دَاخِلُهُ فَاجْعَلْ لِمَنْزِلِهِ الْأَنْفَاسَ حُرَّاسَا

والثاني: الفعل، والمراد به مجاهدة النفس في خرق عوائدها، «كيف تُخْرِقُ لك العوائد وأنت لم تُخْرِقْ من نفسك العوائد» [الحكم العطائية]. فتخرق كثرة الكلام بالصنّ، وكثرة النوم بالسهر، وكثرة الأكل بشيء من الجوع، وأهمّ العوائد الشاقة على النفس حبّ الرياسة والجاه والمال، فيخرقها بالذلّ والفقر، والنزول بها إلى أرض الخمول. «اذفن وجودك في أرض الخمول، فما ثبت ممّا لم يُذفن لا يَبِثْ نتاجه» [الحكم العطائية]. والمراد بالخمول كل ما يسقط جاهها ويحط قدرها عند الناس. فقد قالوا: كُلُّ ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق وبالعكس، فإذا صار الذلّ والصّعة والخمول عنده أخلّى بين العزّ فقد ملك نفسه، ومن ملك نفسه ملك الوجود بأشده ووصل إلى حضرة ربه. قال بعضهم: انتهى سير السالّين إلى الظفر بنفوسهم، فإن ظفروا بها وصلوا.

والثالث: الحرف، والمراد به الهمة والقريحة، وطلب الوصول إلى الله تعالى، وهذا الحرف لا بُدّ منه في البداية، فإذا وصل إلى الله حذفه. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (٢) رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْحَرْفِ فَحَرْفُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ

(١) المزمّل: الآية ٨.

(٢) علي بن عبد الله الشاذلي، أبو الحسن: من أكابر العارفين بالله، رأس الطريقة الشاذلية. ولد بغمارة بريف المغرب سنة 583 وتوفي بصحرَاء عيذاب بمصر سنة 656. أخذ عن القطب مولاي عبد السلام بن مشيش. لم يخلف كتاباً وإنما أحزاب وأوزاد وأدعية حكم.

الْحَرْفُ يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ». والمراد بالحرف الطمع في الوصول إلى مرتبة من المراتب. فالحرف الثوراني هو الطمع في الوصول إلى الله، أو إلى رضوانه، أو إلى كرامة من كرامة أوليائه، أو إلى نعيمه الدائم. والحرف الظلماني هو الطمع في الوصول إلى حظ من حظوظ النفس العاجلة، كالرياسة والتعظيم والجاه، وحب الدنيا وغير ذلك من المقاصد الدنيوية، التي يقصدها أهل الهيم الدنية.

والحاصل من الإشارة أنها ترجع إلى الأقسام الثلاثة التي يقطعها المريد وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة. فالشريعة: أقواله عليه السلام. والطريقة: أفعاله. والحقيقة: أحواله. قال (ص): «الشريعة مقالي، والطريقة فإعالي، والحقيقة حالي». فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده، فالشريعة جلها أقوال، والطريقة جلها أفعال أي مجاهدة ومكابدة، والحقيقة جلها أخلاق وأذواق. وإلى هذا ترجع الإشارة بقوله: اسم وفعل وحرف، كما تقدم. فالشريعة للعوام، والطريقة للخواص، والحقيقة لخواص الخواص. فالعوام اقتصرُوا على التمسك بالشريعة الظاهرة. والخواص تمسكوا بالشريعة في الظاهر وزادوا لسلوك الطريق إلى الحقيقة بتهذيب النفوس وتطهير القلوب وهم السائرون من المریدين. وخواص الخواص تمسكوا بالشريعة في الظاهر وبالطريقة في الباطن، فأشرفت عليهم أنوار الحقائق، فتخلقوا بأخلاقه عليه السلام وورثوا حاله ومقاله، فهم الورثة الحقيقيون ورثوا التركة بتمامها: أقواله وأفعاله وأحواله، وإلى هذا أشار صاحب المباحث⁽¹⁾ حيث قال:

تَبِعَهُ الْعَالِمُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْعَابِدُ النَّاسِكُ فِي الْأَفْعَالِ

وَفِيهِمَا الصُّوفِي فِي السَّبَاقِ لِكُنْهُ قَدْ زَادَ بِالْأَخْلَاقِ

وَذَكَرَ الْقُشَيْرِيُّ⁽²⁾ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَيَنْهَهُمْ ظُلُمَ لِنَفْسِهِمْ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾⁽³⁾. قَالَ: «الظالم لنفسه هو المتمسك بأقواله عليه السلام،

(1) يقول عنه سيدي أحمد بن عجيبة في شرحه للمباحث الأصلية: «الشيخ الفقيه الصالح الولي الناصح أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الثجبي المعروف بابن البنا السرقسطي نسبة إلى سرقسطة بلدة بتخوم الجزيرة، كان أصل نسبه منها ثم نقر بقماس وبها توفي. قال الشيخ زروق رحمه الله لم أفق على تاريخ وفاته غير أن الظن الغالب أنه قريب العهد».

(2) عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في وقته، زهداً وعلماً بالدين. ولد عام 376، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها عام 465. من كتبه التفسير في التفسير، ولطائف الإشارات في التفسير أيضاً، والرسالة المشهورة، وترتيب السلوك، والتوحيد النبوي، ونحو القلوب الصغير، والكبير.

(3) قاطر: الآية 32.

والمقتصد أي المتوسط المتمسك بأقواله وأفعاله، والسابق بالخيرات المتمسك بأخلاقه عليه السلام، أي المتمسك بأخلاقه بعد التمسك بأقواله وأفعاله والله تعالى أعلم.

ثم ذكر ما يتميز به كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة. فقال: فالاسم يُعرف بالخفض والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الخفض.

قلت: الغاء فصيحة، جواب عن سؤال مقدر، كأن قال: قال: فِيمَاذَا يَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ؟ فقال: فَالاسْمُ يُعْرَفُ بِالْخَفْضِ؛ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ لَا خَفْضَ فِيهَا. والحروف كلها مَبْنِيَّةٌ؛ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ الَّتِي يُحْدِثُهَا الْعَامِلُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، سواء كانت بِالْحَرْفِ أَوْ بِالْإِضَافَةِ أَوْ بِالتَّبَعِيَّةِ، وقد اجتمعت في الْبَسْمَلَةِ، أَوْ بِالْمَجَاوِرَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَدَقَ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ

فَمَزْمَلٌ نَعَتْ لِكَبِيرٍ لَكِنَّهُ خَفَضَ بِمَجَاوِرَةِ بَجَادٍ أَوْ بِالتَّوَهُّمِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَدَا لِي أَنَّ لَسْتُ مُذْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقَ شَيْءٍ إِذَا كَانَ جَائِيًا

فسابق عطف على مدرك لكنَّه خَفَضَ عَلَى تَوْقَمِ بَاءِ الْجَرِّ فِي خَبَرِ لَيْسَ، أَيْ لَسْتُ بِمُذْرِكٍ شَيْئًا لَمْ يَسْبِقْ بِهِ الْقَدْرَ، وَلَا لِأَحَقِّ شَيْئًا سَبَقَ بِهِ الْقَدْرَ قَبْلَ وَفْتِهِ. وَعَبَّرَ الْمُصَنِّفُ بِالْخَفْضِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ الْكُوفِيِّينَ، وَعِبَارَةُ الْبَصْرِيِّينَ الْجَرُّ وَهُوَ أَفْصَحُ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِالتَّنْوِينِ وَهُوَ مُضَدَّرٌ تَوْنَتْ الْكَلِمَةُ، أَدْخَلْتُ عَلَيْهَا نَوْنًا، وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: تَوْنٌ سَاكِنَةٌ زَائِدَةٌ تَلْحَقُ الْآخَرَ، تَثْبِتُ لَفْظًا لَا خَطَأَ، لَغَيْرِ تَوْكِيدِ فَنَوْنٌ جِنْسٌ وَسَاكِنَةٌ: أَخْرَجَ بِهِ نَحْوَ ضَيْفَيْنِ وَرَعَشْنِ، لَغَةٍ فِي الضَّيْفِ وَالْمَرْتَعَشِ. وَزَائِدَةٌ: أَخْرَجَ بِهِ نَوْنٌ لَدُنْ. وَتَلْحَقُ الْآخِرَ: أَخْرَجَ نَحْوَ خَضَنْفَرٍ اسْمٌ لِلْأَسَدِ، وَلَغَيْرِ تَوْكِيدٍ: أَخْرَجَ لِنَسْفَةٍ وَلِيَكُونَ، فَإِنَّهَا نَوْنُ التَّوْكِيدِ. وَكُتِبَتْ بِالْأَلِفِ مُرَاعَاةً لِلْوَقْفِ؛ لِأَنَّهَا تَبْدُلُ فِي الْوَقْفِ أَلِفًا. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَأَبْدَلْنَاهَا بَعْدَ فَتْحِ الْفَا وَفُتَا كَمَا تَقُولُ فِي فَنَرٍ وَفَا

وهو أربعة أقسام:

تنوين التثنية: وهو الَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَمَكُّينِ الْاسْمِ فِي بَابِ الْاسْمِيَّةِ، بِحَيْثُ لَا شَيْءَ فِيهِ لِلْحَرْفِ قَبْلِي، وَلَا لِلْفِعْلِ فِيمَنْعَ مِنَ الصَّرْفِ، كَزَيْدٍ وَرَجُلٍ.

وتنوين التنكير: وهو الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى بَعْضِ الْأَسْمَاءِ الْمَبْنِيَّةِ، فَيَدُلُّ عَلَى تَنْكِيرِ الْكَلِمَةِ، أَيْ شَيْئِهَا إِنْ وَجَدَ، وَعَلَى تَعْرِيفِهَا أَيْ تَخْصِيصِهَا إِنْ قُيِّدَ، كَسَيِّبُونِهِ، فَإِنْ تَوْنَتْ دَلَّ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ اسْمُهُ سَيِّبُونِهِ، وَإِنْ لَمْ تَوْنَتْ دَلَّ عَلَى النَحْوِيِّ الْمَعْلُومِ إِمَامٍ

النحويين. وكذلك صه، إن تَوْنَتْه دَلَّ على أي سُكُوتٍ كَانَ، وإن لَمْ تَتَوْنَهُ دَلَّ على سُكُوتٍ معلوم من حديث معلوم، وكذلك إِيوٍ بِمَعْنَى حَدَثَ، فَإِنْ تَوْنَتْه دَلَّ على الأمر بأيِّ حَدِيثٍ كَانَ، وفي الحديث عنه عليه السلام: «إِيوٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» أي حَدَثَ بِمَا شِئْتَ. وَإِنْ لَمْ تَتَوْنَهُ دَلَّ على الأمر بحديث معهود.

وتنوين العِوَضِ: وهو الَّذِي يُعَوِّضُ عن حرف، كجَوَارٍ وَغَوَاشٍ، فاصله جَوَارِي وَغَوَاشِي، مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، ثُمَّ اسْتَشْقِلَتْ الضَّمَّةُ على الياء فَحُلِفَتْ، فَصَارَ جَوَارِي وَغَوَاشِي، ثُمَّ حُلِفَتْ الياء وَهُوَ ضَمْنُهَا التَّنْوِينُ على المشهور، أو عن كلمة كتَّنْوِينُ كل وبعض عند الجُمُهور. أو عن جُمْلَةٍ كَيَوْمُنِيذٍ وَحِينُنِيذٍ وَسَاعَتُنِيذٍ وَهَامَتُنِيذٍ. نحو: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾، «وَأَنْتَ جِيْلِي لِنُظْرَةٍ»⁽²⁾. والأصل يوم إذ غلبت الروم فارسًا يفرح المؤمنون. وحين إذ بلغت الروح الحلقوم. فعوض التنوين عن الجملة.

وتنوين المُقَابِلَةِ: وهو الَّذِي يَدْخُلُ على جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ فهو في مُقَابِلَةِ التَّوْنِ في جَمْعِ الْمَذَكَّرِ في الدَّلَالَةِ على تمام الكلمة. فإن التَّنْوِينُ يَدُلُّ على تمامها في المفرد. والنون يدل على تمامها في الجمع المذكر بِدَلِيلِ خَذْفِهَا لِلإِضَافَةِ، فجعل التَّنْوِينُ يَدُلُّ على التمام في جمع المؤنَّثِ في مُقَابِلَةِ التَّوْنِ في الْمَذَكَّرِ. ويُعْرَفُ أَيْضًا بِدُخُولِ الأَلِفِ وَاللَّامِ. سواءَ كَانَتْ لِلتَّعْرِيفِ أو زَائِدَةً كَالْحَارِثِ وَالضَّحَّاكِ، أو مَوْصُولَةً كَالضَّارِبِ وَالْقَائِمِ على قَوْلِ الْأَكْثَرِ. وقيل: الموصولة غير مختصة بالأسماء. فقد تدخل على المضارع كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدْلِ

أي الَّذِي تَرْضَى حُكُومَتَهُ وَالْمَشْهُورَ أَنَّهُ ضَرُورَةٌ، وَهَلْ أَنْ يَرُمَّتْهَا لِلتَّعْرِيفِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ أو اللَّامُ فَقَطْ وَهُوَ مَذْهَبُ سَيِّبَوْنِهِ، خِلَافَ. ويُعْرَفُ أَيْضًا بِحُرُوفِ الْخَفْضِ، وَيُسَمَّىهَا الْبَصْرِيُّونَ حُرُوفَ الْجَرِّ؛ لِأَنَّهَا تَجْرُ مَا بَعْدَهَا. نحو: بَزِيدُ وَبِكَ وَمَنْكَ وَبِكَ وفي ذَلِكَ. فهذه كلها أسماء، وقد تجتمع علامتان فأكثر في كلمة واحدة كما هو معلوم.

■ الإِشَارَةُ:

فَالِاسْمُ الَّذِي تَذَكَّرُهُ وَتُسْتَهْتَرُ بِهِ وَهُوَ اللَّلهُ لِأَنَّ الْاسْمَ هُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى يُعْرَفُ بِالْخَفْضِ وَهُوَ التَّحَقُّقُ بِالذَّلِّ وَالسُّفْلِيَّاتِ. قال الشاعر:

تَذَلُّلٌ لِمَنْ تَهَوَّى فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلٌ إِذَا رَضِيَ الْمَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الْوَضَلُ
وقال آخر:

تَذَلُّلٌ لِمَنْ تَهَوَّى لَتَكْسِبَ عِزَّةً فَكَمْ عِزَّةٌ قَدْ نَالَهَا الْمَرْءُ بِالذُّلِّ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهَوَّى عَزِيزًا وَلَمْ تَكُنْ ذَلِيلًا لَهُ فَأَقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى الْوَضَلِ

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عَزَّوْا، وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا». والمراد بالذُّلُّ، هو ذُلُّ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ. يَظْهَرُ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَقْرَانِ، لَمَمَاتٍ بِهِ النَّفْسُ سَرِيعًا فَتُخَيَّا الرُّوحَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَشُهُودِهِ؛ وَذَلِكَ كَالْمَشْيِ بِالْخَفَاءِ، وَتَعْرِينَ الرَّأْسِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ، وَالسُّوَالِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْحَوَانِيتِ، فَبِهَذَا هُوَ الذُّلُّ الَّذِي يَعْقِبُهُ الْعِزُّ بِاللَّهِ وَتَحْيَا بِهِ الرُّوحُ بِشُهُودِ مَوْلَاهَا وَيُعَرَفُ بِهِ اللَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَيَانِ لَا مَعْرِفَةَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وبالله التوفيق.

وَيُعَرَفُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا بِالتَّنْوِينِ:

إِنَّمَا تَنْوِينُ التَّمَكِينِ بَأَن يَمْكُنَهُ اللَّهُ مِنْ صَحْبَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ عَارِفٍ بِاللَّهِ ثُمَّ يَمْكُنُهُ مِنْ خِدْمَتِهِ وَصَحْبِيَّتِهِ ثُمَّ يَمْكُنُهُ مِنْ شُهُودِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ.

وَأَمَّا تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ بَأَن يَتَنَكَّرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَيَفِرُّ مِنْهُمْ حَتَّى يَتَأَنَسَ بِاللَّهِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ فِي شَأْنِ مَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ: تَتَنَكَّرُ لِمَنْ تَعْرِفُ وَلَا تَتَعَرَّفُ لِمَنْ لَا تَعْرِفُ. وَفِي الْحِكْمِ: «مَهْمَا أَوْحَشَكَ مِنْ خَلْقِهِ فَاغْلَمْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُؤْنِسَكَ بِهِ». وَقَالَ أَيْضًا: «مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ يَثُلُ عِزْلَةً يَدْخُلُ بِهَا مِيدَانُ فِكْرَةٍ».

وَأَمَّا تَنْوِينُ الْعِزِّ بِأَن يُعَوِّضَ الْغِنَى بِالْفَقْرِ، وَالْعِزُّ بِالذُّلِّ، وَالْخِلَاطَةُ بِالْعِزْلَةِ، وَهَكَذَا يَبْدُلُ الْأَشْيَاءَ الْقَبِيحَةَ بِأَضْدَادِهَا.

وَأَمَّا تَنْوِينُ الْمَقَابِلَةِ، فَيُقَابِلُ عِزَّ الرَّبُّوبِيَّةِ بِذُلِّ الْعِبَادِيَّةِ، تَحَقُّقُ بِوَضْفِكَ يَمُدُّكَ بِوَصْفِهِ، تَحَقُّقُ بِفَقْرِكَ يَمُدُّكَ بِغِنَاهُ، تَحَقُّقُ بِضَعْفِكَ يَمُدُّكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. وَلَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَحَقُّقُ بِوَضْفِ الْفَقْرِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا أَسْرَعَ الْغِنَا إِذَا صُحِّحَ الْفَقْرُ
وَلِنْ تُرِدَنْ بَسْطَ الْمَوَاضِبِ عَاجِلًا فَبِئْسَ الْغَافِقَةُ رِيحُ الْمَوَاضِبِ يُنْشَرُ
وَلِنْ تُرِدَنْ عِزًّا مَنِيعًا مُؤَبَّدًا فَبِئْسَ الذُّلُّ يَخْفَى الْعِزُّ بَلْ لَمْ يَظْهَرْ
وَلِنْ تُرِدَنْ رَفْعًا لِقُدْرِكَ عَالِيًا فَبِئْسَ وَضْعُكَ النَّفْسَ الدُّنْيَا يَخْضُرُ
وَلِنْ أَرَدْتَ الْعِزَّ فَإِنَّ عَنِ الْوَرَى وَعَنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ سِوَى الْحَقِّ تَظْفَرُ

تَرَى الْحَقَّ فِي الْأَشْيَاءِ حِينَ تَلَقَّفَتْ فَبِئْسَ كُلُّ مُوجُودٍ حَبِيبِي ظَاهِرٌ
يُقَابِلُ أَيْضًا الْأَوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ، كَالْبُخْلِ بِالسَّخَاءِ،
وَالتَّكْبَرِ بِالتَّوَاضُعِ، وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ بِسَلَامَةِ الصُّدْرِ، وَالْقُلُقِ وَالْجِدَّةِ بِالرَّزَانَةِ وَالتَّائِي
وهكذا يُقَابِلُ الْمَسَاوِي بِالْمَحَامِينِ وَيُقَابِلُ الدَّاءَ بِالذَّوَاءِ.

وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِدُخُولِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ وَهُوَ إِمَارَةٌ إِلَى دُخُولِ الْحَضَرَةِ الْمُقَدَّسَةِ،
فَإِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ، وَمُعْرَفَةٌ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّاهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ وَخُلَفَائِهِمْ؛
وَهِيَ مَحَلُّ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُكَالَمَةِ وَالْمُوَاجَهَةِ وَالْمُكَافَحَةِ، وَدُخُولُهَا يَكُونُ بِتَحْقِيقِ مَا
تَقَدَّمَ فِي الْعَلَامَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَيُعْرَفُ الْحَقُّ تَعَالَى أَيْضًا الَّذِي هُوَ مَسْمُومٌ الْأَسْمَاءِ بِحُرُوفِ الْخَفْضِ، أَيْ
بِأَسْبَابِ الْخَفْضِ وَهِيَ كُلُّ مَا يَخْفِضُ النَّفْسَ وَيَنْزِلُ بِهَا إِلَى أَرْضِ التَّوَاضُعِ وَالتَّسْفِليَّاتِ
كَمَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَهْلَمُ.

ثُمَّ يَبَيِّنُ حُرُوفَ الْخَفْضِ فَقَالَ: وَهِيَ:

■ مِنْ:

مَبْنِيَّةٌ عَلَى السَّكُونِ، إِلَّا إِنْ وَلَّيَهَا سَاكِنٌ كَالْأَلِفِ وَاللَّامِ فَتُفْتَحُ عَلَى خِلَافِ أَضْلٍ
التَّضَاءِ السَّاكِنِينَ. قَالَ الْجَزِيرِيُّ: إِنَّمَا ذَلِكَ لَكُسْرَةِ الْمِيمِ، فَكَبَّرُوا التَّضَاءَ كُسْرَتَيْنِ. قُلْتُ:
يَرِدُ بِمَا إِذَا كَانَ السَّاكِنُ غَيْرَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ فَإِنَّهُمْ يَكْسِرُونَهُ نَحْوًا: فَرَزْتُ مِنْ اِبْتِدَاءِ
زَيْدٍ، وَإِنَّمَا فَتَحَ مَعَ أَلٍ لِلتَّخْفِيفِ، وَيَبْقَى عَلَى أَضْلِهِ فِي غَيْرِ أَلٍ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ
وَالْفَرَّاءُ: أَضْلُهَا مَثَلُ فَخُفِّتْ بِحَذْفِ الْأَلِفِ وَتَسْكِينِ التَّوْنِ لِكُسْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ هـ. فَإِذَا
وَلَّيَهَا أَلٍ رَجَعَتْ إِلَى أَضْلِهَا مِنْ فَتْحِ التَّوْنِ وَلِهَا مَعَانٍ، أَشْهَرُهَا اِبْتِدَاءُ الْغَايَةِ أَيْ اِبْتِدَاءِ
شَيْءٍ لَهُ غَايَةٌ فِي الْمَكَانِ كَثِيرٌ وَفِي الزَّمَانِ قَلِيلٌ، فَمِنْ الْأَوَّلِ: ﴿مِنْكَ السَّيِّدُ الْحَكِيمُ
إِلَى السَّيِّدِ الْأَقْسَا﴾ [الْإِسْرَاءُ: الْآيَةُ 1]، ﴿مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الْكَهْفُ: الْآيَةُ
37] مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ. وَمِنْ الثَّانِي: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾
[التَّوْبَةُ: الْآيَةُ 108]، مُطَرَّنًا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَلِلتَّبَعِيزِ وَهِيَ الَّتِي يَصْخُ
مَوْضِعُهَا بَعْضُ نَحْوٍ: ﴿فِيهِمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البَقَرَةُ: الْآيَةُ 253]، ﴿لَنْ نَقُولَ إِلَهًا حَقًّا
تُؤْتُوا مِنَّا خُبْرًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ 92]. وَلِلْيَانِ: أَيْ لِبَيَانِ الْجِنْسِ، وَكَثِيرًا مَا تَقَعُ
بَعْدَ مَا، وَمَهْمَا، لِكُسْرَةِ إِنْهَامِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البَقَرَةُ: الْآيَةُ
106]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [فَاطِرُ: الْآيَةُ 2]، ﴿مَهْمَا تَأْكُلَا مِنْ يَدَيْهِ مِنْ آيَةٍ﴾
[الْأَعْرَافُ: الْآيَةُ 132]، وَمِنْ غَيْرِهِمَا: ﴿فَنَاجَيْتُكُمَا مِنَ الْأَوَّلَيْنِ﴾ [الْحَجَّ: الْآيَةُ
30]، ﴿وَيَنْبِئُونَ بِآيَاتِ خُفْرٍ مِنْ مَسْنُونٍ﴾ [الْكَهْفُ: الْآيَةُ 31]. وَتَزَادُ لِلتَّنْصِيفِ عَلَى

العموم، مسبوقه بنفي أو نهي أو استفهام بهل نحو: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَبَرَةٌ﴾ [الأعراف: الآية 59]، ونحو: لا تضرب من أحد، ﴿هَلْ تُحِشُّ بِثَنَمٍ مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: الآية 98]. زاد في المعنى: أن يكون المزيد فيه فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ، بخلاف الخبر أو الحال أو التمييز المنفيان. ولها معانٍ غير هذا تركنا ذكرها خوف الإطالة، وهي أقوى حروف الجر. ولذلك اختصت بالدخول على عند ولدن من ظروف المكان.

■ وإلى:

لانتهاء الغاية في الزمان والمكان، نحو: ﴿إِلَى الْمَسِيدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية 1]، ﴿ثُمَّ أَيْنَا السَّيِّئَاتِ إِلَى الْبَلَدِ﴾ [البقرة: الآية 187]. وتكون بمعنى في وبمعنى اللام وبمعنى من، كما في التسهيل.

■ وعن:

للتجاوز. نحو: رميت الشهم عن القوس. وبمعنى على، نحو: ﴿وَمَنْ يَسْخَلْ فَإِنَّمَا يَسْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: الآية 38] أي على نفسه. وقد تجيء بمعنى بعد، كقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: الآية 19]، أي حالاً بعد حال.

■ وعلى:

للاستغلاء حساً، نحو: ﴿وَعَلَى الْفَلَاحِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية 12] أو معنى، نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى مَلَكٍ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية 2] أي راكبين على متن الهداية، متمكّنين منها، وبمعنى في، نحو: ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ مُّسْنَدًا﴾ [البقرة: الآية 102].

■ وفي:

للظرفية مكانية أو زمانية نحو: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ۖ فِي أَثَرِ الْأَرْضِ﴾ [الروم: الآيتان 2، 3]، ﴿فَمَبَاطُ نَلَقَ الْأَمْرِ فِي اللَّحْجِ﴾ [البقرة: الآية 196] أي في زمانه. والسببية، نحو: ﴿لَسَكَرَ فِي مَا أَفْضَرُ﴾ [النور: الآية 14]، أي بسبب ما أفضت فيه من حديث الإفك.

■ ورُبَّ:

للتقليل دائماً عند الأكثر، أو للتكثير دائماً عند البغض، أو للتقليل غالباً والتكثير قليلاً. وقيل: لم توضع لواحد منهما وإنما يفهم ذلك من خارج، واختاره أبو حيان.

وقيل: وَضِعَتْ لهما معاً من غير غَلَبَةٍ وَقَالَ الْأَعْلَمُ⁽¹⁾ وابن السَّيِّد⁽²⁾ بكسر السين: للتكثير في مَوْضِعِ الْإِفْتِخَارِ، وللتقليل فيما عَدَا. وَهَلْ يَجِبُ نَعْتُ مَجْرُورِهَا قَوْلًا لَا. قَالَ فِي التَّشْهِيلِ: وَلَا يَلْزَمُ وَصْفُ مَجْرُورِهَا، خِلَافًا لِلْمُبَرِّدِ وَمَنْ وَافَقَهُ. وَلَا مَضِي مَا تَعَلَّقَ بِهِ، بَلْ يَلْزَمُ تَصْدِيرُهَا، وَتَكْثِيرُ مَجْرُورِهَا. فَإِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا مَا، دَخَلَتْ عَلَى الْجَمَلِ، وَزَالَ اخْتِصَاصُهَا بِالْأَسْمَاءِ، نَحْوُ: ﴿رَبَّمَا يُؤَدِّ الْأَيْدِينَ كَفَرًا﴾ [الحجر: الآية 2]. وَتَخْفِيفُ الْبَاءِ لَعَنَةً فِيهَا. وَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَيْهَا تَاءُ التَّانِيثِ فِي اللَّغَتَيْنِ مَعًا.

■ وَالْبَاءُ:

لِلْإِلْصَاقِ، نَحْوُ: أَمْسَكَتْ بَزِيدٍ. وَمَثَلُهُ: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [المائدة: الآية 6] عِنْدَ مَالِكٍ، وَلِلتَّبَعِيضِ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ. وَتَكُونُ لِلْإِسْرَافَةِ، نَحْوُ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. وَتَلْمُصَاحِبَةِ كَالْبَسْمَلَةِ. وَلِلتَّعْدِيَةِ، نَحْوُ: مَرَزْتُ بَزِيدًا، إِذَا كَانَ الْفِعْلُ قَاصِرًا عُدِّي بِهَا. وَلِلْعَوَضِ ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: الآية 32] أَيِ عَوَضِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُعْطَى بِعَوَضٍ قَدْ يُعْطَى مَجَانًّا أَيِ بِلَا عَوَضٍ، بِخِلَافِ الَّذِي يُعْطَى بِسَبَبٍ. فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ سَبَبِهِ. فَلَيْسَتْ الْبَاءُ حِينَئِذٍ سَبَبِيَّةً، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكِنْ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ. فَيَسْتَفِي التَّعَارُضُ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ، وَيُجَابُ أَيْضًا بِأَنَّ الْآيَةَ شَرَعَتْ، وَالْحَدِيثُ حَقٌّ، فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا لَا زِمَ.

■ وَالْكَافُ:

لِلتَّشْبِيهِ نَحْوُ: ﴿وَرَدَّهُ كَالْإِهَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: الآية 37]. وَلِلتَّلْغِيلِ: ﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَذَا نَعْمَكُمْ﴾ [البقرة: الآية 198]، وَمِنْهُ قَوْلُ الْقُطُبِ ابْنِ مَشِيشٍ⁽³⁾ فِي تَضْلِيلِهِ

(1) يوسف بن سليمان الشَّتَمْرِي الأَنْدَلِسِيُّ، أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَعْلَمِ (المشقوق الشقة): عَالِمٌ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ. وَلَدَ فِي شَتْمَرِيَةِ الْغَرْبِ سَنَةَ 410 وَرَحَلَ إِلَى قُرْبَةِ. مَاتَ فِي إِسْبِيلِيَّةِ سَنَةِ 476. فَضَى حَيَاتُهُ كُلَّهَا بِالْأَنْدَلُسِ وَكَانَتْ مِلَّةً بِالتَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ. لَهُ فِي اللُّغَوِيَّاتِ شَرْحُ شُعْرِ الشُّعْرَاءِ السَّتَةِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَشَرْحُ آيَاتِ شَوَاهِدِ كِتَابِ سَيُوهٍ، وَشَوَاهِدِ الْجَمَلِ، وَشَرْحُ شُعْرِ أَبِي تَمَامٍ. وَمِنْ أَهَمِّ كُتُبِهِ فِي التَّحْوِ شَرْحُهُ لِكِتَابِ سَيُوهٍ الْمَعْرُوفِ بِالنَّكْتِ.

(2) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّيِّدِ، أَبُو مُحَمَّدٍ: مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ. وَلَدَ فِي بَطْلَيُْوسَ فِي الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ 444 وَنَشَأَ بِهَا. انْتَقَلَ إِلَى بِلَنَسِيَّةٍ فَسَكَنَهَا وَتُرِفِي بِهَا سَنَةَ 521. مِنْ كُتُبِهِ: الْإِقْتَضَابُ فِي شَرْحِ أَدَبِ الْكِتَابِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ، الْإِنْصَافُ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي آرَائِهِمْ، الْحَدَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ، شَرْحُ سَقَطِ الزُّنْدِ، احْلُلْ فِي شَرْحِ آيَاتِ الْجَمَلِ، وَشَرْحُ الْمُوَطَّأِ.

(3) عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مَشِيشٍ (أَوْ بْنُ بَشِيشٍ) بْنُ أَبِي يَكْرَ الْإِدْرُوسِيِّ الْحَسَنِيِّ: مِنْ أَقْطَابِ الْمَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ، شَيْخُ الْإِمَامِ الشَّاذِلِيِّ. لَهُ كَلَامٌ فِي الْحَقَائِقِ وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ مَشْهُورَةٌ: الصَّلَاةُ الْمَشِيئَةُ. وَلَدَ بِجَبَلِ الْعِلْمِ، شَمَالِ الْمَغْرِبِ، وَقُتِلَ فِيهِ شَهِيداً سَنَةَ 622.

المشهوره: «كَمَا هُوَ أَهْلُهُ». وللمبادرة، كقول صاحب الرسالة: وَلَيَرْقُ الْمُنْبِرُ كَمَا يَدْخُلُ. وَقَدْ تَزَادَ نَحْوُ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: الآية 11] أي ليس مثله شيء.

■ وَاللَّامُ:

للاستحقاق نحو الحمد لله. وللملك: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [النساء: الآية 170]. وللتملك، نحو: وهبت لزيد مالاً. وشبه التملك، نحو: «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا» [طه: الآية 53]. أو للتعليل، نحو: «لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ①» [قریش: الآية 1]، أي فليعبدوا لأجل إيلافهم الرحلتين وهي مكسورة، إلا إن دخلت على المضمر فتفتح، بخلاف الباء مكسورة مطلقاً. ورؤي فتحها مع الظاهر فيقال بزيد، قاله السوداني⁽¹⁾.

■ وَحُرُوفِ الْقَسَمِ:

يصح أن يقرأ بالرفع عطفاً على من، وبالنخفض عطفاً على بالنخفض، بناء على أن المعاطف إذا تعددت هل تعطف على الأول، أو كل واحد على ما يليه. والقسم: اسم مصدر أقسم وهو الحلف، وهو في عرف الفقهاء: تحقيق ما لم يجب بذكر الله أو صفته وهي:

■ الواو:

وتختص بالظاهر، نحو: «وَاللَّهُ رِئًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» [الأنعام: الآية 23]، «وَالشَّيْءُ ① وَالْأَيْلُ إِذَا سَجَى ②» [الضحى: الآيتان 1، 2]. ويجب معها إضمار فعل القسم، فلا يظهر أبداً. وهل هذه الواو هي العاطفة كواو رُبَّ عطفت على مُقَدَّرٍ - قاله البيهقي⁽²⁾ - وَغَيْرُهُ - أو بَدَل من الباء والشاء بدل منها، وبه جزم الزمخشري⁽³⁾ وابن مالك وغيرهما، قولان، والأصح الثاني.

(1) أحمد بن أندخ محمد، وكان هذا اللفظ عند أهل السودان من الألفاظ الدالة على التعظيم، السوداني، كان جامعاً للنحو وأصول الفقه وأصول الدين، تولى القضاء بـتَبُكَّتْ، ولد عام 991 وتوفي عام 1044. شرحه على الجرومية كان متداولاً بفاس.

(2) أحمد بن علي بن محمد البيهقي: لغوي، عالم بالقرآت، من أهل نيسابور، أصله من بيهق. من مصنفاته: بتابع اللغة، والمحيط بدعات القرآن. ولد سنة 470 وتوفي سنة 544.

(3) محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر، من قرى خوارزم، سنة 467. سافر إلى مكة وتقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم فتوفي فيها سنة 538. أشهر كتبه: الكشف في التفسير، وأساس =

■ والثاء:

وتختص بالله، نحو: ﴿ثَالِثًا لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [التحل: الآية 63] فلا تجز غيره ظاهراً ولا مضمراً، وسمع تالرحمن وترب الكعبة وتحياتك. وتقدم أنها بدل من الباء. وقال قطرب⁽¹⁾: هي حرف مستقل للقسم ولم يذكر الباء مع أنها من حروف القسم اكتفاء بذكرها في حروف الجر؛ لأن القسم معنى من معاني الباء والقسم في الباء أصلي، ولذلك جاز إظهار فعل القسم معها نحو أقسمت بالله، ويجوز حذف الباء فينصب تاليها بإضمار فعل القسم أو يرفع على الابتداء نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ﴾ [ص: الآية 84] قرئ بالوجهين معاً في الأول، والله تعالى أعلم. وبقي من علامات الاسم النداء والإسناد إليه نحو: يَا زَيْدُ، وقمت، وعلمت، فالتاء اسم لأنك أشدت إليها القيام والعلم، فالاسم يُسند ويُسند إليه، بخلاف الفعل، فإنه يُسند ولا يُسند إليه. وبالله التوفيق.

■ الإشارة:

فإن: إشارة إلى ابتداء السير.

والى: إشارة إلى انتهائيه، فليُمرِّد بداية؛ وهي المجاهدة، ونهاية وهي المشاهدة. فمن أشرقَتْ بدايته، أشرقَتْ نهايته. فإشراق البداية: هي القريحة الوقادة، والكذب والجذ في مجاهدة النفس، وعمارة الأوقات، وإشراق النهاية: هي دوام شهود الحق، والعكوف في حضرة القدس، ومحل الأنس.

والناس ثلاثة أقسام:

قوم قنعوا بمقام الإيمان، ولم ترفع همَّتْهم إلى طلب العيان. فهؤلاء لا سير لهم من عوالم المسلمين.

وقوم تعلقت همَّتْهم بالوصول، واستعملوا شيئاً من عبادة الظاهر، لكن لم يظفروا بشيخ التربية، ولم يقدروا على صحبته، ولم تسمح نفوسهم بالتجريد وخرق

البلاغة، والمفصل. له أيضاً: المستقصى في الأمثال، والقسطاس في العروض، وديوان شعر. كان معتزلي المذهب، شديد الإنكار على المتصوفة.

(1) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، وهو أول من وضع المثلث في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيويه فلزمه. من كتبه: معاني القرآن والنوادر في اللغة، والأزمنة، والأضداد، وخلق الإنسان، وغريب الحديث. توفي سنة 206.

العوائد، فهؤلاء صالحون أبرار؛ وَهُمْ أَيْضًا مِنْ عَامَّةِ أَهْلِ الْيَمِينِ، سواء كانوا من العباد أو الزهاد أو العلماء الأنجاد؛ لأنهم حيث لم يخرقوا عوائد أنفسهم لَمْ يَتَحَقَّقْ سَيْرُهُمْ، «فَلَوْلَا مَيَادِينُ النَّفُوسِ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ» [الحكم العطائية]، «كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد» [الحكم العطائية].

وقوم ارتفعت هممهم إلى الوصول وظفروا بشيخ التربية، وقواهم الله على صحبتهم وخدمتهم، وتجرّدوا من عوائدهم، فأشرقت بدايتهم بالمجاهدة والمكابدة، وأشرقت نهايتهم بدوام المشاهدة. فهؤلاء خاصة الخاصة وهم المقرّبون السابقون، جعلنا الله من خواصهم، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَهُنَّ: تشير إلى المجاوزة عن العلائق والشواغل إذ لَا يَصُحُّ السَّيْرُ مَعَ الْعَلَائِقِ وَالشَّوَاعِلِ. وكان شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُقَسِّمَ لَكُمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ عَالَمَ الْمَلَكُوتِ مِنْ فِي قَلْبِهِ عُلُقَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: الآية 94] أي جئتم إلى حضرتنا فرادى من علائق القلب وشواغله، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَحْذَرَ الْيَسْمَ فَاوَى﴾ [الضحى: الآية 6] أي يتيمًا مِنَ السُّوَى فَأَوَاكَ إِلَى حَضْرَتِهِ. وقال الشاعر:

فَارَزَ مَنْ خَلَّ الشَّوَاعِلَ وَلِمَحَبُوبٍ تَوَجَّهَ

وعلى: إشارة إلى الاستغلاء على النفس بالقهر والغلبة، وعلى السَّيْرِ بالنظر والرعاية، وعلى الهداية بالتمكين والعناية، «أَوَّلَيْكَ عَلَى هَذِهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوَّلَيْكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ» [البقرة: الآية 5].

وفي: إشارة إلى دخول الحضرة والتمكّن فيها تَمَكُّنَ الْمَظْرُوفِ فِي الظرف، فتصير مأواه ومعشش قلبه، فيها يَسْكُنُ وَإِلَيْهَا يَأْوِي. أو تشير إلى الذهاب في الله بعد الذهاب إليه. قال تعالى حاكياً عن خليله عليه السلام: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ» [الصافات: الآية 99] أي سيهدين إلى الذهاب فيه بعد الذهاب إليه؛ وهو الغرق في بحر الأحديّة. فالذهاب إليه حال السائرين والذهاب فيه حال الواصلين.

ورُبَّ: إشارة إلى قلّة وجود أهل الخصوصية. قال تعالى: «وَقَلِيلٌ مِمَّا هُمْ» [ص: الآية 24]، وقال تعالى: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ» [سبأ: الآية 13]. فهم أكسير الوجود، مَنْ ظَفَرَ بِهِمْ ظَفَرُ الْغِنَى الْأَكْبَرِ وَالسُّرِّ الْأَبْهَرِ، أو إلى كثرتهم لَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ العناية وحسن ظنه بالله وعبادته.

والبناء: إشارة إلى استيعابهم بالله في سائرهم وظفرهم بالله في وصولهم، «فَمَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ بَدَايَتُهُ كَانَتْ إِلَيْهِ نِهَائَتُهُ»، «فَهُمْ مُبْرَوُّونَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوتُهُمْ فِي سَيْرِهِمْ وَوُصُولِهِمْ. أو إشارة إلى مصاحبتهم لله في غيبتهم وحضورهم وفي جميع شؤونهم،

قد اتخذوا الله صاحبًا، وتركوا الناس جانبًا ﴿فَلَمَّا آعَزَكُمْ وَمَا يَشْكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مریم: الآية 49]، فالاعتزال عن الخلق سبب في مَوَاهِبِ الْحَقِّ. أو إلى مصاحبتهم لمن يدل على الله بمقاله وَيُنْهَضُ إِلَيْهِ بِحَالِهِ، فالصُحبة عند هؤلاء رُكْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرْكَانِ التَّصَوُّفِ، يُذَرِّكُ بِهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يُذَرِّكُ فِي سَنِينَ بِالْمَجَاهِدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ، وَجَرَّبَ فِي التَّجْرِبِ عِلْمَ الْحَقَائِقِ.

والنَّكَافُ: تشير إلى التشبه بالقوم في زِيْنِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ. «فَمَنْ نَشَبَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» بشرط العمل والإخلاص.

و اللام: إشارة إلى استحقاق الولاية وملكها بالصحبة و التشبه بالقوم مع الإخلاص والتجريد من الهلائق حتى تشرق عليه أنوار الحقائق ويملك الوجود بأسرِهِ من عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ، يتصرف فيه بِهَيْئَةٍ وَيُدَوِّرُهُ فِي لَمَحَةٍ بِفِكْرِهِ. وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُ:

لَكَ الدَّهْرُ طَوْنٌ وَالْأَنَامُ عَيْدٌ فَيْشُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدٌ

وحروف القسم: إشارة إلى كَوْنِهِمْ لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُمْ فِي قَسَمِهِمْ وهذا مقام المحبوبين، جعلنا الله من خواصهم بِمَنْزِلَةِ وَكَرَمِهِ.

ثم ذكر علامة الفِعْلِ فقال: والفعل يُعْرَفُ بِقَدْ وَالسَّيْنِ وَسَوْفَ وتاء التانيث الساكنة.

يعني أَنَّ الْفِعْلَ يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِيهِ بِقَدْ. فهي مختصة بالفعل المنصرف الخبري المثبت المجرد من ناصبٍ وَجَازِمٍ. فَلَا تَدْخُلُ عَلَى الْجَائِدِ كَفَسَى وَلَيْسَ، وَلَا عَلَى الْإِنْشَائِيِّ كَبِغْتَ وَأَنْكَحْتَ، وَلَا عَلَى الْمَنْفِيِّ، وَلَا عَلَى الْمُقْتَرَنِ بِنَاصِبٍ أَوْ جَازِمٍ. وَمَعْنَاهَا التَّوَقُّعُ فِي الْمَضَارِعِ، نحو: قد يقدم الغائب إذا كَانَ يُنْتَظَرُ وَقَوْعُهُ، وتقريب الماضي من الحال، تقول: قام، فتحتمل الماضي والقريب والبعيد. فإذا قلت: قد قام، اختصَّ بالقريب، والمشهور من أحوالها أنها تفيد التحقيق مع الماضي، والتقليل مع المضارع إِلَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلِأَنَّهَا تَفِيدُ التَّحْقِيقَ فِيهِمَا، وَلَا تَفِيدُ التَّحْقِيقَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ. وقد تفيد التكثير، نحو: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [البقرة: الآية 144] وقد تدخل على الجُمْلَةِ الاسمية كقول الششتري⁽¹⁾:

(1) علي بن عبد الله النميري الششتري، أبو الحسن: صوفي أندلسي من أهل ششت، قرية بوادي آش بالأندلس. ولد سنة 610. تنقل في البلاد بين المغرب و المشرق، توفي بقرب دمياط سنة 668. يقول فيه المقرئ في نفع الطيب: "عروس الفقهاء وأمير المتجربين، من أهل العلم والعمل". من كتبه: المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، الرسالة العلمية، العروة الوثقى في بيان السنن، وديوان شعر ذائع الصيت خاصة في الدوائر الشاذلية.

لَقَدْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ لَمَنْ رَأَيْتَنِي
أَنَا الْمُحِبُّ الْحَبِيبُ مَا قَدْ رَأَيْتَنِي

وبه أنه أن يحمل على حذف الفعل. أي لقد علمت أنني أنا شيء عجيب. وقد تكون إسماً بمعنى حبيب، فتضاف إلى الاسم نحو: قد زيد درهم أي حسبه درهم. والسين وسوف: وهما مختصان بالمضارع، فالسين للتفيس، وسوف للتشويق، وهو أوسع زماناً من انتفس، هذا مذهب النصريين، وقال الكوفيون زمانهما واحد. ويؤيده تعاقبهما على معنى واحد. قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية 146]، ﴿أُولَئِكَ سَتُوْنُهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية 162]. وفي سوف لغات يقال سَوْ وَسَيَّ وَسَف.

وتاء التانيث الساكنة: وهي مختصة بالفعل الماضي، واحترز بها الساكنة من المتحركة، فإنها مختصة بالأسماء كرحمة ونعمة، ومن المتحركة بحركة البناء كلات وربت وتمت، فإنها تلحق الحروف، وبهذه العلامة استدلت على فعلية ليس، وعسى، وبس ونعم، لقولهم: نعمت وبينت وليست وعست، خلافاً لمن زعم اسمية نعم وبس، وهم الكوفيون وبحرفية عسى وعو ثعلب⁽¹⁾ وحرفية ليس وهو الفارسي⁽²⁾ وبقي من علامات الفعل تاء الفاعل نحو: قمت، وباء المخاطبة كقومي. وتون التوكيد كآضربن والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

والفعل الذي يصل به إلى الله تعالى ويحصل به الوصول إلى حضرة القدس يُعرف بقد التي تفيد الجزم والتصميم؛ وهو العزم على البر والتقوى، «الجزم بدوام السير حتى يصل أو يموت، فبهذا يحصل للمريد الوصول. فقد قالوا في شروط الفقير: هي حسن الخدمة وحفظ الحرمات وتعظيم النعمة ونفوذ العزيمة، ونفوذ العزيمة

(1) أبو العباس أحمد بن حنبل المعروف بثعلب: رئيس مدرسة الكوفة في النحو واللغة. ولد عام 200 ببغداد وتوفي بها عام 241. من كتبه: الفصيح، وقواعد الشعر، ومجالر ثعلب، وشرح ديوان زهير، وشرح ديوان الأحنى، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن. كانت له منافسة مشهورة مع المبرد إمام البصريين، استمرت 40 سنة.

(2) الحسن بن أحمد المعروف بابي علي الفارسي: أحد الأئمة في علم العربية والنحو والقراءات. ولد في فسا من أعمال فارس عام 288 وتوفي ببغداد عام 377. كان متهماً بالاعتزال. من مصنفاته: الإيضاح، والتذكرة في 20 مجلد، وتعاليق سيبويه، وجواهر النحو، وكتاب الحجة في حلل القراءات السبع.

هو تصميم العزم على السير إلى الوصول، فإذا كَلَّ أو ضعف جدد العزم حتى يصل. وفي ذلك يقول القائل:

قَدْ جَدُّوا فِي السَّيْرِ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَى وَمَنْ صَبَرَ

فإذا خاف على نفسه الملل والرجوع نفَسَ لَهَا شَيْئًا مَا يَتْرَكَ المجاهدة وسوف لها بالراحة والبشارة بالوصول، وإليه الإشارة بقوله: والسين وسوف. ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي يُعرَف بترك السين وسوف، أي بترك التسويف، فيكون إشارة إلى المبادرة وانتهاز الفرصة قبل فوات الوقت، وإليه أشار ابن الفارض بقوله:

وَجَدَّ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجَدَّدَ تَجَدَّدَ نَفْسًا فَالْنَفْسُ إِنْ جُدَّتْ جُدَّتْ

وكذا يُقال في قوله: وتاء التانيث، أي وترك صحبة التانيث، فإن صحبة النساء من أعظم القواطع للمريد. قال (ص): «ما تَرَكْتُ بَعْدِي أَضْرَّ عَلَى الرُّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». وقد حذَّر كثير من الصوفية الفقير من التزوُّج قبل الوصول إلا إن كَانَ في صحبة الشيخ ملتصقًا به وقد أُذِنَ لَهُ في التزوُّج، فقد لا يضره، والله تعالى أعلم.

ثم ذكر علامة الحرف فقال: والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل.

يعني أن الحرف هو الذي لا يقبل شيئًا من علامات الأسماء ولا من علامات الأفعال، كَهَلْ وَقَدْ، فلا تقبل علامات الأسماء ولا علامات الأفعال. فلا تقول: الهَلْ، وَلَا الْقَدْ، وَلَا شيئًا من حروف الجر، وَلَا السين وَلَا سوف، وَلَا تاء التانيث. فَعَلَامَةُ الحرف هو ترك العَلَامَةِ، فمثاله كَحَرْفِ الجيم والحاء والخاء، فالجيم يُعرَف بالنقطة من تحت، والحاء بالنقطة من فوق، والحاء بالإهمالي، وإليه أشار بعضهم بقوله:

وَالْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عِلَامَةٌ تَرْكُ الْعِلَامَةِ لَهُ عِلَامَةٌ

■ الإشارة:

والحرف، أي ودور الحرف الظلّمانِي وهو الذي يعبد الله على حرف أي طرف من الدين وطمع ﴿فَإِنْ أَمَّا هَ خَيْرٌ أَمَّا أَنْ يَدَّ وَإِنْ أَمَّا هَ فَنَسْأَلُ عَنْ وَجْهِهِ﴾ [الحج: الآية 11]، لا يصلح للسير بالذخر ولا بالعمل. وهو الذي دخل في طريق القوم ظمعا في رياسة أو عز أو جاه أو مال. فلا يأتي منه شيء ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: الآية 11]، والعباد بالله.

بَابُ الإِعْرَابِ

الإعرابُ في اللغة هو البيان، يقال: أعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، أَي بَيَّنَّهُ. وفي الحديث: «الْبَكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَالتَّيْبُ تُعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا» أَي تُبَيَّنُّ. وفي الاصطلاح على أنه لفظي ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حَرَكَةٍ أَوْ حَرْفٍ أَوْ سُكُونٍ أَوْ حَذْفٍ وهو مذهب البصريين، وَعَلَى أَنَّهُ مَعْنَوِي مَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ.

الإعراب هو تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا.

فاختَرَزَ بالأواخر من تَغْيِيرِ الْوَسْطِ كَمَا فِي التَّضْغِيرِ، كَزَيْدٌ وَزَيْدٌ. وَالتَّكْسِيرِ، كَدَرَهُمْ وَدَرَاهِمُ، وَالْمُرَادُ بِالْآخِرِ حَقِيقَةُ أَوْ حُكْمًا، كَيَدٍ وَدَمٍ، فَاصِلُهُ يَدِيٌّ وَدَمِيٌّ، فَحَذَفَتْ لَامُهُ بِدَلِيلِ رَدِّهِ فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَمْعِ فَقَالُوا: يَدِيَانِ وَدَمِيَانِ، وَاحْتَرَزَ بِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ مِنَ التَّغْيِيرِ الَّذِي يَكُونُ بِإِلَّا اخْتِلَافِ الْعَامِلِ كَاخْتِلَافِ اللَّغَاتِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، نَحْوُ: حَيْثُ فَفِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ: الضَّمُّ وَهُوَ الْمَشْهُورُ وَالْفَتْحُ وَالْكَسْرُ. وَكِحَرَكَةِ النُّقْلِ فَيَمُنْ قَرَأَ بِهِ، نَحْوُ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ آمَنَ، فَالْكَوْنُ أَصْلُ وَالْحَرَكَةُ نُقْلٌ وَحَقِيقَةُ الْعَامِلِ مَا بِهِ يَتَقَوَّمُ الْمَعْنَى الْمُقْتَضِي لِلإِعْرَابِ، فَالشَّأْنُ فِي اخْتِلَافِ الإِعْرَابِ أَنْ يَكُونَ لاختِلَافِ الْعَامِلِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ اتِّحَادِهِ كَمَا فِي مَعْمُولِ الصِّفَةِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ رَفْعُهُ وَنَصْبُهُ وَجَرُّهُ مَعَ اتِّحَادِ الْعَامِلِ نَحْوُ: الْحَسَنُ الْوَجْهَ، فَيَجُوزُ رَفْعُهُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ، وَنَصْبُهُ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ، وَجَرُّهُ بِالإِضَافَةِ، وَكَذَلِكَ نَحْوُ: زَيْدٌ قَائِمُ الْأَبِ، فَيَجُوزُ رَفْعُهُ وَنَصْبُهُ وَجَرُّهُ. وَكَذَلِكَ اسْمُ الْمَفْعُولِ الْمُضَافِ مَفْعُولُهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ مَضْرُوبُ الْأَبِ، فَتَجُوزُ فِيهِ الثَّلَاثَةُ أَيْضًا. وَاحْتَرَزَ بِالدَّخْلَةِ عَلَيْهَا مِمَّا يَتَغَيَّرُ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى غَيْرِهِ كَحَرَكَةِ الْحِكَايَةِ، كَقَوْلِكَ: مَنْ زَيْدٌ؟ لِمَنْ قَالَ جَاءَ زَيْدٌ. وَمَنْ زَيْدًا؟ لِمَنْ قَالَ: رَأَيْتَ زَيْدًا. وَمَنْ زَيْدٌ لِمَنْ قَالَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، فَإِنَّهَا فِي الْجَمِيعِ حَرَكَةُ حِكَايَةٍ، لَا حَرَكَةَ إِعْرَابٍ، فَمِنْ مَبْتَدَأٍ وَزَيْدٌ خَبَرٌ مَرْفُوعٌ، وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ اشْتِغَالُ الْمَحَلِّ بِحَرَكَةِ الْحِكَايَةِ فِي الْأَوَجِ الثَّلَاثَةِ. وَقَوْلُهُ:

لَفْظًا أَوْ تَغْيِيرًا يَرْجِعُ لِلتَّغْيِيرِ، فَالتَّغْيِيرُ اللَّفْظِيُّ يَكُونُ فِي الصَّحِيحِ الْآخِرُ كَزَيْدٌ وَنَحْوُهُ، وَالتَّقْدِيرُ يَكُونُ فِي الْمَعْتَلِّ، نَحْوُ: مُوسَى، وَالْقَاضِي، وَيَرْمِي، وَيَقْرَأُ. فَالْأَلْفُ يُقَدَّرُ فِيهِ الْإِعْرَابُ كُلُّهُ، نَحْوُ: جَاءَ مُوسَى، وَرَأَيْتَ مُوسَى، وَمَرَرْتُ بِمُوسَى، فَالْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ مَقْدَّرَةٌ فِي الْأَلْفِ الْمَانِعِ مِنْ ظَهْوَرِهَا التَّعْذَرُ. وَالْيَاءُ يُقَدَّرُ فِيهِ الرِّفْعُ

والجزم، نحو: جاء القاضي، مرّرت بالقاضي، ويظهر نصبه نحو: إن القاضي لن يرمي. والواو يُقدّر فيه الرفع ويظهر نصبه، نحو: ﴿إِلَّا أَنْ يَقْتُولَ أَوْ يَقْتُلَ﴾ [البقرة: الآية 237] والجزم يحذف الجميع، وسواء كان هذا الحرف الذي يُقدّر فيه الإعراب مَوْجُودًا أو مَحذُوفًا نحو: جاء قاضي، ومرّرت بقاضي، أو جاء فتى، ومررت بفتى، ورأيت فتى. ويحتمل أن يرجع قوله: لفظًا أو تقديرًا، للعوامل، فالعامل اللفظي ما تقدّم ذكره، والمقدّر كباب الاشتغال والإغراء نحو: زيدًا ضربته. أي ضربت زيدًا ضربته. والعلم العلم، أي الزم العلم، وغير ذلك من حذف العوامل وهو كثير، ويكون في عامل الرفع والنصب والجزم، كما هو مقرر في محله.

■ الإشارة:

كَمَا يَتَغَيَّرُ أَوَاخِرُ الْكَلِمِ لاختلاف العوامل، تتغيّر أحوال القلوب لاختلاف الواردات الداخلة عليها. فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة يرد عليها وارد البسط. فالقبض والبسط حالتان يتعاقبان على العبد تعاقب الليل والنهار. القشيري: «إذا كاشف العبد بنعمة جماله بسطه، وإذا كاشفه بنعمة جلاله قبضه. فالقبض يُوجب إحاشه والبسط يُوجب إيناسه». واعلم أنه يردّ العبد إلى أحوال بشرته فيقبضه حتى لا يطيق ذرة. ويأخذه مرة عن نعوته فيجدد ليحمل ما يرد عليه قوة وطاقه. قال الشبلي⁽¹⁾ رضي الله عنه: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَمَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جَفَنِ عَيْنِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَوْ تَعَلَّقَ بِهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ ضَجَّ». فحمل منه هذا على حالتي القبض والبسط. وقال أهل المعرفة: إذا قبض قبض حتى لا طاقة، وإذا بسط بسط حتى لا قاقة. وهذا سيّد الرُّسل (ص) حين ورّد عليه وارد القبض شدّ الحجر على بطنه، وحين ورّد عليه وارد البسط أطعم ألفًا جوعًا من صاع. ولكل من القبض والبسط آداب. فآداب القبض السكون تحت مجاري الأقدار وانتظار الفرج من الكريم الغفار، وآداب البسط كفّ اللسان وقبض العنان والحياء من الكريم المتّان، والبسط مزلة أقدام الرجال، قال بعضهم: فُتِحَ عَلَيَّ بَابٌ مِنَ الْبَسْطِ فَزَلَلْتُ زُلَّةً، فحُجِبَتْ عَنْ مَقَامِي ثَلَاثِينَ سَنَةً. ولذلك قيل: قِفْ بِالْبَسَاطِ وَإِيَّاكَ وَالْانْبِسَاطِ. واعلم أنّ القبض والبسط فوق الخوف والرجاء. وفوق القبض والبسط الهيبة والأنس، فالخوف والرجاء للمؤمنين، والقبض والبسط للساثرين، والهيبة والأنس

(1) أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي: من مشاهير المشايخ الصوفية. من أصحاب الإمام الجنيد. أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة. مولده بسامراء سنة 247 ووفاته ببغداد سنة 334. لم يخلف كتاباً وإنما إشارات حكم وشطحات وشر جمع في ديوان.

للعارفين. ثم المخوف في وجود العين للمتمكنين، فلا هية لهم ولا أنس، ولا علم ولا جس. وأنشدوا:

فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً لَغَبْتُ عَنِ الْأَكْوَانِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ
وَكُنْتُ بِلَا حَالٍ مَعَ اللَّهِ وَاقِفًا تُعَارِزُ عَنِ التَّذْكَارِ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ

وإن قلنا الإعراب هو البيان، فتقول في الإشارة: الإعراب عَمَّا في البواطن هو تغيير أحوال الظواهر، لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فَمَا كَمُنَ في السرائر ظَهَرَ في شهادة الظواهر، تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر أنواع الإعراب فقال:

وأقسامه أربعة: رفع ونصب وخفض وجزم.

قلت: تقدّم الفرق بين تقسيم الشيء إلى أَجْزَائِهِ وإلى أَنْوَاعِهِ، فهذا من التقسيم النوعي، ووجه انحصاره في الأربعة أنه ليس في الوجود في كلام العرب إلا حركة وسكون. والحركة لها ثلاثة مخارج: إمَّا ضَمُّ الشَّفَتَيْنِ وهو مَخْرَجُ الضَمَّةِ، أو كَسْرُ الشُّفْلِيِّ وهو مَخْرَجُ الكسرة، أو مجرد فتحهما وهو مَخْرَجُ الفتحه، وأمَّا السكون فهو سَلْبُ الحركة فهو قسم رابع. فالرَّفْعُ ما أُخِذَتْ عَامِلُ الرِّفْعِ وهو خاصٌّ بالعمد أو ما نَابَ عَنْهَا. والنَّصَبُ ما أُخِذَتْ عَامِلُ النَّصْبِ وغالب وُجُودُهُ فِي الْفُضْلَاتِ، وَالْجَزْمُ ما أُخِذَتْ عَامِلُ الْجَزْمِ وهو خاصٌّ بِالْأَفْعَالِ. وَأَسْقَطُ الْكُوفِيِّونَ وَالْمَازِنِيُّونَ⁽¹⁾ الْجَزْمَ لَأَنَّهُ عَدَمُ الْحَرَكَةِ، وَجَعَلُوا الْإِعْرَابَ ثَلَاثَةً. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

وأقسام التغيير الذي يعترى الإنسان وينزل به أربعة:

رفع أي رَفْعُ الْقَدْرِ وَالْعِزِّ وَالْجَاهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَامِلُهُ الْعِلْمُ بِاللَّو، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، وَصَحْبَةُ أَهْلِ الْعِزِّ وَالْغِنَى وَهُمْ الْأَوْلِيَاءُ.

وضدّه الخفض وهو الدَّلُّ وَالْهَوَانُ، وَعَامِلُهُ الْجَهْلُ وَارْتِكَابُ الْمَعَاصِي وَاتِّبَاعُ الْهَوَى كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانٌ

(1) بكر بن محمد، أبو عثمان المازني: أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة ووفاته فيها سنة 249. من تصانيفه: ما تلحن فيه العامة، والتصريف، والعروض، والديباج، والألف واللام.

وقال آخر:

إِنَّ الْهَوَىٰ هُوَ الْهَوَانُ بِعَيْنِهِ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانًا

وَإِذَا هَوَيْتَ تَعَبَّدَكَ الْهَوَىٰ فَاخْضَعْ لِحَبِّكَ كَأَنَّا مِن كَانَا

والمراد بالهوى: ما تنهواه النفس وتعشفه من المحظوظ الجسمانية المحرمة أو المكروهة، أو المباحة قبل الوصول.

والنصب نصب النفس لمجاري الأقدار وهو مقام الرضى والتسليم؛ وهو حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين.

والجزم هو التصميم والعزم على السير والمجاهدة والمكابدة، إلى الوصول إلى تمام المشاهدة.

فأهل الرفع والنصب عارفون واصلون. وأهل الخفض تالفون تائهون. وأهل الجزم سائرون. وقد يتلون العبد بين الرفع والخفض، فتارة يغلب نفسه فيرتفع، وتارة تغلب عليه نفسه، فتتنخفض، وهؤلاء أهل التلويح قبل التمكين، وقد يكون التلويح بعد التمكين وهو تلويح العارف مع المقامات، فيتلون في كل مقام يلونيه، فتارة تظهر عليه الهيبة والخوف، وتارة يظهر عليه الرجاء والبسط، وتارة يظهر عليه الورع والكف، وتارة تظهر عليه الرغبة والأخذ، وتارة يظهر عليه الشوق والقلق، وتارة يظهر عليه السكون والطمأنينة، وهكذا. وقد يطلب العبد الرفع فينخفض، وهو من سبق له الجزمان والعباد بالله، وقد يطلب الخفض فيرتفع، وهو من سبق له العناية، فلا تضره الجناية. «رُبَّمَا قَضَىٰ عَلَيْكَ بِالذَّنْبِ فَكَانَ سَبَبًا فِي الْوُصُولِ» [الحكم العطائية]، واللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

ثم قسم الإعراب على الأسماء والأفعال فقال:

فِلِلْأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الرَّفْعِ وَالنُّصْبِ وَالْخَفْضِ وَلَا جَزْمَ فِيهَا. وَلِلْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ، الرَّفْعِ وَالنُّصْبِ وَالْجَزْمِ وَلَا خَفْضَ فِيهَا.

قلت: الفاء فصيحة، والتقدير: إن أردت معرفة موارد فِلِلْأَسْمَاءِ، أي فِلِلْأَسْمَاءِ المتمكنة، بحيث لم تشبه الحرف شئها قويًا فثبتى، فإذا سلّمت من الشبه القوي أغربت فلها الرفع وهو للتعبد وما ناب عنها. والنصب وهو للفضلات غالبًا. والخفض وهو لما ترؤد بين العمد والفضلات، فقد يقع في موضع يكمل العمدة، نحو جاء غلام زيد، فغلام عمدة، وزيد مكمل له. ويقع في موضع الفضلة، نحو هذا ضارب زيد، فزيد مفعول لكنه أضيف إلى عامله بجر ولا جزم فيها أي في الأسماء؛ لأن الجزم لا يكون إلا بالعوامل. وعوامل الجزم خاصة بالأفعال، ولِلْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ

الإعراب، الرفع حال التجريد، والنصب والجزم إذا دخل عليهما عامليهما، والمراد بالأفعال، الفعل المضارع الخالي من نون التوكيد المباشرة، ومن نون الإناء، فإذا باسرتها نون التوكيد بُيِّنَتْ، نحو: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِى﴾ [فُصِّلَتْ: الآية 50]. ونون الإناء بُيِّنَتْ أيضًا، نحو: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولَ﴾ [البقرة: الآية 237] وإنما بُيِّنَتْ لشبه التركيب. وأما الماضي والأمر، فمبينان على ما يأتي إن شاء الله، ولا خفض فيها أي في الأفعال لأن عوامل الخفض خاصة بالأسماء، فتحصل أن الرفع والنصب مشترك بين الأسماء والأفعال، والجزم مختص بالأفعال، والخفض مختص بالأسماء، وإنما اختصت الأفعال بالجزم لأنها ثقلة والجزم خفيف، فأعطي الخفيف للثقل ليتعادلا. ووجه ثقلها أنها حاملة، إذ لا بد لها من فاعل مضمير أو ظاهر. وإنما اختصت الأسماء بالخفض لأنها خفيفة والخفض ثقل، فلو أعطي الخفيف للثقل لطار. كما لو أعطي الثقل للثقل لسقط، فأعطي الخفيف للثقل، والثقل للثقل ليتعادلا الأمر، ووجه خفة الأسماء أنها فارغة لا تحتاج إلى فاعل إلا إذا أشبهت الأفعال، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

تقدم أن القسمة ثلاثية: شريعة، وطريقة، وحقيقة.

فأهل الشريعة قائمون بأقواله عليه السلام.

وأهل الطريقة قائمون بأفعاله.

وأهل الحقيقة قائمون بأحواله وأخلاقه.

فأهل الأقوال هم المتبررون عنهم بالأسماء لأنهم قائمون في الأسماء، لأن ذكرهم جله لسانی، وعملهم جله بدني فيقال من طريق الإشارة فلاهل الأسماء من ذلك الرفع تارة إن استقامت أحوالهم وقويت دلائلهم فيرتفعون إلى درجة الصالحين، والنصب أي المتوسط بين الارتفاع والانخفاض فيتنصبون لمجاري الأقدار وهو حال فتورهم وبرودتهم عن العمل الصالح، والخفض تارة أخرى وهو حال عصيانهم، فيسقطون عن درجة الصلاح وينخفضون إلى أسفل سافلين، حيث لم تسبق لهم عناية المقربين ولا جزم لهم جزم أهل العيان إذ لا يحصل الجزم الحقيقي إلا لأهل الشهود والعيان، فليس الخبر كالعيان، إذ لا يسلم صاحب الدليل من الخواطر الرديئة والشبه الشيطانية، فجلهم يعبدون الله على ظن قوي ولذلك عبر تعالى بالظن في مقام الجزم، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: الآية 46] تسترأ وتخفيفاً على أهل الدليل من أهل الإيمان، إذ لو عبر بإعلم لخرج من دائرة الإسلام خلق

كثير. والحاصل أنَّ الإنسان لا يخرج من مقام الظنون حتى يضحِب العارفين، أهل اليقين الكبير، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينَ فَلَأَنِّي أُنْعِلُهُ» و فِي رَوَايَةٍ «بِمَجَالَةِ أَهْلِ الْيَقِينَ».

ثم أشار إلى أهل الطريقة التي تُوصِّل إلى عَيْن الحقيقة بقوله: وللأفعال، أي ولأهل الأفعال التي هي المجاهدة والمُكابدة، الرُّفْع إلى أَعْلَى عِلِّيَّين، والنَّضْب، أي نَضْب أَسْبَابِهِمْ إِلَى مَجَارِي أَقْدَارِ رَبِّهِمْ بِالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، والجُزْم فِي عَقَائِدِهِمْ وَعِلُومِهِمْ لِأَنَّهُمْ عَنْ شُهُودٍ وَعَيَانٍ، وَلَا خَفَضَ فِيهَا لِأَنَّهُمْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْعَنَاءُ، فَلَا تُضَرُّهُمْ الْجَنَائَةُ. فَكَلِمَا طَلِبَهُمْ عَامِلُ الْخَفَضِ اسْتَدْرَكَهُمْ عَامِلُ الرُّفْعِ فَيُرْفَعُهُمْ، فَلَا خَفَضَ لَهُمْ أَبَدًا. جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْ خَوَاصِّهِمْ آمِينَ.

و لَمَّا ذَكَرَ الْإِعْرَابَ وَ أَنْوَاعَهُ ذَكَرَ عَلَامَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَقَالَ:

بَابُ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الْإِعْرَابِ

قلتُ: مذهب الناطم أن الإعراب معنوي وهو التغيير والانتقال من حال إلى حال. وهذا التغيير له علامات وهي الأشكال والحروف الثابتة عنها. فالرفع مثلاً معنوي وهو كون الكلمة مرفوعة، والضممة علامة على رفعها، وقس على هذا أنواع الإعراب كلها.

وأما على أنه لفظي فالضممة والألف والواو مثلاً هن عين الرفع، وكذلك الفتحة والألف والكسرة، هن عين النصب، ولذلك قيل في حقيقته: ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف إلى آخر ما تقدم.

■ الإِشَارَةُ:

ذكر هنا علامة انتقال العبد من حال إلى حال، على حسب الواردات الفعلية والخواطر السنية والرييئة، إما من الرفع إلى الخفض أو العكس، أو من حالة القبض إلى البسط أو العكس. وهكذا من تخالف الآثار وتنقلات الأطوار، فلكل واحد من هذه الآثار علامات تظهر على صاحبه كما تقدم، ولكل واحد من القبض والبسط آداب، وقد أشرت في قصيدتي العينية إلى بعضها فقلت:

وإن جنك ليل من القبض حالك	فهية له صبراً فضوؤه تابع
سكون و تسليم لما قد جرى به	قضاء مخم من الحق واقع
وللبسط آداب إذا لم تقم بها	نزول بك الأقدام والقلب تابع
خضوع و هيبة وتعظيم نعمة	ومسك لسان القول إنه رابع

ثم بين تلك العلامات فقال:

الرفع أربع علامات: الضمة والواو والألف والثون.

يعني أن الكلمة إذا كانت مرفوعة، بأن طلبها عامل الرفع، فليرفعها أربع علامات، أولها الضمة في آخره ظاهرة، نحو: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ [غافر: الآية 28]. ومقدرة نحو: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الأعراف: الآية 104] وبدأ بها لأنها الأصل، ثم الواو لأنها بنتها وناشتة عنها، ولذلك ذكرت بعدما، ثم الألف لأنها أختها في العلة

واللّين، ثمّ التّون لقُرب مخرجها من الواو، ولذلك أذْغِمَتْ فيها إذا سَكُنَتْ، وأخَرَهَا لِبُعْدِ الشَّبه، ولاختصاصها بالأفعالِ وَسَيَاتِي أَمَلْتُهَا بعدُ إن شاء الله. ومَنْ قال إن الإعراب لفظي قال إنها مرفوعة بنفس الضَّمَّة والواو والألف والتّون. فالإعراب هو نفس الحركات أو الحروف، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

لِلرَّفْعِ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ أَرْبَعُ عِلَامَاتٍ:

أولها: الضَّمَّة، أي ضَمَّ المريد إلى الشيخ وصحبته وخدمته وتعظيمه ومحبته، والله ما أفْلَحَ مَنْ أفْلَحَ إِلَّا بِصَحْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ.

وثانيها: واو الهُوية والحقيقة، فلا بُدَّ للمريد أن يَفْتِيَ في الذات حقيقة، فَمَنْ لَا فَنَاءَ لَهُ لَا بَقَاءَ لَهُ، فيَفْتِيَ أَوَّلًا في الاسم ثُمَّ في الذات، فيقدر الفناء يكون البقاء وبَقْدَر السكر يكون الصَّخْر.

وثالثها: أَلِف الوَحْدَةِ، فلا بُدَّ أن يَكُونَ قَرْدًا لِفَرْدٍ، فيكون له قَصْدٌ واحدٌ ومحبّة واحدة وإرادة واحدة، ويكون ذلك بقلب مفرد فيه توحيد مجرد.

ورابعها: نون الأتانية، فلا يَزَال يذكر الاسم حتى يَكُونَ عَيْنَ الْمَسْمَى فيَقُول حينئذٍ: «أنا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا»، فيغيب الذّاكر في المذكور، فلقد قال غير واحد في مقام الفناء أنا وقال آخر في مقام البقا هو، فيقال للأوّل صَلَقْتُ وما كَذَبْتُ، ويقال للثاني: أَحَسَنْتَ وتَأَدَّبْتُ، كما قال بعض العارفين.

وهنا إشارة أخرى، فيُشِيرُ بِالضَّمِّ إِلَى ضَمِّ النَّفْسِ وَكَفَّهَا عَنْ حُطُوطِهَا وَهَوَاهَا، يَلْجَأُ الْمَجَاهِدَةَ وَالْمُخَالَفَةَ، فيَرْتَفِعُ إِلَى مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ.

وبالواو إلى الوُدِّ والمحبة في الله ورسوله والشيخ الذي يوصله إلى حضرته و الإخوان وسائر عباد الله، فالمحبة أصل الطريق وبها يقع السير إلى عين التحقيق، فإذا وصلَ أَحَبَّهُ اللهُ فَكَانَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكُلِّيَّتُهُ، لقوله: «فإذا أَحَبَّتهُ كُنَّتهُ». فإذا أَحَبَّهُ اللهُ نَادَى في السموات فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثم تنزل محبته إلى الأرض، كما في الحديث و سياتي لفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْرًا وَعَمَلًا صَالِحًا سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝١٦﴾ [مريم: الآية 96].

ويُشِيرُ بِالْأَلِفِ إِلَى أَلِفِ الْوَحْدَةِ كما تقدّم.

وبالتّون إلى نُورِ التَّوَجُّهِ ثم نور المُواجَهَةِ، فنور التوجه للسائرين ونور المواجهة للواصلين. والمراد بنور التوجه خلاوة المعاملة وما يجده المريد في سيره من النشوة والسكر، ونور المواجهة هو نور الشهود، يواجهه الحق تعالى بِأَسْرَارِ ذَاتِهِ فيُغَيِّبُهُ عَنْ

رؤية الوجود سوى ذات الملك المعبود، وفي ذلك يقول الجُنَيْدُ⁽¹⁾ رضي الله عنه:
وَجُودِي أَنْ أُغَيِّبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ

ثُمَّ عَيَّنَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَنْوِبُ فِيهَا الضَّمَّةُ عَنِ الرَّفْعِ فَقَالَ:

فَأَمَّا الضَّمَّةُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ.

نحو: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ [غافر: الآية 28]، ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الأعراف: الآية 104] والمراد بالمفرد هنا ما ليس مجموعاً ولا مثني ولا واحداً من أسماء الخمسة متصرفاً أو غير متصرف، مذكراً أو مؤنثاً، اسماً أو صفة، تابعاً أو متبوعاً، مقصوراً أو منقوصاً، فالمقصود ما كان آخره ألفاً قبله فتحة لازمة، كموسى وعيسى وعصى وفتى، والمنقوص ما كان آخره ياء قبلها كسرة لازمة، كالمُتَعَالِي والدَّاعِي وَوَالِي وهَادٍ، فالمقصود يُرْفَعُ بضمة مقدرة، المانع من ظهورها التعذر إذ يتعذر ظهور الحركة في الألف والمنقوص يرفع ويجر بحركة مقدرة في الياء المانع من ظهورها الاستثقال، إذ يثقل ظهور الضمة أو الكسرة على الياء.

وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ

وهو في اللغة التَّغْيِيرُ وتَفْرِيقُ الْأَجْزَاءِ، وفي الاصطلاح ما تَغَيَّرَ بِنَاءُ مُفْرَدِهِ تَغْيِيرًا ظَاهِرًا أو مَقْدَرًا لِمَعْيَرِ إِعْلَالٍ، والتَّغْيِيرُ الظَّاهِرُ إمَّا بِزِيَادَةٍ فَقَطْ نحو: صِنُوْ و صِنَوَان، أو بِنَقْصٍ فَقَطْ نحو: تُخْمَةٌ وَتُخَمٌ، وشجرة وشجر. أو بِتَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نحو: أَسَدٌ وَأُسْدٌ، أو بِنَقْصٍ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نحو: كِتَابٌ وَكُتُبٌ، أو بِزِيَادَةٍ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نحو: رَجُلٌ وَرِجَالٌ، أو بِنَقْصٍ وَزِيَادَةٍ وَتَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نحو: غَلَامٌ وَغِلْمَانٌ. والتَّغْيِيرُ الْمَقْدَرُ، كَمَا فِي قُلُوكَ، لِإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. وَيَتِمَّيزُ الْمَفْرَدُ مِنَ الْجَمْعِ بِالْوَصْفِ. تَقُولُ: عِنْدِي قُلُوكَ جَيِّدٌ، وَقُلُوكَ كَثِيرَةٌ. فَحَرَكَةُ الْمَفْرَدِ غَيْرُ حَرَكَةِ الْجَمْعِ، وَإِنْ تَسَاوَتَا فِي اللَّفْظِ، وَقَوْلُنَا: لِمَعْيَرِ إِعْلَالٍ احْتِرَازٌ مِنْ نَحْوِ: قَاضُونَ فَإِنْ وَاحِدُهُ مَغْيَرٌ لَكِنْ لِإِعْلَالِ فَاوْصِلُهُ قَاضِيُونَ، اسْتَثْقَلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُلِفَتْ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْيَاءُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، ثُمَّ قُلِبَتِ الْكَسْرَةُ ضَمَّةً، لِتَنَاسُبِ الْوَاوِ. وَيَدْخُلُ فِي جَمْعِ التَّكْسِيرِ اسْمُ جَمْعٍ، كَقَوْمٍ وَرَهْطٍ، وَاسْمُ الْجِنْسِ، كَشَجَرٍ وَنَخْلٍ، وَسَيَأْتِي الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي جَمْعِ الْمَذْكُورِ.

(1) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، أبو القاسم: عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بالكتاب والسنة. مولده ومثاء ببغداد وتوفي فيها سنة 298. له رسائل. قال أحد معاصريه: ما رأيت عينا مثله، الكعبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه.

وجمع المؤنث السالم

وَحَقِيقَتُهُ: ما جمع بـألف وتاء مزيدتين، نحو: ﴿وَالسَّمَكُوتُ مَطْرِيَّتٌ يَبْسِيهِ﴾ [الرَّمَر: الآية 67]، ﴿يَأْتِيَا الْيَتَّى إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [المتحنة: الآية 12] فالسموات مبتدأ والمؤمنات فاعل، والضممة ظاهرة فيه. واحترز بقيد الزيادة من إصالة الألف، نحو: قضاة، جمع قاضٍ، وأصله قضية. قال في الألفية:

فِي نَحْوِ رَامِ دُوِ اضْطِرَادٍ قُفِّلَتْ

قُفِّلَتْ الياء إلفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها؛ فهو جمع تكسير ومن أصالة التاء نحو: صوت وأصوات، فالتاء فيه أصلية فهو جمع تكسير أيضاً. ولما كان الغالب في هذا الجمع أن يكون لمؤنث قبل فيه: جمع المؤنث وقد يستعمل في غير المؤنث ويطرَد في ست مسائل، في كل ما فيه تاء زائدة للتانيث اللفظي نحو: طَلْحَة وطلحات بفتحهما، والتاء في الجمع غير التاء في المفرد لأن تاء المفرد تُحذف عند الجمع. قال في الألفية:

وتاء ذي الثَّاءِ أَلَزَمَنْ تَنْجِيَةً

ويطرَد أيضاً فيم كان مقصوراً كذَفَرَى وذَكَرَى. تقول: ذَفَرِيَات، وذَكَرِيَات. وفي نحو درهم مصغر تقول ذُرِّيَّهَات، وفيما كان اسماً ممدوداً نحو: صحراء وصحراوات، وسماء وسماوات، وفيما كان مؤنثاً يغيَّر تاءه نحو: زينب وهند ودَغْدَغ تقول: زينبات وهندات ودَعْدَعات. وفيما كان وصفاً لغير العاقل نحو: جبال راسيات وشامخات. وقد نُظِّمَها بعضهم فقال:

وقسه في ذي الثَّاءِ ونحو ذَكَرَى ودرهم مصغرٌ ودَغْدَغَات

وزينبٌ ووصف غير العاقلِ وغير ذَا مسلمٍ للثَّاقِلِ

وقد يستعمل في غير هذه المواضع سماعاً، نحو: حمامات واضْطِطِلَات والإصْطِطِل بقطع الهمزة المكسورة وفتح الطَّاء: الأَزْوَى الذي يكون فيه الذَّوَاب.

وتكون الضمة علامة للرفع أيضاً في الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء.

نحو وإذ يقول الله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ وَتَكُونُ الْفُتُوحُ﴾ [الفرقان: الآية 25] فيقول: وتشقق مضارع مرفوع بضممة ظاهرة واحترز بقوله: لم يتصل بآخره شيء بما إذا اتصل بـوَ أو وَجُمع أو ألف اثنين أو ضمير المؤنثة المخاطبة، فإنه يرفع بالحروف كما يأتي، وأما إذا اتصل به نون التوكيد المباشرة أو نون الإنثاء فهو مبني كما تقدَّم فلا يدخل هنا لأن الكلام هنا في المُعَرَّب. ويشمل ما إذا لم يتصل به شيء الصحيح نحو: ﴿وَيَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف: الآية 65] والمعتل بالالف كيخشى، وبالأو كيدعو،

وبالياءِ كَيَرْمِي فَكُلُّهُ مَعْرَبٌ بِضَمَّةٍ مَقْدَرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

فَأَمَّا الضَّمُّ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّحْبَةِ لَهُمْ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ وَسَبَبًا فِي ثَبَلِ مَقَامِ السَّابِقِينَ فِي ذِكْرِ الْأَسْمِ الْمَفْرَدِ وَالْفَنَاءِ فِيهِ. سَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «بَقِيَتْ فَانِيًا فِي الْأَسْمِ الْمَفْرَدِ أَرْبَعُ سَنِينَ حَتَّى كَانَتْ بَدَنِي كُلُّهُ يَتَحَرَّكُ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنِّي، إِذَا شَدَدْتُ عَلَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ انْهَزَ الْآخَرُ». فَالْفَنَاءُ فِي الْأَسْمِ مُقَدِّمَةٌ لِلْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، بِقُدْرَةِ يَعْظُمُ وَيَقَلُّ، وَيَكُونُ أَيْضًا عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي صَحْبَةِ جَمْعِ الْأَوْلِيَاءِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ التَّكْسِيرِ وَالْإِكْسِيرِ، يَتَصَرَّفُونَ فِي الْوُجُودِ بِهَيْمِهِمْ، يَكْسِرُونَ مَنْ شَاءُوا وَيُجِيرُونَ مَنْ شَاءُوا، يَكْسِرُونَ أَعْدَاءَهُمْ وَمَنْ نَاوَاهُمْ بِإِزَادَةِ مَوْلَاهُمْ، وَيُجِيرُونَ أَحِبَّاءَهُمْ بِمُشَبَّهَةِ مَوْلَاهُمْ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهِمْ:

هَيْمُهُمْ تَقْضِي بِحُكْمِ الْوَقْتِ مُنْكَرُهُمْ مُعَرَّضٌ لِلْمَقْتِ

وَيَرْتَفِعُ أَيْضًا بِضَمِّهِ إِلَى الشَّيْخِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ، أَيْ جَمْعِهِ بِالْمُؤَنَّثِ عَلَى طَرِيقِ التَّزْوِجِ السَّالِمِ مِنْ غَوَائِلِهِ، وَشُغْلِهِ عَنْ رَبِّهِ لِأَنَّ التَّزْوِجَ لِلْفَقِيرِ الْمُعْتَنِي بِزَيْدٍ فِي تَرْبِيَةِ يَقِينِهِ وَيُوسِّعُ أَخْلَاقَهُ فَتَتَّبِعُ مَعْرِفَتَهُ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْلُمُ فَالْسَّلَامَةُ فِي تَرْكِهِ، وَكَانَ شَيْخُ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «الْصُّوفِيَةُ حَذَرُوا مِنَ التَّزْوِجِ لِلْفَقِيرِ وَأَنَا أَمُرُّ بِهِ لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا تَزَوَّجَ تَقَوَّى يَقِينُهُ وَاتَّسَعَتْ أَخْلَاقُهُ وَتَتَّبِعُ مَعْنَاهُ» أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ. وَيَرْتَفِعُ أَيْضًا بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ أَيْ الْعَمَلِ الْمَشَابِهِ لِفِعْلِ الْأَصْفِيَاءِ، بِمُرَافَقَتِهِ لِلسُّنَّةِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَتَحَقُّقِهِ فِيهِ بِالْإِخْلَاصِ، وَالتَّيَرُّبِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُتِرْهُ ذِكْرًا بِهِ لَكُمْ﴾ [الكهف: الآية 110]. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الَّذِي يَصْحَبُهُ الْإِخْلَاصُ فِي أَوَّلِهِ، وَالِاتِّقَانُ فِي وَسْطِهِ، وَالْغَنِيَّةُ عَنْهُ فِي آخِرِهِ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلَلِ كَالْإِظْهَارِ لَهُ وَالتَّشْجُّعِ بِهِ، وَفِي الْحُكْمِ: «لَا عَمَلَ أَرْجَى لِلْقُلُوبِ مِنْ عَمَلٍ يَغِيبُ عَنْكَ شُهُودُهُ وَيُخْتَفِرُ لَدَيْكَ وَجُودُهُ». وَفِي نَسَخَةٍ: «أَرْجَى لِلْقَبُولِ»، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْعَلَامَةَ الثَّانِيَةَ لِلرَّفْعِ فَقَالَ:

وَأَمَّا الْوَاوُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ، فِي جَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَى ثَلَاثَةٍ فَأَكْثَرَ، بِزِيَادَةِ فِي آخِرِهِ مَعَ سَلَامَةِ بِنَاءٍ وَاحِدَةٍ، فَخَرَجَ مَا دَلَّ عَلَى أَهْلِ كَاثِنَيْنِ، وَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ لَا بِزِيَادَةِ كَاسْمِ الْجَمْعِ، وَمَا لَمْ يَسْلَمْ بِنَاءُ وَاحِدَةٍ، فَهُوَ جَمْعُ التَّكْسِيرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ، وَمُفْرَدُ هَذَا الْجَمْعِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، فَتَقُولُ: زَيْدُونَ وَعَمْرُونَ وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ مُذَكَّرًا عَاقِلًا خَالِيًا مِنْ تَأْيِ

التأنيث ومن التركيب، فلا يجمع هذا الجمع نحو: خَائِضٌ وَزَيْنِبُ، لعدم التذكير، ولا واشق علمًا لكلب، وسابق صفة لِقَرْسٍ، لعدم العقل، ولا طلحة، وعلامة لتاء التأنيث، ولا بَغْلِيكُ، وَبَرَقَ نَحْرُهُ للتركيب المزجي أو الإسنادي، وأما المُرْكَب الإضافي فإنه يجمع صدره ويُضاف إلى عَجْزِهِ وقيل يُجمع الجزءان معًا، وأما أن يكون صِفَةً كصالح وعالم، فتقول: صالحون وَعَالِمُونَ وشرطه أن يقبل التاء أو يدل على التفصيل كنانم ومُذْنِبٌ وأَفْضَلُ، بخلاف نحو: جَرِيحٌ وَصَبُورٌ، فلا يُجمع هذا الجمع لأنه لا يقبل التاء، لأنه يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح. ورجل صبور، وامرأة صبور. وكذلك سَكْرَانٌ وأَحْمَرٌ، إذ لم يقولوا سكرانة ولا أحمرة، بل سكراء وحمرء. وحملوا على هذا الجمع أربعة أنواع فأعربوها إعراب جمع المذكر السالم وإن لَمْ تَتَوَقَّرْ فيه الشروط:

أحدها: أسماء جموع وهي أولوا، وعالمون، وعشرون وبابه إلى التثنية، فإنها تُعَرَّبُ بالواو رفعًا، وبالياء جرًّا ونصبًا. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلَا الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الرعد: الآية 19]، ﴿فَاغْتَبِرُوا يَكَاؤُلِ الْأَنْصَارِ﴾ [الحشر: الآية 2]، وتمثيل الباقي ظاهر. وجعل عالمين اسم جمع هو رأي ابن مالك. والتحقيق أنه جمع عالم، ويُقصد به نوع من أنواع العالم. فلا يكون المفرد أَوْسَع من جمعه، كما قال من جعله اسم جمع.

الثاني: جموع التكسير نحو: يتون وإخرون بكَسْرِ الهمزة جمع حرة وهي الأرض ذات حجارة سوداء. ومنه أَرْضُونَ وَسُتُونَ وبابه. فإن هذا الجمع شائع في كل ثلاثي، حذفت لامه، وغُوِضَ منها هاء التأنيث وَلَمْ يُكْسَرْ نحو سِنَّةٌ وَسِنِينَ وَعِضَّةٌ وَعِضِينَ، وَعِزَّةٌ وَعِزِينَ، وَثَبَّةٌ وَثَبِينَ. قال تعالى: [المؤمنون: الآية 112] ﴿كَمْ لِفِتْرٍ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾، [الحجر: الآية 91] ﴿الَّذِينَ جَسَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ﴾، [المعارج: الآية 37] ﴿رَبِّ السَّالِ عِزِينَ﴾. وأضل مفردهما سنو وعضو أو عضنة. وعزو، وثبو. فحذفت منها اللام وغُوِضَ منها تاء التأنيث، وَلَا يجوز ذَلِكَ في نحو: ثمرة، لعدم الحذف. وَلَا في نحو عدة وزنة لأن المحذوف الفاء، وَلَا في نحو: يدٌ وَدَمٌ لَعَدَمِ التعويض. وشذابون وإخون، ولا في نحو: اسم وأخت وبنت لأن العوض غير الهاء، ولا في نحو: شاة وشقة؛ لأنهما كثيرًا عَلَى شَيْءٍ وَشِفَاءٍ.

الثالث: جموع تصحيح لم تستوف الشروط، كأهلون ووابلون لأن أَهْلًا ووَإِلًا وهو المطر الغزير ليسا علمين ولا صفتين؛ لأن وابلًا اسم للمطر لا صفة له.

الرابع: ما سُمِّيَ به من هذا الجمع وما ألحق به، كَعِلْيَيْنَ وَزَيْنِدَيْنِ مُسَمًّى به، ويجوز في هذا النوع أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَى عَشْلَيْنِ فِي لَزُومِ الْيَاءِ، والإعراب بالحركات عَلَى الثَّوْنِ مَثَوْنَةً، ودون هذا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَى عَرَفُونَ فِي لَزُومِ الْوَاوِ كَقَوْلِهِ:

طَالَ لَيْلِي وَبِثَّ كَالْمَجْنُونِ وَاعْتَرَنِي الْهُمُومُ بِالْمَاطِرُونَ
وَدُونَ هَذَا أَنْ تَلَزَمَهُ الْوَاوُ وَفَتَحَ التَّوْنُ، وَبَعْضُهُمْ يُجَرِّي سِنِينَ وَبَابُ سِنِينَ مَجْرَى
غُسْلِينَ فِي لَزُومِ الْيَاءِ فِي الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:
وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنِ عَلَى أَبَا بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
وَمِنَ الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِينَ يُوسُفَ».

■ تَدْوِيلُ:

اعْلَمْ أَنَّ الْجَمْعَ هُوَ الْأَسْمُ الْمَوْضُوعُ لِلْأَحَادِ الْمُجْتَمِعَةِ دَالًّا عَلَيْهَا دَلَالَةُ الْوَاحِدِ
بِالْعَطْفِ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ: اسْمُ الْجَمْعِ وَاسْمُ الْجِنْسِ وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ وَجَمْعُ السَّلَامَةِ.
أَمَّا اسْمُ الْجَمْعِ فَهُوَ الْأَسْمُ الْمَوْضُوعُ لِلْأَحَادِ دَالًّا عَلَيْهَا دَلَالَةُ الْمَفْرَدِ عَلَى جُمْلَةٍ
أَجْزَاءَ مُسَمَّاءَ. وَلَا مَفْرَدَ لَهُ لَفْظًا، كَقَوْمٍ وَرَهْطٍ وَرُكْبٍ وَصَحْبٍ.

وَأَمَّا اسْمُ الْجِنْسِ فَهُوَ الْأَسْمُ الْمَوْضُوعُ لِلْحَقِيقَةِ، مَلْعَى فِيهَا اعْتِبَارُ الْفَرْدِيَّةِ، وَهُوَ
قِسْمَانِ: إِفْرَادِيٌّ وَجَمْعِيٌّ، فَالْأَوَّلُ كَالْمَاءِ وَالْعَسَلِ، وَالثَّانِي كَتُرْكٍ وَرُومٍ. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا
أَنَّ الْأَوَّلَ يَنْتَهِي الْوَاحِدُ بِنَفْيِهِ، بِخِلَافِ الثَّانِي. فَإِنَّهُ لَا يَنْتَهِي الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانِ بِنَفْيِهِ، فَإِذَا
قُلْتَ: لَيْسَ هُنَا مَاءٌ انْتَهَى كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمَاءِ، وَإِذَا قُلْتَ: لَيْسَ هُنَا تُرْكٌ، لَا يَنْتَهِِي
أَنْ يَوْجِدَ تَرْكِيٍّ أَوْ تَرْكِيَّانِ؛ وَهُوَ اسْمُ الْجِنْسِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، مَا يُمَيِّزُ وَاحِدَهُ عَنْهُ
بِإِيَاءِ النَّسَبِ، كَرُومٍ وَرُومِيٍّ، وَتُرْكٍ وَتُرْكِيٍّ، وَمَا يُمَيِّزُ وَاحِدَهُ عَنْهُ بِتَاءِ التَّانِيثِ، كَثَمَرَةٍ
وَتَمَرٍ، وَنَخْلَةٍ وَنَخْلٍ، وَنَبْقَةٍ وَنَبْقٍ، وَكَلِمَةٍ وَكَلِمٍ؛ وَهُوَ الْغَالِبُ وَمَا يُمَيِّزُ هُوَ عَنْ مُفْرَدِهِ
بِتَاءِ التَّانِيثِ، كَكَمَاءٍ وَكَمَا، فَكَمَاءُ جَمْعٌ وَمُفْرَدُهُ كَمَا.

وَأَمَّا جَمْعُ التَّكْسِيرِ وَجَمْعُ السَّلَامَةِ، مَذْكُورًا أَوْ مُؤَنَّثًا، فَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ،
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَتَكُونُ الْوَاوُ أَيْضًا عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ؛ وَهِيَ أَخُوكَ وَأَبُوكَ
وَحَمُوكَ وَفُوكَ وَذُو مَالٍ.

قُلْتَ: أَمَّا أَخُوكَ وَأَبُوكَ، فَاصْلُهُمَا أَخُوُوكَ وَأَبُوُوكَ، فَاسْتَقْلَلْتُ الضَّمَّةَ عَلَى الْوَاوِ
فَحُذِفَتْ، ثُمَّ حُذِفَتْ الْوَاوُ الْأُولَى لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَقَدْ تَشَدَّدَ الْخَاءُ وَالْبَاءُ، مِنْ أَخٍ
وَأَبٍ. وَقَدْ يُقَالُ: أَخُوكَ بِسُكُونِ الْخَاءِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا الْمَرْءُ أَخُوكَ إِنْ لَمْ تَلْفِهِ وَزَرَا عِنْدَ الْكَرْبِ مَعْوَانًا عَلَى النَّوْبِ

وَيَجْمَعُ الْأَخُ مِنَ النَّسَبِ عَلَى إِخْوَةٍ، وَمِنَ الصَّدَاقَةِ وَالْخَلَّةِ عَلَى إِخْوَانٍ، وَمِنَ
الَّذِينَ عَلَيْهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الْحُجُرَاتِ: الْآيَةُ 10]، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ

في اللين» [التوبة: الآية 11] وأما حموك فلا يقال إلا بكسر الكاف لأنه لا يكون خطاباً إلا للمؤنث؛ لأن الأحباء أقارب الزوج كما أن الأختان أقارب المرأة. والأصهار يطلق عليهما لأنه من الصهر وهو الاختلاط، قال تعالى «يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ» [الحج: الآية: 20] أي يختلط وقد تقصر الثلاثة فيقال: هذا أخك وأبك وحمك. فيعرب بالحركة الظاهرة. قال الشاعر:

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وقد تلزم الألف في الأخوال الثلاثة، فيقال: هذا أخاك وأباك وحماك، فيقدر الإعراب في الألف. وأما فوك فيعرب بالحروف ما لم تظهر فيه الميم، فيعرب حينئذ بالحركة، تقول: هذا فمك، وقد تشدد ميمه، وثقلت فاؤه، قال في التسهيل: «وقد يثقل فاء فم منقوصاً أو مقصوراً، أو يضعف مفتوح الفاء أو مضمومها أو تتبع فاؤه حرف إعرابه في الحركة، كما فعل بقاء مرة وعيني أمرئ وأبتم ونحوهما». وأصل فم فوه بدليل أفواه وفوئه، وأما ذو فاصلها ذور وهل المحذوف لامها أو عينها قولان. وهل وزنها فعل وهو مذهب الخليل، أو فَعَلَ بالفتح وهو مذهب سيبويه قولان. ولا تضاف إلا لظاهر على المشهور. وشذ قول الشاعر:

أفضل المعروف ما لم يُثْثَلْ فيه الوجوه إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذوره

ولا يكون ذلك الظاهر إلا ما فيه شرف، كذي علم، وذو عزٍّ وجاه، ولا يقال ذو حجامه وذو حياكة مما ليس فيه شرف، قاله الزياتي⁽¹⁾.

وترك المصنّف الهن وهو الفرج أو ما يستقبح من الإنسان. وقد ذكره بعضهم من الأسماء الخمسة، والمشهور فيه النقص، وإعرابه بالحركات، قال في الألفية:

والنقص في هذا الأخير أحسن

ويشترط في إعراب هذه الأسماء بالحروف أن تكون مكبرة لا مصغرة فإذا أصغرت أعربت بالحركات نحو أخيك وأبيك وحميك وفوئيك وذوي مال، وأن تكون مفردة لا مثناة ولا مجموعة. وأن تضاف لغير ياء المتكلم، فإن أضيفت للياء أعربت بالحركات المقلدة فيما قبل ياء المتكلم، والله تعالى أعلم.

(1) أبو الطيب الحسن بن يوسف الزياتي: أصله من بني عبد الواد أحد قبائل زناتة. ولد سنة 964. رحل إلى فاس في طلب العلم فأتقن أنواع العلوم محققاً في جميعها. اتخذ سيدي أبا المحاسن يوسف الفاسي شيخاً. درس كثيراً وانتفع به خلق كثير وصنف كتباً مفيدة منها: شرح الصلاة المشيشية، وحاشية على شرح الأجرومية، وشرح توضيح بن هشام، وحاشية على شرح الألفية للمكودي.

■ الإِشَارَةُ:

وَأَمَّا زَاوِيَةُ الْحَوْدَةِ وَالْحَبَّةُ مِنَ الْخَلْقِ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلرُّفْعِ عِنْدَ الْخَالِقِ فِي مَوَاضِعِينَ:

فِي جَمْعِ الْمُذَكَّرِ أَيِ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالرَّأْيِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا عِبْرَةَ بِمَحَبَّةِ السُّفَهَاءِ وَلَا يُغْنِيهِمْ، إِذَا لَبَسُوا مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوُدُّ سَالِمًا مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْأَهْوَاءِ، بَلْ يَكُونُ لِلَّهِ، وَفِي اللَّهِ، وَمِنْ اللَّهِ، بِلا عِوَاضٍ وَلَا حَرْفٍ. فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى رُفْعِ قَدْرِ صَاحِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَتَكُونُ أَيْضًا عَلَامَةً لِرُفْعِهِ فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، أَيِ إِذَا وَقَعَتْ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْخَمْسَةِ، الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا قَدَفَ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَيَسْتَأْنِقُ إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَيُطِيعُهُ كُلَّ شَيْءٍ. وَبَدَلًا عَلَى هَذَا تَسْخِيرِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَتَقَدُّمِ الْحَدِيثِ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَجِبْنِي، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَوَاتِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ، ثُمَّ يُلْقَى لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» أَيِ فَيَحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَنَّتُهُمْ وَإِنْسَهُمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ ذَوَابُّ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ، وَذَوَابُّ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يَرْتَوْا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». وَالْمُرَادُ بِالْعُلَمَاءِ، الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ، أَوْ بِأَحْكَامِ اللَّهِ إِذَا خَلَصَتْ النِّيَّةُ، وَالِاسْتِغْفَارُ بَدَلًا عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الْأَلْفُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرُّفْعِ فِي تَثْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً.

قُلْتُ: التَّثْنِيَةُ مَصْدَرٌ أُطْلِقُهُ هُنَا عَلَى اسْمِ الْمَفْعُولِ أَيِ فِي مَثْنَى الْأَسْمَاءِ. قَالَ فِي التَّسْهِيلِ فِي حَقِيقَةِ التَّثْنِيَةِ: جَعَلَ الْأَسْمَ الْقَابِلَ دَلِيلَ اثْنَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ فِي اللَّفْظِ غَالِبًا وَفِي الْمَعْنَى عَلَى رَأْيِ بَزِيَادَةِ أَلْفٍ فِي آخِرِهِ رَفْعًا، وَبَاءَ نَضْبًا وَجَوًّا، تَلِيهِمَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ فَتَحُّهَا لُغَةً، وَقَدْ تَضَمَّتْ وَتَسْقُطُ لِلْإِضَافَةِ وَالضَّرُورَةِ أَوْ لِتَقْصِيرِ صِلَةِ الْهَاءِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ مَا قَالَهُ غَيْرُهُ: مَا دَلَّ عَلَى اثْنَيْنِ بَزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ صَالِحًا لِلتَّجْرِيدِ وَعُطْفٍ مِثْلَهُ عَلَيْهِ فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ مَا دَلَّ عَلَى اثْنَيْنِ مَا دَلَّ عَلَى أَقَلِّ أَوْ أَكْثَرٍ. وَيَقُولُ بَزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ مَا دَلَّ عَلَى اثْنَيْنِ بَلَا زِيَادَةٍ، كَزَوْجٍ وَشَفْعٍ وَزَكَاةٍ وَكَيْلًا وَكَيْلَتًا إِلَّا أَنْ يَكِلَا وَكَيْلَتَا مُلْحَقَانِ بِالتَّثْنِيَةِ فِي

الإعراب على ما سيأتي. ويقول صالِحًا للتجريد: الثَّانِ وَالثَّانِ فَإِنَّهُمَا مُلْحَقَانِ بِهَا. ويقول: وَعُطِفَ مِثْلُهُ عَلَيْهِ، مَا لَا يَعُطِفُ عَلَيْهِ مِثْلُهُ، بَلْ غَيْرُهُ، كَالْقَمَرَيْنِ وَالْعُمَرَيْنِ، فِي التَّغْلِيْبِ فَإِنَّهُمَا مِمَّا يَلْحَقُ بِالثَّنِيَّةِ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالَّذِي أَرَادَ أَنَّهُمَا مِثْنَى حَقِيقَةٍ لَا مُلْحَقَانِ بِهَا. وَقَوْلُهُ فِي التَّسْهِيلِ: الْقَابِلُ خَرَجَ بِهِ مَا لَا يَقْبَلُ الثَّنِيَّةَ، وَالَّذِي يَقْبَلُهَا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ ثَمَانِيَّةُ شُرُوطٍ، جَمَعَهَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

وَلِلَّذِي تُنْيِي قُلْ ثَمَانٍ مِنْ الشُّرُوطِ قُتِرَتْ بِالْبَيَانِ
أَوَّلُهَا الْأَعْرَابُ وَالتَّنْكِيرُ وَعَدَمُ التَّرْكِيبِ وَالنَّظِيرُ
وَأَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا وَالْأُ يُغْنِي عَنْهُ غَيْرُهُ عِي نَقْلًا
كَذَا اتِّفَاقُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَلْيَ شُرُوطُهَا مَجْمُوعَةٌ لِلْمَبْتَدِي

فَلَا يَثْنَى الْمَبْنِي كَالضَّمَائِرِ وَأَسْمَاءِ الشُّرُوطِ، وَالِاسْتِفْهَامِ، وَالْمَوْصُولَاتِ، وَ الْإِشَارَاتِ. وَأَمَّا اللَّذَانِ وَاللَّتَانِ وَهَذَانِ فَمُلْحَقٌ بِالثَّنِيَّةِ، وَلَا تُثْنَى الْمَعَارِفُ حَتَّى يَقْدَرَ شَبُوحُهَا، فَلَا يَثْنَى الْعَلَمُ بَاقِيًا عَلَى عَلَمِيَّتِهِ، بَلْ إِذَا أُرِيدَ ثَنِيَّتُهُ، قَدَّرَ تَنْكِيرَهُ، بِدَلِيلِ دُخُولِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: الزَّيْدَانِ وَالْعِمْرَانِ، وَلَا الْمَرْكَبُ تَرْكِيبُ إِسْنَادٍ اتِّفَاقًا. وَفِي الْمَرْجِي ثَالِثُهَا إِنْ لَمْ يُخْتَمَمْ بِوَتِهِ، وَلَا مَا لَا نَظِيرَ لَهُ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيْبِ، فَقَدْ قَالُوا: الْقَمَرَانِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْعِمْرَانِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَا يَثْنَى الْجَمْعُ وَالْمِثْنَى بَاقِيًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ وَثَنِيَّتِهِ، غَيْرَ مَسْمُومٍ بِهِمَا، وَلَا يَثْنَى أَيْضًا مَا أَغْنَى عَنْهُ غَيْرُهُ كَسَوَاءٍ، فَلَمْ يَقُولُوا سَوَاءَانِ، بَلْ قَالُوا: سَيَّانٍ، فَأَغْنَى ثَنِيَّةُ سَيٍّ عَنْ ثَنِيَّةِ سَوَاءٍ، وَشَدَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

يَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَجْعَلِ الْحَبَّ بَيْنَنَا سَوَاءَيْنِ فَاجْعَلْنِي عَلَى حُبِّهَا جَلْدًا

وَلَا يَثْنَى أَيْضًا مَا اخْتَلَفَا لَفْظًا، كَزَيْدٍ وَعُمَرُو، إِلَّا مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّغْلِيْبِ. فَقَدْ قَالُوا: الْأَبْوَانِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ، وَالذَّرْهَمَانِ لِلذَّرْهَمِ وَالذَّيْنَارِ، وَالْأَذَانَانِ لِلْأَذَانِ وَالْإِقَامَةُ وَالْعِشَاءَانِ لِلْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ، وَالْفَاظَا كَثِيرَةٌ. وَالتَّغْلِيْبُ يَكُونُ لِلْأَخْفِ أَوْ لِلْأَفْضَلِ، فَالْمَفْرَدُ أَخْفُ مِنَ الْمَرْكَبِ، وَالْمَذْكُورُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْثُوثِ، فَلِذَلِكَ قَالُوا: الْعُمَرَانِ وَالْقَمَرَانِ، وَكَذَلِكَ مَا اخْتَلَفَا مَعْنًى كَأَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مَجَازًا فَلَا تَقُولُ: جَاءَ الْأَسَدَانِ وَتَعْنِي السَّبْعُ الْمَعْلُومُ وَ الرَّجُلُ الشَّجَاعُ.

■ تَنْبِيْهَاتُ :

الأول: هَذِهِ الشُّرُوطُ الثَّمَانِيَّةُ الَّتِي جَرَتْ فِي الْمِثْنِ، كُلُّهَا تَجْرِي أَيْضًا فِي جَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ، فَلَا يَجْمَعُ جَمْعَ سَلَامَةٍ إِلَّا بِهَا. وَإِلَّا كَانَ مُلْحَقًا بِالْجَمْعِ. هَكَذَا سَمِعْتُ

من شيخنا ابن قريش⁽¹⁾ وأظنه نقله عن الزياتي.

الثاني: مما ألحق بالمشئ كلاً وكنة، بشرط إضافتهما إلى الضمير. تقول: جاء الجيشان كلاًهما. والقبيلتان كلاًهما. ورأيت الجيشين كليهما، والقبيلتين كليهما، ومزوتت بالجيشين كليهما، وبالقبيلتين كليهما، وإعرايهما توكيد تابع للمؤكد. فإذا أضيف للظاهر، أعرب بالحركة المقدرة، نحو: ﴿كَلَّمَا الْمَلَكَيْنِ مَا لَكَ أَكْهَمًا﴾ [الكهف: الآية 33]، فكلمتا مبتدأ، مرفوعة بضممة مقدرة في الالف، وجملة آتت خبر. وإنما أعرب بالحركة إذا أضيف للظاهر إعطاء الأصل للأصل، فاصل الإضافة أن تكون للظاهر، وأصل الإعراب أن يكون بالحركة، فجاء أضيفت للظاهر رجعت لأصلها، فأعربت بالحركات.

الثالث: الباعث على التثنية الاختصار، وكذلك الجمع، وأصلهما العطف، بدليل رجوع الشاعر إليه في الاضطرار كقوله:

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا فَقَدَانِ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٌ

والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

وَأَمَّا أَلِفُ الْوَحْدَةِ، أَيِ التَّحْقُّقِ بِهَا فَيَكُونُ عَلَامَةً لِرَفْعِ صَاحِبِهَا وَكَمَالِهِ، فِي تَثْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً، أَيْ فِي حَالِ التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَقَطْ. فَمَنْ تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَزْدَقَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَجْدُودِيًّا، أَوْ تَقُولُ: تَكُونُ أَلِفُ الْوَحْدَةِ عَلَامَةً لِلِرَفْعِ فِي تَثْنِيَةِ الْأَشْيَاءِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا الْأَسْمَاءِ. وَتَثْنِيَّتُهَا: جَعَلَ رُؤْيِيَّهَا قَائِمَةً بَيْنَ الضَّدَّتَيْنِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْمَعْنَى، بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالْقَدَرَةِ، بَيْنَ عِبُودِيَّةٍ وَرُبُوبِيَّةٍ، بَيْنَ مُلْكٍ وَمَلَكُوتٍ، بَيْنَ أَثَرٍ وَمَوْثَرٍ، بَيْنَ كَوْنٍ وَمُكُونٍ، بَيْنَ خَلْقٍ وَحَقٍّ. فَلَا يَكُونُ الْعَارِفُ كَامِلًا حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنْ وَقَفَ مَعَ الضَّدَّةِ الْأُولَى، كَانَ مُحْجُوبًا مَطْمُوسَ الْبَصِيرَةِ. وَفِيهِ قَالَ الْمَجْدُوبُ⁽²⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(1) عبد الكريم بن أحمد ابن قريش: نزيل مدينة تطوان. كان علامة مشاركاً مدرّساً حافظاً ضابطاً خطيباً. تولى قضاء مدينة طنجة ومات بالمشرق بعد أداء فريضة الحج سنة 1197. ذكر سيدي أحمد بن عجيبة في فهرسته أنه أخذ عنه العلم ولازمه سنين، وقرأ عليه التفسير، والبخاري، ومسلم، وألفية ابن مالك وابن هشام، والمنطق، والبيان، والأصول، وشفاء القاضي عياض.

(2) أبو محمد عبد الرحمان بن عياد، الصنهاجي الأصل، الدغالي، عُرف بالمجذوب: الشيخ الصوفي العارف بالله الكبير. ازداد سنة 909 برباط عين الفطر قرب أزقور، ويُعرف بطيط، ثم رحل مع والده إلى نواحي مكناس. أخذ عن مشايخ عدة، منهم: سيدي علي الصنهاجي المعروف =

مَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ عَزَّ فِي عَمَى الْبَصِيرَةِ
وَمَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْمَكُونِ صَادَفَ عِلَاجَ السَّرِيرَةِ

وإن وقف مع الضد الثاني، كان سكراناً غير صاح، فانياً غير باقي، مجذوباً غير سالك، فلا يكون كاملاً، وبالله التوفيق.

ثم قال: وأما النون فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع، إذا انفصل به ضمير تثنية أو ضمير جمع، أو ضمير المؤنثة المخاطبة.

قلت: ضمير تثنية نحو: الزيدان يقومان، أو يقومان الزيدان. وضمير جمع نحو: الزيدون يقومون، أو يقومون الزيدون على لغة عدم تجريد الفعل فيهما.

وضمير المؤنثة المخاطبة: أنت يا هند تقومين، فالنون علامة للرفع في الجميع، سواء كان الألف والواو ضميرين أو حرفين دالّين على التثنية، ولا فرق في هذا الفعل المتصل بضمير تثنية أو ضمير جمع بين أن يكون مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة أم لا، فإنه في كل ذلك مرفوع بالنون نحو قوله تعالى: ﴿تَبْلُوكَ﴾ [آل عمران: الآية 186]، فاضله تَبْلُوونَ، كَتَنْصَرُونَ، تَحْرُكْتَ الواو وانفتح ما قبلها فَقَلَيْتَ إلفاً، فَصَارَ تَبْلَاوَنَ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار تَبْلَوَنَ ثم أكد بنون التوكيد، فصار تَبْلَوْنَنَ، اجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال فالتقى ساكنان: سُكُونُ الواو وسُكُونُ نون التوكيد المشددة، فحرّكت الواو بِالضَمَّةِ لِمُجَانَسَتِهَا لَهُ، فهذا الفعل مرفوع بالنون المحذوفة، لاجتماع الأمثال، ومِنهُ لتخرجن يا هند، أصله تُخْرِجِينَ، فأكد فصار تَخْرِجِيْنَنَ، فالتقى ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال، وكذلك تقول: يا زيدان واللّه لتخرجان، أصله لتخرجانين، فاجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع كما تقدّم وكسرت نون التوكيد. وما ذكره المصنف من أنّ ياء المخاطبة ضمير هو مذهب الجمهور. وقال الأخفش⁽¹⁾ والمّا زني: إنها حرف والفاعل ضمير مستتر. قال بعضهم: أصل هذه النون السُّكُونُ، وإنّما حُرِّكَتْ لالتقاء

بالدّوّار، وسيدّي أبو الرّواين، وسيدّي عمر الخطّاب، كان يتكلّم بكلام موزون من الكلام الملحون على لسان أهل العروض وأوزانهم الشعرية، يشتمل على ذكر الله، وتمجيد رسوله، والإشارات العرفانية، والكلام على النفس وعبوبها، والروح وحالتها، وشروط الشيخ، والصحة وآدابها، وغير ذلك إلا أن الناس كلما رأوه من الكلام على وزن كلامه نسبوه إليه فخلطوا فيه كثيراً. توفي بمكناس سنة 976.

(1) سعيد بن مسعدة البخّي ثم البصري، أبو الحسن، المشهور بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب. من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيويه. توفي سنة 215. من مصنفاته: تفسير معاني القرآن، الاشتقاق، معاني الشعر، وكتاب الملوك.

الساكنتين سكونها وسكون ما قبلها، فكسرت بعد الألف على أصلها، وفتحت بعد الواو والياء تخفيفاً لاستئصال الكسرة بعدهما، وقيل: تشبيهاً للاول بالمشي والثاني بالجمع، وقد تفتح بعد الألف، قرئ أتعذاني، وقد نضم قرئ شاذاً: طَعَامٌ تُرْزَقَانُهُ يَضُمُّ النُّونَ وقد تحذف هذه النون في النثر، ففي الصحيح: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا». وفي النظم كقول الشاعر:

أَسْرِي وَتَبَيَّنِي تَذَلُّكِي وَجْهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْيَسْكَ الذِّكِّي

وإذا اجتمعت هذه النون مع نون الوقاية جاز فيهما الفك والإدغام والحذف وقرئ بالجمع. وهل المحذوف حينئذ نون الرفع أو نون الوقاية قولان.

■ تَبْيِيهِ :

قد تلتبس هذه النون بنون الإناث التي يبنى المضارع معها وذلك في المضارع المُعْتَلِ بِالْوَاوِ وَالْيَاوِ، نحو: الرُّيْدُونَ يَدْعُونَ وَالْهِنْدَاتُ تَدْعُونَ أو الرجال يغزون والنساء تغزون، فالأول مُعْرَبٌ والثاني مُبْنِيٌّ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولَ﴾ [البقرة: الآية 237]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً مِمَّا يَدْعَوْنَ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: الآية 33]، ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ﴾ [النور: الآية 60]. فهذه الأفعال الثلاثة كلها مبنية لأنضالها بنون الإناث، فالنون فيها فاعل والواو عين الكلمة بخلاف ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ [الفرقان: الآية 21] فإنه مُعْرَبٌ، والواو فاعل وأصله يَرْجُونَ على وزن يَفْعَلُونَ، وأما ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ﴾ فأصله يَرْجُونَ على وزن يَفْعَلْنَ، فالواو أصلي والنون فاعل، وقس عليه نظائره. وكذلك الهندات ترمين، مبني والنون فاعل بخلاف أُنْتِ يَا هِنْدُ ترمين، فمعرب بشبوت النون والياء فاعل، وهذه مسألة ابن خميسة مع أهل سبته التي ذكرها ابن غازي⁽¹⁾ في حاشيته على الألفية، فانظرها فيه، إذ لم تحضر لي الآن.

■ الإِشَارَةُ :

وأما نون الأنانية وهو مقام الفنا الذي يقول فيه صَاحِبُهُ: أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا، فَيَكُونُ عَلَامَةً لِرَفْعِ صَاحِبِهِ إِذَا اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرٌ، أي قلبُ تشية: وهو الذي

(1) محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، أبو عبد الله: مؤرخ، حاسب، فقيه. ولد بمكناس سنة 841 وتفق بها وبفاس، وأقام زمناً في كتامة. استقر بفاس سنة 891 وتوفي بها سنة 919. من بين مصنفاته: الروض الهتون في أخبار مكناس، وغنية الطلاب في شرح مئة الحساب، وكماليات فقهية على ملعب المالكية، وتفصيل النور في القراءات، وشرح ألفية ابن مالك.

يقرّ الشريعة في محلّها، والحقيقة في محلّها. فالشريعة للظواهر والحقيقة للبواطن. فلا يكملّ مقام الفناء إلّا بالبقاء الذي يُعطى فيه كل ذي حقّ حقّه كما تقدّم.

أو تقول ضمير تثنية هو رؤيته المُتدبّن في جميع التجليات كما تقدّم.

أو ضمير جمع على الله في جميع الأوقات وكلّ الحالات، فيكون مستغرقاً في الشهود، غائباً عن كلّ موجود، مستديم الشرب والورود، عارفاً من عين المنة والجود.

أو ضمير المؤنثة، أي ذي البصيرة المنوّرة المخاطبة بالواردات الإلهية والعلوم اللدنية والأسرار الربّانية، وبالله التوفيق.

ثم ذكر علامات النصب فقال:

وللنّصب خمس علامات: الفتحة والألف والكسرة والياء وحذف التّون.

قلت: قدّم الفتحة لأصالتها، ونشئ بالألف لأنها بنتها، وثلث بالكسرة لأنها أختها وذكر الياء بعدها لأنها بنتها وأخت الألف في اللّين، وختم بالتّون لأنه مُختصّ بالأفعال اختصاص الألف والياء والكسرة بالأسماء، وتشارك الفتحة بين الأسماء والأفعال.

■ الإِشارة:

وللنّصب العبد نفسه للمقادير في مقام الرّضى خمس علامات:

الفتحة أي فتح قلبه لمعرفة الحقّ، فإنّ من عرّف الحقّ رضى بأحكامه، ومن جهله سخط أحكامه. قيل لبعض العارفين: ما تشتهي؟ قال: ما يقضي الله. وقال آخر: أصبحْتُ وما لي سرورٌ إلّا في مواقع القدر. وفي الحكيم: «العاقِل إذا أصبحَ نظرَ ما يفعله الله، والعاقِل ينظر ما يفعل بنفسه».

وعلامّة النّصب للمقادير أيضاً والرّضى بما يبرز من عنصُر القدرة، ألف الوحدة،

فلا يرى إلّا الله، ولا يركنُ إلى شيءٍ سِوَاهُ، لأنّ من رضى باللّهِ ربّاً، لا يعرفُ

غيره.

وعلامته أيضاً: الكسرة أي الخضوع والسكون تحت مجاري أقداره، والذلّ

والافتقار إليه.

وعلامته أيضاً: اليقين الثّام والطمانينة الكبرى، فالياء يُشار بها هنا إلى اليقين.

وعلامته أيضاً: حذف نون الأنانية بخروجه إلى البقاء، فالغائي يقول: أنا

والباقي يقول: هو، كما تقدّم.

ثُمَّ فَضَّلَ مَا تَقَدَّمَ فَقَالَ:

فَأَمَّا الْفَتْحَةُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

الأول: فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ وَهُوَ مَا لَيْسَ مثنًى وَلَا مَجْمُوعًا وَلَا وَاحِدًا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ نَحْوُ: رَأَيْتَ زَيْدًا، وَعَبَدَ اللَّهَ، وَالْفَتَى وَالْقَاضِي.

والثاني: جَمْعُ التَّكْسِيرِ نَحْوُ: رَأَيْتَ الرِّجَالَ وَالْهِنُودَ وَالْأَسَارِيَ وَالْجَوَارِيَ.

والثالث: الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ نَحْوُ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا﴾ [الْحَجَّ: الْآيَةُ 37]، وَلَنْ يَخْشَى اللَّهَ مَنْ يَعْصِيهِ.

■ الْإِشَارَةُ:

لَا يَكُونُ الْفَتْحُ دَلَالًا عَلَى تَحَقُّقِ الْعَبْدِ بِمَقَامِ الرِّضَى إِلَّا بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ فِي بَدَائِئِهِ: الْاسْتِفْرَاقُ فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ، وَصُحْبَتُهُ لِلذَّاكِرِينَ، وَتَمَسُّكُهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلَلِ وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِالشَّرِيعَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ.

ثُمَّ قَالَ:

وَأَمَّا الْأَلْفُ فَيَكُونُ عِلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ فِي عِلَامَاتِ الرَّفْعِ.

نَحْوُ: رَأَيْتَ أَخَاكَ وَأَبَاكَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

نَحْوُ: رَأَيْتَ حَمَّاكَ وَقَبِلْتُ فَاكَ وَرَأَيْتَ ذَا مَالٍ، فَأَخَاكَ وَمَا يَغْدَهُ مَنْصُوبَاتٍ وَعِلَامَةُ نَصْبِهَا الْأَلْفُ.

■ الْإِشَارَةُ:

وَأَمَّا أَلْفُ الْوَحْدَةِ، إِذَا تَحَقَّقَ بِهِ الْمُرِيدُ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ، فَيَكُونُ عِلَامَةً لِلنَّصَبِ لِلْمَشِيخَةِ وَالتَّذَكِيرِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ، فَإِذَا تَحَقَّقَ بِهَا كَانَتْ عِلَامَةً عَلَى صِحَّةِ نَصْبِهِ، وَظُهُورِهِ بِذَلِكَ ثَلَاثَةٌ فِي سِيرِهِ وَهِيَ: الصُّحْبَةُ لِلشَّيْخِ، وَخَرَقُ عَوَائِدِ نَفْسِهِ. وَإِذْنُ لَهُ مِنْ شَيْخِهِ. اثْنَانِ بَعْدَ وَصُولِهِ وَهُمَا: التَّحَقُّقُ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ، وَالْبَقَاءُ. وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.

ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الْكَسْرَةُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلنَّصَبِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمِنْ كُرْسِيِّهَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البَقَرَةُ: الْآيَةُ 255]، ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: الْآيَةُ 44] فَالسَّمَاوَاتُ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ، وَعِلَامَةُ نَصْبِهِ الْكَسْرَةُ النَّائِيَةُ عَنِ الْفَتْحَةِ. وَهَاهُنَا بَحْثٌ وَهُوَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَفْعُولِ بِهِ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا قَبْلَ

الفعل، ثم يجيء الفاعل فيفعل فيه بفعله، نحو: ضربت زيدًا، فزيد موجود قبل الضرب، ثم وقع الضرب عليه. والسموات لم تكن موجودة قبل الخلق، بل وجدت به، فهي أشبه شيء بالمفعول المطلق الذي من شأنه أن يوجد بالفعل. والجواب أن هذه القاعدة إنما هي في غير أفعال الإيجاد والاختراع. وأمّا ما يدل على الإيجاد والاختراع فالمفعول يوجد بها، نحو: صنعت سفينة وقضعة، ونحوهما. وقد تقدّم الكلام على جمع المؤنث السالم، فلا نعيد الكلام عليه.

■ الإشارة:

وأمّا الكسرة أي الزلة والهفوة، فتكون علامة على نصب العبد وجهه لجهة التوجه، بحيث لم تضره ولم تفتقره بل تزيده إنكسارًا وإيحاشًا لرؤيه في جمع المؤنث السالم، أي إذا كان مبدأ منه بطبيعته لجهة النساء، ثم سلّم من غالتهم، ورحل إلى ربه بانكساره، «معصية أوزنت دلاً وافقارًا خير من طاعة أوزنت عِزًا واستكبارًا» [الحكم العطائية]، وبالله التوفيق.

وأمّا الياء فتكون علامة للنصب أي نائبة عن الفتحة:

في التثنية نحو: رأيت الزيدتين. وقوله تعالى في قراءة أبي عمرو: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَوَاحِرُ﴾ [طه: الآية 63] فالياء نائبة عن الفتحة فيهما.

والجمع: نحو: رأيت الزيدتين، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: الآية 22] فالياء نائبة عن الفتحة فيهما، مفتوح ما بعدها، مكسور ما قبلها، بخلاف التثنية، فإن ما قبلها مفتوح، وما بعدها مكسور. وإنما خصل المثني بالكسر والجمع بالفتح لما بعد الياء لخفة المثني وثقل الجمع، فأعطي الثقل الخفيف، والخفيف للثقل ليتعادلا، والله تعالى أعلم.

الإشارة:

وأمّا اليقين والطمأنينة فيكون علامة لنصب العبد وتوجهه إلى ربه في التثنية، أي في ضم الشريعة إلى الحقيقة. فإن كان ظاهره متمسكًا بالشريعة وباطنه منورًا بأسرار الحقيقة فليمتنا كماله وصحة توجهه، وإن أحلّ بأحدهما فليمتنا نقصانه، وإن ظهر أثر اليقين عليه من سكون الظاهر وطمأنينته فإن كثيرًا من العباد والزهاد ظهر عليهم أثر اليقين وهم غير كمال بل هم أشد حجابًا عن الله. ويظهر أيضًا نصبه وتوجهه في الجمع الدائم بالقلب الهائم، فيكون شربه متواليًا وشكره متواصيلًا، كما قال الشاعر:

مِنْ أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ شُكْرٌ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْمَلِ الرُّغَائِبِ وَضَلُّ بِلا انصرام

وأما حذف النون فيكون علامة للنصب في الأفعال التي رَفَعَهَا بِثَبَاتِ النون. وهي الفعل المضارع الذي اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرُ تَثْنِيَّةٍ أو ضَمِيرُ جَمْعٍ أو ضَمِيرُ المؤنثة المخاطبة، نحو: لَنْ تَفْعَلَا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلِي. فَلَنْ حَرْفُ نَصْبٍ واستقبال وتفعلا فعل مُضَارِعٌ منصوبٌ، وعلامة نَصْبِهِ حَذْفُ النون، وثبات في كَلَامِ الْمُصَنِّفِ مصدر، يقال: ثبت ثبوتًا وثباتًا. فالأول مقيس والثاني سماعي ومثله: ذهب ذهبًا ودَهْوِيًّا. والله تعالى أَعْلَمُ.

■ الإِسَارَةُ:

وأما حذف نون الأنانية بِالْخُرُوجِ إِلَى التَّحَقُّقِ بِالْهُوِيَّةِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ، وقد تقدَّم أَنَّ الْغَايَةَ يَقُولُ أَنَا وَالْبَاقِي يَقُولُ: هُوَ. فَعَلَامَةُ نَصْبِهِ فِي مَقَامِهِ اسْتِغْنَاةُ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِثُبُوتِ النونِ الَّذِي يَحْقُقُهَا وَهُوَ الْإِخْلَاصُ وَالْإِثْقَانُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثم ذكر علامة الخفض، فقال: وللخفض ثلاث علامات: الكسرة.

نحو: بسم الله.

والياء: نحو: رب العالمين.

والفتحة: نحو: إلى إبراهيم.

قدَّم الكسرة لأصالتها وثنى بالياء لأنها ابنتها وثلث بالفتحة لأنها أختها.

■ الإِسَارَةُ:

وللخفض العبد وتواضعه ثلاث علامات:

انكساره لربه دائماً، هيبة منه وإجلالاً له، ولعباد الله تواضعاً، ولأوليائه تعظيماً.

وتَحَقُّقُهُ بِبَاءِ النُسَبِ، أي يكون منسوباً إلى الصُوفِيَّةِ، متحققاً بِمَقَامِهِمْ، حتى يقال فيه صوفي، أو منسوباً لأولياء الله مضافاً إليهم.

الثالث: أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحًا عَلَيْهِ، قد تحقق بالفتح الكبير. وفي الْحَكَمِ: «التواضع الحقيقي ما كَانَ نَاشِئًا عَنْ شُهُودِ عَظَمَتِهِ وَتَجَلِّيِ صِفَاتِهِ». وبالله التوفيق.

فأما الكسرة فتكون علامة للخفض في ثلاثة مواضع: في الاسم المفرد المنصرف.

أي الذي فيه تنوين الصرف نحو مررت بزيد.

و في جمع التكسير المنصرف: نحو: مَرَرْتُ بِرِجَالٍ، واختَرَزَ بِهِ مِنْ غَيْرِ المنصرف، نحو: من محارب وثمانيل، وسيأتي.

و في جمع المؤنث السالم: نحو: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ [الجاثية: الآية 3] فَإِنَّ: حرف تأكيد ونصب. وفي السموات: جاز ومجرور، وعلامة جرّ كسرة في آخره، وهو خبر إنّ مقدّم. وآيات: اسمها مؤنّخر، منصوب بالكسرة نائية عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم كما تقدّم وَلَمْ تُقَيِّدْهُ بالمنصرف، لأنه لا يكون إلّا منصرفاً على المشهور.

■ الإِشَارَةُ:

فَأَمَّا الْإِنْكَسَارُ فَيَكُونُ علامة للتواضع الحقيقي في ثلاث:

أولها: الاشتغال بذكر الله، وأعظم الذكر الاسم المفرد، لأنه سلطان الأسماء، فإن الذكر يَهْدَبُ وَيُؤَدَّبُ. قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: الآية 45].

ثانيها: جمعه مع الأولياء، أهل الإكسير والتكسير.

ثالثها: تحصيله للسنّة وإحرازه لدينّه، بجمعه بالمؤنث السالم من غوائله، وهو التزوّج، فلا يظهر تواضع العبد وحُسن خُلُقِهِ إلّا مع أهله وأولادِهِ. قال (ص): «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي». وبالله التوفيق.

وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ علامة للمخفّض في ثلاثة مواضع: في الأسماء الخمسة أي المتقدمة، نحو: مَرَرْتُ بِأَخِيكَ، وَأَيْبُكَ، وَحَبِيبِكَ، ونظرت إلى فيكَ، وذِي مَالٍ.

وفي التثنية: نحو: مررت بالزّيدَيْنِ.

والجمع، نحو: رَبِّ الْعَالَمِينَ.

■ الإِشَارَةُ:

وَأَمَّا يَاءُ النُسْبَةِ الَّتِي تُحَقِّقُهُ بِاللَّحُوقِ بِالصُّوفِيَّةِ، فَتَكُونُ علامة على خَفْضِهِ وتواضعِهِ حتى يتحقّق بما تحقّقوا به في ثلاثة مواضع: في الأسماء الخمسة، أي يظهر تواضعه في الأسماء الخمسة، في الإنس والجنّ والملائكة والحيوانات والجمادات. فَإِنَّ الْعَارِفَ يَتَوَاضَعُ مَعَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ وَمَعَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا لِأَنَّ تَوَاضُعَهُ نَاشِئٌ عَنْ شَهَادَةِ عَظَمَةِ الذَّاتِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وفي التثنية، أي في شهود الصّديقين في الأشياء كلّها، فيتواضع مع الرّبوبيّة، ويقوم بحقوق العبودية.

وفي الجمع، أي في جمع الإخْوَان، فيتواضع مع صغيرهم وكبيرهم، ويرحم صغيرهم ويؤقر كبيرهم. وفي الحديث: «ارْحَمُوا صَغِيرَكُمْ، وَوَقُرُوا كَبِيرَكُمْ» أو كما قال عليه السَّلَامُ، كما في الجامع. ولله در القائل:

ارْحَمْ بُنِي جَمِيعَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وانظر إليهم بعين الجَلَمِ وَ الشَّفَقَةِ
وَقُرْ كَبِيرَهُمْ وَارْحَمْ صَغِيرَهُمْ وَرَاعِ فِي كُلِّ خَلْقٍ حَقَّ مَنْ خَلَقَهُ
وأما الفتحة فتكون علامة للخفض في الاسم الذي لا يتصرف.

قلت: الاسم على قسمين: معرب وهو الأصل، ومبني وهو الفرع، وإنما بُني الاسم إذا أشبه الحرف شَبَهَا قَوِيًّا، يقرئه من الحروف، فَيُنْبِئُ حِينَئِذٍ أَنَّ الحروف كلها مبنية، وأنواع الشَّبه ثلاثة:

أحدها: الشبه الوضعي، وهو أن يكون الاسم على حرف أو حرفين، كَتَاءٍ قُمْتُ، فإنها شبيهة بياء الجر ولامه و كالتون من قمنا فإنها شبيهة بِبَلْ وقد، فالضمائر كلها مبنية إذ جُلِّها على حرف أو حرفين، وما وُجِدَ منها على ثلاثة كنحن فهو شبيه بمنذ الحرفية.

الثاني: الشَّبه المعنوي، وهو أن يتضمن الاسم معنى من معاني الحروف، أي المعاني التي حقها أن تؤدَّى بالحروف، سواء وُضِعَ لذلك المعنى حرف أم لا، فالأول كمى، فإنها تستعمل شرطًا، فهي شبيهة حِينَئِذٍ بِأَمَّا الشرطية وتستعمل استفهامًا فهي شبيهة حِينَئِذٍ بِهَمْزَةِ الاستفهام، وإِنَّمَا أُعْرِبَتْ أَي الشرطية في نحو: «أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ» [القصص: الآية 28]. والاستفهامية في نحو: «فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ» [الأنعام: الآية 81] لضعف الشَّبه بما عَارَضَهُ مِنْ لُزُومِهَا الإِضَافَةِ التي هي من خصائص الأسماء. والثاني: وهو المعنى التي لم يُوضَعْ لها حَرْفٌ، نحو: هُنَا، فإنها مضمَّنة لمعنى الإشارة؛ وهذا المعنى لم تُضَعْ له العرب حَرْفًا، ولكنه من المعاني التي حقها أن تؤدَّى بالحروف، ومعنى الإشارة هو المعنى الذي لا يصحُّ النطق به؛ لأنه لا يؤدَّى بالكلام. وأمَّا ذا مثلاً، فاسمٌ لِلْمُشَارِ إليه، لكنه تضمن معنى الإشارة التي لم تُضَعْ لها العرب حَرْفًا يدلُّ عليها مع أنها من المعاني التي من حقها أن تؤدَّى بالحروف، كالتثنية والخطاب، وإنما أعرب هَذَانِ وهَاتَانِ لضعف الشَّبه بِمَجِيئِهَا على صورة المثنى التي هي من خصائص الأسماء.

والثالث: الشبه الاستعمالي وضابطه أن يلزم الاسم طريقة من طرائق الحروف، كَأَنَّ يَنْتَوِبَ عَنِ الْفِعْلِ ولا يدخل عليه عامل فيؤثر فيه أو كان يفتر افتقارًا مُوَضَّلًا إلى جملة، فالأول كَهَيْهَاتَ وَصَهْ وَأَوْه، فإنها نائبة عَن بَعْدَ، واسْكُتْ وَأَتَوَجَّعْ، وَلَا يصحُّ أن يدخل عليها عامل فيؤثر فيها، فَأَشْبَهَتْ لَعَلَّ وَلَيْتَ مثلاً، ألا ترى إنها نائبة في

المعنى عن أترجى وأتمنى، ولا يدخل عليها عامل، واحترز بالتأثير من المصدر النائب عن فعله، فإنه تأثر بالفعل النائب عنه، فأعرب. والثاني وهو: الشبه الافتقاري كإذ و حيث والموصولات، فإنها مفتقرة إلى ما بعدها، فلا يتم معناها إلا بذكر ما بعدها. فأشبهت الحروف في الافتقار، إذ من شأن الحرف ألا يستقل بنفسه، وإنما أعرب اللذان واللتان. وأي الموصولة، لضعف الشبه كما تقدم. وإذا سلم الاسم من شبه الحرف أعرب، وهو على قسمين: متمكن أمكن؛ وهو المنصرف. ومتمكن غير أمكن؛ وهو الممنوع من الصرف، وسبب منعه من الصرف، لشبهه بالفعل؛ لأن الفعل لا يدخله الخفض ولا التنوين، فإذا أشبه الاسم منع منهما، فيكون غير منصرف، والصرف هو التنوين الذي يدل على حقة الاسم وتمكنه في باب الاسم. وشبهه بالفعل؛ أن توجد فيه علتان فرعيتان، أو علة تقوم مقام علتين، فإن كان كذلك، منع مما يمنع منه الفعل. وذلك أن الفعل فيه أمران زائدان على مجرد معناه، أحدهما راجع إلى لفظه والآخر إلى معناه، فالراجع لللفظ اشتقاقه أي أخذه من المصدر، كقام من القيام، وعلم من العلم، ونحو ذلك. والأصل في الأشياء عدم أخذها عن غيرها. والراجع إلى معناه افتقاره إلى فاعل، فإن الأصل في الأشياء استقلالها بنفسها وعدم افتقارها إلى غيرها. أما وجه جعلهما علتين، فليوجهين، أحدهما كونهما أمرين زائدين على أصل المعنى و. وإردئين عليه، فهما بمنزلة العلة الواردة على الأجسام الصحيحة، والآخر كونهما صالحين للإلحاق بمحلها والجمع بهما كما هو شأن القياس، وأما جعلهما فرعيتين فلا يخفى أن الأصل في الكلمة ألا تكون مشتقة، ولا مأخوذة من غيرها، وإن عدم الاستقلال والاحتياج إلى الغير فرع عن الاستقلال وعدم الاحتياج إلى الغير. فإذا كان الاسم مشتملاً على علتين فرعيتين، أخذاهما راجعة إلى اللفظ والأخرى إلى المعنى، حصل له الشبه بالفعل فُنع مما منع منه الفعل وليست علتان الموجودتان في الفعل هما اللتان تكونان في الاسم، وإنما المراد أنهما ينشأ بهان في مجرد وجود علتين. وجُملة العلة التي توجد في الاسم فيشبه بها الفعل تسع جمعتها بعضهم في بيت فقال:

اجتمع وزن عادلاً أنت بمفرقة ركب وزد عجمة فالوصف قد كَمَلَا

فقوله: اجتمع، يشير به إلى صيغة مُنتهى الجموع؛ وهو ما كان على وزن مقاعيل، أو مقاعيل، وما أشبهه، كقواعيل وتفاعيل لأنه لا نظير له في المفردات، نحو: من محارب وتمايل ودراهم. فمحارب وتمايل ودراهم مجرورة بالفتحة الثابتة عن الكسرة؛ لأنه اشتمل على علتين فرعيتين؛ إحداهما من جهة اللفظ، وهي صيغة الجمع، والأخرى من جهة المعنى، وهي عدم النظير في الأحاد في كلام العرب، إلا

أَنَّ النُّحَوِيْنَ يَقُولُونَ فِي هَذَا: فِيهِ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الظَّاهِرَةَ هِيَ كَوْنُهُ جَمْعًا وَهِيَ لَفْظِيَّةٌ، وَأَمَّا عَدَمُ التَّظْيِيرِ فِيهِ عِلَّةٌ لَازِمَةٌ لِلصَّبْغَةِ، وَإِنَّمَا سُبُيْتُ مُتَنَهًى الْجُمُوعَ لِأَنَّ الْمَفْرُودَ قَدْ يُجْمَعُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فَإِذَا انْتَهَى إِلَى هَذَا بِالْجَمْعِ لَمْ يُجْمَعْ بَعْدَ ذَلِكَ. تَقُولُ: كَلْبٌ وَأَكْلَبٌ وَأَكَالِبُ، وَلَا تَزِدُ.

وَقَوْلُهُ وَزَنَ أَشَارَ بِهِ إِلَى وَزْنِ الْفِعْلِ، نَحْوُ: أَحْمَدُ وَيَعْلَى. فَأَحْمَدُ عَلَى وَزْنِ أَكْرَمَ. وَيَعْلَى عَلَى وَزْنِ يَعْلَمُ، وَتَكُونُ فِي الْأَسْمِ كَأَحْمَدَ، وَالْوَصْفُ كَأَحْسَنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَحَيَّوْا بِأَحْسَنِ مِثْلِهِ﴾ [النِّسَاءُ: الْآيَةُ 86] فَأَحْسَنَ مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ وَعِلَامَةُ جَرِّهِ الْفَتْحَةُ نَائِبَةٌ عَنِ الْكَسْرِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ: الْوَصْفُ وَوَزْنُ الْفِعْلِ. كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ، الْمَانِعُ لَهُ الْعِلْمِيَّةُ وَوَزْنُ الْفِعْلِ. وَالْمُرَادُ بِوَزْنِ الْفِعْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِ، أَوِ الْغَالِبُ فِيهِ، فَالْأَوَّلُ كَشَمَّرَ اسْمَ لِفَرَسٍ، وَالثَّانِي كَأَحْمَدَ وَأَحْسَنَ.

وَقَوْلُهُ عَادِلًا، أَشَارَ بِهِ إِلَى الْعَدْلِ وَحَقِيقَتِهِ صَرْفُ أَوَّلِي بِالْمُسَمَّى إِلَى لَفْظِ آخِرٍ لِعِلَّةٍ، وَيَكُونُ فِي الْعِلْمِ وَالْوَصْفِ، فَالْأَوَّلُ نَحْوُ: عُمَرُ وَمُضَرٌ، نَحْوُ: مَرَرْتُ بِعُمَرَ، فَعُمَرَ مَجْرُورٌ بِالْفَتْحَةِ نَائِبَةٌ عَنِ الْكَسْرِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَدْلُ لِأَنَّهُ عَدَلُ بِهِ عَنْ عَامِرٍ وَمَاضِرٍ لِلخَفَةِ لِأَنَّ عُمَرَ وَمُضَرَ أَخْتٌ مِنْ عَامِرٍ وَمَاضِرٍ. فَالْعَدْلُ عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ وَالْعِلْمِيَّةُ مَعْنَوِيَّةٌ، وَمِثَالُهُ الْعَدْلُ فِي الْوَصْفِ: مِثْنَى وَثَلَاثُ وَرِبَاعٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَّلُ أَجْنَحَيْنِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرِبْعٍ﴾ [فَاطِرٌ: الْآيَةُ 1] فَمِثْنَى وَمَا بَعْدَهَا نَعْتٌ لِأَجْنَحَةٍ، مَخْفُوضَةٌ بِالْفَتْحَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْوَصْفُ وَالْعَدْلُ. فَالْعَدْلُ لَفْظِيٌّ، وَالْوَصْفُ مَعْنَوِيٌّ. وَمَعْنَى الْعَدْلِ فِيهَا، كَوْنُهَا مَعْدُولَةٌ عَنْ أَعْدَادِهَا الْمَكْرُورَةِ، فَمِثْنَى مَعْدُولٌ عَنْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَلَاثُ عَنْ ثَلَاثِ ثَلَاثِ، وَرِبَاعٌ عَنْ أَرْبَعِ أَرْبَعِ، بِحَسَبِ مَا وَقَعَتْ وَصْفًا لَهُ أَوْ خَبَرًا عَنْهُ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مِثْنَى مِثْنَى» وَتَقَعُ حَالًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالنَّكْحُ مَا طَابَ لَكُمْ مِنْهُ الْيَسْلُ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرِبْعٍ﴾ [النِّسَاءُ: الْآيَةُ 3] أَيِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَلَاثِ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعِ أَرْبَعِ لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَ أَمَّا آخِرُ فَمَعْدُولٌ عَنْ آخِرٍ لِأَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ إِذَا جُرِّدَ لَزِمَ الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَ، فَحَقُّهُ هُنَا أَنْ يَكُونَ مَفْرُودًا، فَعُدِّلَ بِهِ إِلَى الْجَمْعِ لِلخَفَةِ، كَعُمَرَ.

وَقَوْلُهُ: آثَتْ، أَشَارَ بِهِ إِلَى التَّانِيثِ، وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ مَا فِيهِ أَلِفٌ التَّانِيثِ الْمُقْصُورَةُ كَحَبْلِي، وَالْمَعْدُولَةُ كَصَحْرَاءَ وَحَمْرَاءَ، فَهَذَا يَمْنَعُ صَرْفَهُ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، اسْمًا أَوْ وَصْفًا. تَقُولُ: مَرَرْتُ بِحَبْلِي وَبِحَمْرَاءَ، فَالْأَوَّلُ مَجْرُورٌ بِالْفَتْحَةِ الْمَقْدُورَةُ، وَالثَّانِي ظَاهِرَةٌ، وَهَذَا الْقِسْمُ يَقُولُ فِيهِ النُّحَوِيُّونَ: فِيهِ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ، لِأَنَّ التَّانِيثَ عِلَّةٌ، وَلِزُومِهِ عِلَّةٌ أُخْرَى؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَلِفَ لَازِمَةٌ لِلتَّانِيثِ، لَا تَخْرُجُ عَنْهُ أَبَدًا، بِخِلَافِ التَّاءِ؛ فَقَدْ تَكُونُ لِغَيْرِ التَّانِيثِ كَالْوَحْدَةِ، نَحْوُ: نَمْلَةٌ وَنَحْلَةٌ

ونخلة. والقسم الثاني: التانيث بغير ألف، وهذا إنما يكون مع العَلَمِيَّة، سواء كان التانيث لفظيًا أو معنويًا وهو على قسمين: ما كان مؤنثًا بالتاء، كطلحة وفاطمة وهبة عَلَمًا، فهذا يمنع مطلقًا ثلاثيًا أو رباعيًا. والمانع له: العلمية والتانيث. فالعلمية معنوية، والتانيث لفظية. وما كان مؤنثًا بغيرها، نحو: زينب، فإن كان رباعيًا كزينب، أو عجميًا كجور بضم الجيم: اسم المرأة، أو مُحَرَّكًا وسطه كسفر أو أصله لمذكر. وسُمِّيَ به مؤنثًا، كزيد، مُنْعٍ من الصرف على كل حال، وإن كان مُسَكَّن الوسط نحو هند ودعد، ففيه وجهان، أشهرهما المنع. والعَلَتَانِ فيه: العلمية والتانيث كما تقدم.

وأشار بقوله: بمعرفة، إلى علة التعريف، والمراد به العَلَمِيَّة. وتكون مع العدل والتانيث، ومع التركيب الذي أشار إليه بقوله: رَكَّبَ والمراد به التركيب المَرْجِي، نحو: بَعْلَبَكَّ وَمَعْلِي كَرَب. ونحو: مَرَرْتُ بِبَعْلَبَكَّ: اسم بلدة. فبَعْلَبَكَّ مجرور بفتحه نَائِبَةٌ، والمانع له من الصَّرْفِ العَلَمِيَّة والتركيب، الأولى معنوية، والثانية لفظية. وتكون العَلَمِيَّة مع زيادة الألف والتون، وإليه أشار بقوله: وَزِدْ، نحو عمران وعثمان، وتُزَادُ أيضًا في الوصف، نحو سكران وعطشان، فالمانع في الأول العَلَمِيَّة والزيادة وفي الثاني الوصف وزيادة الألف والتون. فالوصف معنوي، والزيادة لفظية، لكن يُشْتَرَطُ في الوصف ألا يُوْتَتْ بِالتَّاءِ، احترازًا من نحو: نَدَمَان، من المُنَادَمَةِ، وهي المَصَاحِبَةُ، فهذا يُصَرَف، تقول: مَرَرْتُ بِنَدَمَانِ بالتثوين، لَأَنَّ مُؤَنَّثَهُ نَدَمَانَةُ بِالتَّاءِ، فَلَيْسَ هُوَ كَغَضَبَانٍ، لَأَنَّ مُؤَنَّثَهُ غَضَبَى. وكذلك نَدَمَانُ مِنَ النَّدَمِ، وَمُؤَنَّثُهُ نَدَمَى، فَيُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ.

■ تنبيه:

إذا احتملت النون أن تكون أصلية أو زائدة كَانَ فِيهِ وَجْهَانِ: الصَّرْفُ وعدمه. وذلك نحو: حسان وشيطان ورمان، فيحتمل أن يكون من الجَسِّ فَيُمْنَعُ أو من الحُسْنِ فَيُصَرَف. وكذلك شيطان يحتمل أن يكون من شَاطِئِ أَيِّ بَعْدٍ، أو من شَطَلٍ، وكذلك رَمَان، يحتمل أن يكون من الرَمِّ، أو من الرَمْنِ، انظر المرادي. والمشهور في الثلاثة الصَّرْفُ كما في القرآن. وتكون العَلَمِيَّة أيضًا مع العُجْمَةِ، وإليه أشار بقوله: عُجْمَةٌ، نحو: ﴿إِنَّ إِلَهِكُمْ لَا يُخَلِّقُ إِلَّا مَا يُشَاءُ وَلَا يَخْتَارُ﴾ [البقرة: الآية 136]، فَكُلُّهَا مَجْرُورَةٌ بِالْفَتْحَةِ النَّائِبَةِ. والمانع العَلَمِيَّة والعُجْمَةُ الأولى معنوية والثانية لفظية. وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْرِفَةٌ عِنْدَ الْعَجَمِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ نَكْرَةٌ صَرَفَ نَحْوِ لَجَامٍ وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ نَكْرَةٌ وَصَارَ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَمًا نَحْوَ قَالُونَ لِلْإِمَامِ الْمَشْهُورِ فَإِنَّهُ فِي أَصْلٍ وَضَعَ الْعَجَمُ بِمَعْنَى خَالِصٍ ثُمَّ صَارَ عَلَمًا فَلَا يُمْنَعُ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ زَائِدًا عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ. فَإِنْ كَانَ ثَلَاثِيًا صُرِفَ، كَنُوحٍ وَلُوطٍ.

قَوْلُهُ: وَالْوَصْفُ قَدْ كَمُلَا، أَشَارَ بِهِ إِلَى عِلَّةِ الْوَصْفِ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا، مَعَ مَا نَجْتَمِعُ مِنَ الْعِلَلِ، إِذْ هِيَ لَا تَسْتَقِلُّ بِالْمَنْعِ كَالْعَلَمِيَّةِ. فَتَحْصُلُ فِي الْعِلَلِ الْمَذْكُورَةِ، أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ: قِسْمَانِ يَسْتَقِلَّانِ بِالْمَنْعِ؛ وَهُمَا أَلِفُ التَّانِيثِ، وَصِيغَةُ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ، وَقِسْمَانِ لَا يَسْتَقِلَّانِ؛ وَهُمَا الْعَلَمِيَّةُ وَالْوَصْفِيَّةُ. فَالْعَلَمِيَّةُ تَمْنَعُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْوِزْنِ وَالتَّانِيثِ وَالتَّرْكِيبِ وَالزِّيَادَةِ وَالْعُجْمَةِ، وَالْوَصْفُ يَمْنَعُ مَعَ الْعَدْلِ وَوِزْنِ الْفِعْلِ وَالزِّيَادَةِ السَّابِقَةِ، فَكُلُّ مَا أَثَرُ فِيهِ التَّعْرِيفُ بِالْعَلَمِيَّةِ، يُصَرَّفُ إِذَا نُكِّرَ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ فِي الْأَلْفِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَاضْرِبْ مَنْ مَأْنُوكَرًا مِنْ كُلِّ مَا التَّعْرِيفُ فِيهِ أَثَرًا

تَقُولُ: رَبُّ أَحْمَدَ وَعُمَرُ وَفَاطِمَةُ وَمَعْدِي كَرِبَ وَعُثْمَانُ لَقِيْتَهُمْ. وَأَمَّا مَا أَثَرُ فِيهِ أَلِفُ التَّانِيثِ أَوْ صِيغَةُ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ أَوْ الْوَصْفِ فَلَا يُصَرَّفُ أَصْلًا. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأِسْمَ الَّذِي لَا يَنْصَرَفُ، إِنَّمَا يُمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مَا لَمْ يُضَفْ، أَوْ يَكُنْ بَعْدَ أَلٍ، وَإِلَّا صُرِفَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْشُرْ عَلَيْكُمُوفِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: الآية 187]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]، وَقَدْ يُصَرَّفُ الْمَمْنُوعُ مِنَ الصَّرْفِ لِلضَّرُورَةِ أَوْ لِلتَّنَاسُبِ كَقَوْلِي الشَّاعِرِ:

وَيَوْمَ دَخَلْتَ الْجَنْدَرَ خَلَدَ عُثَيْرَةٌ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مَرَجُلٌ

وَالثَّانِي: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلِيلًا وَأَقْلَلًا﴾ [الإنسان: الآية 4] فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ وَالْكَسَائِيِّ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغُورُ وَيَغُورُ﴾ [نوح: الآية 23] فِي قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ، فَصُرِفَ سَلَاسِلًا لِيُنَاسِبَ أَغْلَالًا، وَصُرِفَ يَغُورًا وَيَعُورًا مَعَ كَوْنِهِ عَجْمِيًّا، لِيُنَاسِبَ نِسْرًا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الْإِشَارَةُ:

قَدْ يَكُونُ الْفَتْحُ عَلَى الْعَبْدِ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ سَبَبًا لَطَرْدِهِ، وَحَلَامَةً لِحَفْظِهِ عَنْ مَقَامِ الْأَكْبَابِ، وَذَلِكَ فِي الْعَبْدِ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ عَنْ هَوَاهُ وَلَا يَنْفَكُ عَنْ طَبِيعِهِ وَمَتَابَعَةِ مُنَاهُ. وَذَلِكَ لَوْجُودِ عِلَّتَيْنِ، وَهُمَا حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ، وَعِلَّةٌ تَقُومُ مَقَامَهُمَا وَهِيَ حُبُّ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْخَطَايَا. وَاعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْحَقَائِقِ لَا يُطَبِّقُهُ إِلَّا الْأَقْوِيَاءُ وَالرِّجَالُ الَّذِينَ قَتَلُوا نَفْسَهُمْ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُخَالَفَةِ، وَتَفَرَّغُوا مِنْ جَمِيعِ الشَّوَاغِلِ وَالْعَلَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ. وَصَحَّبُوا الْمَشَايِخَ وَخَدَمُوهُمْ وَرَسَخَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ فِي ظَوَاهِرِهِمْ، فَحِينَئِذٍ إِذَا دَخَلُوا بَلَدَ الْحَقَائِقِ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُهَا وَأَسْرَارُهَا وَذَاقُوا خِلَاوَةَ مَعَانِيهَا، وَرَسَخَتْ فِي قُلُوبِهِمْ أَسْرَارُ الْمَعَارِفِ. وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَنْ يَتَزَنَّدَقُوا، وَيَرْفُضُوا الشَّرِيعَةَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَيَنْسِلُ الْإِيمَانُ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَنْسِلَالُ الشَّعْرَةِ

من العجيين، وإما أن يتفقهروا ويرجعوا إلى مقام العمومية. وليست القلوب كلها تطبق أنوار الحقيقة، بل بعضها فقط، وربما تكون بعض القلوب تفر من الذكر، وتعتش إلى اللهو والفتن، فهي كالجعل وهو الذي تقول فيه العامة أبو فساس، فإن من شأنه أنه إن قرب منه رائحة طيبة مات من ساعته ولا يعيش إلا بالثمن والخبث، فكذا بعض الأرواح الخبيثة تتعش باللهو وتفر من الذكر، ينسحب عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٥﴾ [الزمر: الآية 45] وبالله التوفيق.

ثم ذكر علامة الجزم فقال: وللجزم علامتان: السكون والحذف.

قلت: السكون حذف الحركة والحذف حذف حرف العلة أو نون الرفع للجازم. وقولنا للجازم احترازًا من نحو: ﴿وَيَسَّخِ اللَّهُ الْبَطِلَ﴾ [الشورى: الآية 24]، ﴿سَخَّ الْأَزْيَاءُ ١٨﴾ [العلق: الآية 18] فَإِنَّ الْوَاوَ حُذِفَتْ خَطًا تَبَعًا لِحذفها في اللفظ. فَإِنَّ يَمْحُ مضارع مجرد مرفوع وليس معطوفًا على ما قبله بدليل رفع ما بعده، من قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ الْحَيَّ﴾ [الشورى: الآية 24] وكذلك سَخَّ، لَا سَبَبَ لِحذفه إِلَّا مَا تَقَدَّمَ واحترازًا أيضًا من نحو لتبلون، فَإِنَّ التَّوْنَ حُذِفَتْ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ كَمَا تَقَدَّمَ. والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

وللجزم بمعرفة الحق والرسوخ فيها، بحيث ينقطع عن القلب التهمُّمُ والخواطر والشكوك والأوهام، علامتان:

السكون أي سكون القلب وطمأنينته، فيكون كالجبل الراسخ، لا تحل بساحته الهموم، وَلَا تطرفه عوارض الغموم، وَلَوْ انْطَبَقَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، فَلَا تُحَرِّكُهُ واردات الأحوال، وَلَا تهزُّهُ الزَّلَازِلُ والأهوال. وفي أمثاله يقول الشاعر:

لَا تَهْتَدِي نُوبَ الزَّمَانِ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَلَى الْخَطْبِ الْجَلِيلِ لِحَامٌ

فيسكن الظاهر من تعب المجاهدة ويرتاح الباطن في ظل المشاهدة، إذ لَا تجتمع المجاهدة مع المشاهدة، إنما يكون التعب في حالة السير، وأما مَنْ وَصَلَ إِلَى الْحَبِيبِ فَلَا تَعْبَ لَهُ وَلَا نَصَبَ. قال تعالى في جنات الرِّخَارِفِ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [البحر: الآية 48] وأولى جنة المعارف.

وعلامة الجزم أيضًا بشهود الحق حذف علائق القلب وشواغله، فلا يبقى إِلَّا قلب مفرد فيه توحيد مجرد قد جعل الهموم همًا واحدًا فكفاه الله هَمَّ دُنْيَاهُ وَضَمِينَ لَهُ عَاقِبَةُ آخِرَاهُ، جعلنا الله مِنْهُمْ يَمَنًا وَكَرَمًا، آمين.

ثم فَضَّلَ مَا تَقَدَّمَ فَقَالَ:

فَإِنَّمَا السُّكُونُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الصَّحِيحِ الْآخِرِ. أَيِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ جَازِمٌ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ، نَحْوُ: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُؤَلِّهِ﴾ (١) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَقَوْلِهِ أَحَدٌ ﴿٢﴾ [الإخلاص: الآيتان 3، 4]، فَلَمْ حَرْفُ جَزْمٍ وَنَفْيٍ وَقَلْبٌ، وَيَلْزَمُ مَجْزُومٌ بِالسُّكُونِ الظَّاهِرِ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَيْئاً لَهُ.

وَأَمَّا الْحَذْفُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمُعْتَلِ الْآخِرِ. أَيِ الَّذِي فِي آخِرِهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ: الْأَلِفُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ، نَحْوُ: ﴿وَلَوْ يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: الآية 18] وَلَمْ يَدْعُ، وَلَمْ يَرْمِ. فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ مَجْزُومَةٌ، وَعَلَامَةُ جَزْمِهَا حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ. وَإِيقَاءُ الشُّكْلَةِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ. وَمَا مَشَى عَلَيْهِ الْمُصَنَّفُ، مِنْ كَوْنِ الْمَحْذُوفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ، إِنَّمَا يَتِمُّشَّى عَلَى قَوْلِ ابْنِ السَّرَّاجِ (١) وَمَنْ تَبِعَهُ، أَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَا يَقْدَرُ فِيهَا الْإِعْرَابُ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْإِعْرَابَ فِي الْفِعْلِ قَرْعٌ، فَلَا حَاجَةَ لِتَقْدِيرِهِ. وَجَعَلَ الْجَازِمَ كَالدَّوَاءِ الْمُسَهِّلِ، إِنْ وَجَدَ فَضْلَةً أَخَذَهَا. وَإِلَّا أَخَذَ مِنْ قَوَى الْبَدَنِ. وَذَهَبَ سَبَبُوتُهُ إِلَى تَقْدِيرِ الْإِعْرَابِ فِيهَا. فَعَلَى قَوْلِ سَبَبُوتِهِ: لَمَّا دَخَلَ الْجَازِمُ، أَخَذَ الْحَرَكَةَ الْمَقْدُورَةَ، وَاكْتَفَى بِهَا، ثُمَّ لَمَّا صَارَتْ صُورَةُ الْمَجْزُومِ وَالْمَرْفُوعِ وَاحِدًا فَرَّقُوا بَيْنَهُمَا بِحَذْفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ. فَحَرْفُ الْعِلَّةِ مَحْذُوفٌ بَعْدَ الْجَازِمِ لَا بِهِ. وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ السَّرَّاجِ: الْجَازِمُ حَذَفَ نَفْسَ الْحَرْفِ. اهـ. وَقَدْ ثَبَتَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ الثَّلَاثَةُ مَعَ الْجَازِمِ ضَرُورَةً كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقَنِي وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلُقَنِي

وقول آخر:

أَلَمْ يَأْتِكَ وَالْأَنْبَاءُ تُنْمِي بَلَا لَأَقْتَ لِبُونِ بَنِي زِيَادٍ

وقول الشاعر في شطر بيت:

لَمْ تَهْجُوْ وَلَمْ تَدْعِي

ويكون الحذف أيضاً علامة للجزم. فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي رَفَعَهَا بِشَبَاتِ الثُّونِ وَهُوَ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْمُتَّصِلُ بِهِ الْفَاءُ الْاِثْنَيْنِ، نَحْوُ: ﴿وَلَا تَتَّبَعَانِ﴾ [يونس: الآية 89] فَلَا

(١) محمد بن السري أبو بكر ابن السراج: أحد أئمة الأدب والعربية. من أهل بغداد. مات شاباً سنة 316. كان عارفاً بالموسيقى. من كتبه: الأصول في النحو، وشرح كتاب سيبويه، والشعر والشعراء، والموجز في النحو.

ناهية جازمة، وتتبعان مجزوم بحذف النون. والباقي نون التوكيد، وكُسِرَتْ لالتقاء الساكنين. أو واو الجمع، نحو: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَقْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ﴾ [البقرة: الآية 24]. أو ضمير المؤنثة المخاطبة، نحو: ﴿فَإِنَّمَا تَرَيْنَ﴾ [مريم: الآية 26] أصله: تَرَيْنِ مضارع رءا على وزن تفعلين نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها فصار تَرَيْنِ تحرّكتِ الياء وانفتح ما قبلها، فَقُلِبَتِ الْفَاءُ، فصارت تَرَيْنِ، التقى ساكنانِ فحُذِفَتِ الألف فصار تَرَيْنِ. فلَمَّا دَخَلَ الْجَازِمُ وهو إمّا حذف النون، فصار تَرِيْ، ثم أُوتِيَ بنون التوكيد، فالتقى ساكنانِ، فحُرِّكَتِ الياء بِمُجَانَسِهَا وهو الكسرة، فصار تَرَيْنِ، فهو معرب؛ لأنَّ نون التوكيد لَمْ تَبْأَيِّرْهُ لَانْفِصَالِهِ عَنْهُ بِالْيَاءِ الْفَاصِلَةِ، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

فأما سكون الظاهر من تعب المجاهدة فيكون علامة لجزم الباطن ورُسُوخِهِ في مقام المشاهدة في الفعل المضارع، أي في العمل الصالح، المُشَابِه لأفعال المخلصين، بموافقة السُّنَّةِ ومُجَانِبَةِ الْبِدْعَةِ. الصحيح الآخر أي الصَّافِي مِنَ الْعِلَلِ التي تلحقه بعد تَمَامِهِ، كَالْتَبَجُّحِ بِهِ واعتقاد المَرِيَّةِ على النَّاسِ بِسَبَبِهِ أو طلب العِوَضِ عليه، كَيْفَ تَطْلُبُ عِوَضاً عَنْ عَمَلٍ كُنْتَ أَنْتَ فاعله.

والحاصل أنَّ سكون الظاهر بعد التعب يدلُّ على جُزْمِ الْبَاطِنِ وتحقيقه بمعرفة الله وهي الحياة الطيبة والعيش الهني. قال الشَّيْخُ السَّقَطِيُّ⁽¹⁾ «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَاشَ، وَمَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا طَاشَ، وَالْأَحْمَقُ يَغْدُو وَيروح فِي لَاشٍ». واعلم أنَّ سكون الظاهر من تعب المجاهدة قد يَكُونُ مع سُكُونِ الْبَاطِنِ بِرَاحَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وقد يَكُونُ مع بقاء تَعَبِهِ، بالأحوال والخواطر الدُّنْيَوِيَّةِ، وذلك أنَّ الْمُرِيدَ إِذَا تَقَيَّ بِالشَّيْخِ وَأَخَذَ عَنْهُ جَاءَ جُنْدُ النُّورِ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ جُنْدَ الظُّلْمَةِ من مدينة الْقَلْبِ، ويريد جُنْدَ الظُّلْمَةِ الْبَقَاءَ فِي وَطَنِهِ، فَيَسْتَعِلُّ الْحَرْبَ بَيْنَهُمَا، وهذا سَبَبُ اضْطِرَابِ الظَّاهِرِ وتوارد الأحوال عليه. وَذِكْرُ اللِّسَانِ كَالْمَذْقِعِ، يرمي عليه مِنْ خَارِجٍ، فَإِذَا دَخَلَ الدُّكْرُ لِلْقَلْبِ وَخَالَطَ مَعَهُ الْبِلَادَ سَكَتَ اللِّسَانُ وَمَا بَقِيَ إِلَّا السِّوْفُ تضرب ثم يَرتَحِلُ جُنْدُ الظُّلْمَةِ مِنَ الْقَلْبِ وَيَرْتَاحُ الْقَلْبُ مِنْ تَعَبِ التَّدْبِيرِ وَالْإِخْتِيَارِ وَأَهْوَالِ الدُّنْيَا وَيَسْكُنُ الظَّاهِرُ أَيْضًا مِنْ تَعَبِ الْمَجَاهِدَةِ.

وقد يَنْزِلُ جُنْدُ النُّورِ على جُنْدِ الظُّلْمَةِ، فَلَا يَقْدِرُ على إخراجِهِ مِنَ الْقَلْبِ، فَيَرتَحِلُ النُّورُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ وَيَسْكُنُ الظَّاهِرَ على جُنْدِ الظُّلْمَةِ، وَيَبْقَى الْبَاطِنُ مَتَعَوِّثًا كَمَا كَانَ، فِهَذَا حَالٌ مَنْ رَجَعَ مِنَ الْفُقَرَاءِ قَبْلَ التَّمَكُّينِ وَاسْتَعْمَلَ بِالْأَسْبَابِ قَبْلَ

(1) سري بن المغلس السَّقَطِيُّ، أبو الحسن: من كبار مشايخ التصوف. بغدادي المولد حيث ازداد سنة 155 و بها توفي سنة 253. كان إمام البغداديين و شيخهم في وقته. وهو خال الجنييد وأستاذه.

الوصول، والعياذ بالله من السُّلْبِ بعد العَطَاءِ. وبالله التوفيق.

وأما حَذْفُ الشَوَاطِلِ وَالْعَلَاتِقِ الظَّاهِرَةِ، كَانَتْ ظَلَمَانِيَّةً أَوْ نُورَانِيَّةً، فَيَكُونُ غَرْمَةً لِحُزْمِ الْبَاطِنِ وَتَحَقُّقِهِ بِمَقَامِ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ وَتَحْلُصِهِ لِمَقَامِ الْإِعْيَانِ فِي الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، أَيْ الْعَمَلِ الْمَشَابِهِ لِأَفْعَالِ الصَّالِحِينَ، الْمَعْتَلِّ الْأَخِيرِ بِمَا تَقَدَّمَ. فَإِنْ حَذَفَ عِلْلَهُ وَصَفَّاهُ وَطَهَّرَهُ مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى جُزْمِهِ وَتَحَقُّقِهِ بِالْعُرْفَانِ، عَلَى نَعْتِ الشُّهُودِ وَالْإِعْيَانِ. وَإِنْ لَمْ يَحْدَفْ عِلْلَهُ وَلَمْ يَطَهَّرْهُ مِمَّا يَشُوْبُهُ كَانَ عَلَامَةً عَلَى ثُبُوتِ جُزْمَانِيَّةٍ وَكَذِبِهِ فِي دَعْوَاهُ، يَعْنِي أَنَّ الْعَيْدَ إِذَا تَجَرَّدَ وَانْقَطَعَ لِلَّهِ، وَتَرَكَ شَوَاطِلَ الظَّاهِرِ، كَانَتْ تِلْكَ الشَوَاطِلُ ظَلَمَانِيَّةً كَكُونِهَا دُنْيَوِيَّةً، أَوْ نُورَانِيَّةً كَكُونِهَا دِينِيَّةً، لَكِنَّهَا تَشْتَتِ الْقُلُوبَ وَتَفَرِّقُ الْهَيْمَ، كَتَدْرِيسِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ، وَتَتَّبِعُ الْفَضَائِلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفَرِّقُ قُلُوبَ الْمُرِيدِ وَيُسْتَتِيهِ، فَلَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا ذِكْرُ وَاحِدٍ، حَتَّى يَذُوقَ سِرَّهُ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى جُزْمِ صَاحِبِهِ، وَطَمَآنِيَّتِهِ حَتَّى يَصْلَحَ عَمَلُهُ وَيَخْلُصَهُ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَلْحَقُهُ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا، وَيَكُونُ عَلَامَةً عَلَى جُزْمِهِ وَتَحَقُّقِهِ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي رَفَعَهَا بِثُبُوتِ الثُّبُوتِ، أَيْ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَرَفُّعُ صَاحِبُهَا بِثُبُوتِ نُورَانِيَّتِهَا وَوُجْدَانِ خَلَاوَتِهَا، فَوُجْدَانِ الْحَلَاوَةِ عَاجِلًا دَلِيلٌ عَلَى وَجْدَانِ الْقَبُولِ آجِلًا، فَإِذَا تَحَقَّقَ الْمُرِيدُ بِحَلَاوَةِ نُورِ التَّوَجُّهِ، ثُمَّ تَرَفَّى إِلَى خَلَاوَةِ نُورِ الْمُجَاهَدَةِ، فَقَدْ صَحَّتْ مَعْرِفَتُهُ وَكَمُلَ يَقِينُهُ وَتَحَقَّقَ جُزْمُهُ وَعَقْدُهُ فِي أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وبالله التوفيق.

فصل

وهو لغة: الحاجز بين الشبثين، وفي الاصطلاح: اسم لطائفة من المسائل اشتركت في حكم، وهو هنا بمعنى الفلزكة لما تقدم، اعتناء لباب الإعراب؛ لأنه معظم النحو وأصل قواعده، فمن أتقنه أتقن ما بعده، ومن لم يتقنه لم يدرك ما بعده. وكان بعض من يقرأ هذه المقدمة من النحويين يصل إلى هذا الفصل ثم يرجع إلى إعادة ما تقدم، حتى يتحققه من يأخذها عنه اعتناء بأمر الإعراب.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: المعربات قسمان: قسم يُعَرَّبُ بالحركات، وقسم يُعَرَّبُ بالحروف.

قلت: المعربات مبتدأ، وقسمان خبر. فإن قلت: الخبر لا بُدَّ أن يطابق المبتدأ في التثنية والجمع وهنا غير مطابق، قلت: لما كان قوله قِسْمَانِ في معنى أقسام ساء ذلك لأن كل قسم من القسمين فيه أقسام. فكأنه قال: المعربات أقسام، فهو كقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ حَصَمَانِ لَخَبْرَانِ﴾ [الحج: الآية 19] لأن المراد بالخصم جماعة

المسلمين والكُفَّار، قيل: نَزَلَتْ فِي الْمُبَارَزِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَانَ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُبَارَزِينَ ثَلَاثَةٌ. وَقَوْلُهُ قَسَمٌ، إِمَّا بَدَلَ مُقْصَلٍ مِنْ قَسَمِينَ، وَجُمْلَةٌ يُعْرَبُ صِفَةً لَهُ، أَوْ مَبْتَدَأٌ وَيُعْرَبُ خَبَرُهُ. وَالْمُسَوِّغُ لِلإِبْتِدَاءِ بِالنَّكْرَةِ التَّقْسِيمُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَيَوْمَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ لَنَا وَيَوْمَ نُسَاءُ وَيَوْمَ نَسُرُ

وحاصل ما ذُكِرَ أَنَّ الْمَعْرِبَاتِ الَّتِي تَقْدَمُتُ مَنْحَصَرَةٌ فِي قَسَمِينَ: قَسَمٌ يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْمَقْدَّرَةِ، وَقَسَمٌ يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ الثَّابِتَةِ عَنْهَا، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَقَالَ:

فَالَّذِي يُعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: الْأَسْمُ الْمَفْرَدُ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعُ الْمَوْنِ السَّالِمِ، وَالْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الَّذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ.

قُلْتُ: وَتَقْدَمُ أَمْثَلُهُ ذَلِكَ كُلُّهُ. ثُمَّ ذَكَرَ ضَابِطَهَا فَقَالَ: وَكُلُّهَا تُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ أَيْ إِمَّا ظَاهِرَةً أَوْ مَقْدَّرَةً. وَتُنْصَبُ بِالْفَتْحَةِ ظَاهِرَةً أَوْ مَقْدَّرَةً وَتُخَفِّضُ بِالكُسْرَةِ أَيْ كَذَلِكَ. وَتُجْزَمُ بِالسَّكُونِ أَيْ إِنْ كَانَ الْفِعْلُ صَحِيحًا. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وَأَنْصِبْ بِفَتْحٍ وَجُزْ كَسْرًا كَذِكْرِ اللَّهِ عَبْدَهُ يَسُرُ

وَاجْزَمْ بِسُكُونٍ، ثُمَّ اسْتَنْتَى مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أُمُورًا فَقَالَ:

وَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ: جَمْعُ الْمَوْنِ السَّالِمِ يُنْصَبُ بِالكُسْرَةِ.

نَحْوُ: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ [الْبَاقِيَةِ: الْآيَةُ 3] فَإِنَّ حَرْفَ تَوْكِيدٍ وَنُصْبٍ. وَفِي السَّمَوَاتِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ خَبَرُهَا مُقَدَّمٌ، وَلَايَاتٍ اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ مَنْصُوبٌ بِالكُسْرَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ الْفَتْحَةِ.

وَالْأَسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ، يُخَفِّضُ بِالْفَتْحَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَلَّهِ يَكْفَى﴾ [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ 96] أَيْ مَكَّةً، وَالْمَانِعُ لَهُ الْعَلَمِيَّةُ وَالتَّائِيثُ.

وَالْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْمَعْتَلُ الْآخِرُ، جُزِمَ بِحَذْفِ آخِرِهِ نَحْوُ: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهْ مِنْ مُبِيلٍ﴾ [الزُّمَرُ: الْآيَةُ 37]، ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا بِرَحْمَةِ لَكُمْ﴾ [الزُّمَرُ: الْآيَةُ 7]، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يُونُسَ: الْآيَةُ 106].

وَالَّذِي يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: الثَّنِيَّةُ، وَجَمْعُ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ وَالْأَسْمَاءُ الْخَمْسَةُ، وَالْأَفْعَالُ الْخَمْسَةُ.

ثُمَّ بَيَّنَّهَا بِقَوْلِهِ: وَهِيَ يَقَعْلَانِ بَيَاءُ الْغِيَةِ.

وَيَقَعْلَانِ بَيَاءُ الْخَطَابِ.

وَيَفْعَلُونَ بِالْغَيْبَةِ.

وَتَفْعَلُونَ بِالْخَطَابِ.

وَتَفْعَلِينَ بِنَا- المؤنثة المخاطبة، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الْأَلِفِ وَالْوَاوِ ضَمِيرًا أَوْ عِلَالَةً، فَتَصِلُ إِلَى عَشْرَةٍ.

سِتَّةٌ فِي الثَّنِيَّةِ وَهِيَ الزَّيْدَانِ يَقُومَانِ، يَقُومَانِ الزَّيْدَانِ، أَنْثَمَا يَا زَيْدَانِ تَقُومَانِ، الْهِنْدَانِ تَقُومَانِ، تَقُومَانِ الْهِنْدَانِ، أَنْثَمَا يَا هِنْدَانِ تَقُومَانِ، وَثَلَاثَةٌ فِي الْجَمْعِ وَهِيَ: الزَّيْدُونَ يَقُومُونَ، يَقُومُونَ الزَّيْدُونَ، أَنْتُمْ تَقُومُونَ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْمُوَثَّةِ الْمُخَاطَبَةِ: أَنْتِ يَا هِنْدَ تَقُومِينَ.

وَيُقَالُ لَهَا: الْأَمْثَلَةُ الْخَمْسَةُ، وَهِيَ أَحْسَنُ لِيَدْخُلَ فِيهَا غَيْرُهَا مِنَ الصَّيْغِ، نَحْوُ يَنْفَعِلَانِ، وَيَسْتَفْعِلَانِ، وَيَتَفَاعَلُونَ، وَشَبَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَلَةِ الْأَفْعَالِ، بِخِلَافِ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، فَإِنَّهَا مُحْصُورَةٌ بِالْعَدِّ، ثُمَّ قُصِّلَ مَا أَجْمَلَ فَقَالَ:

فَأَمَّا الثَّنِيَّةُ فَتُرْفَعُ بِالْأَلِفِ.

نَحْوُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَكْرَجِينَ﴾ [طه: الآية 63] فِي قِرَاءَةِ مَنْ رَفَعَ، فَقِيلَ: إِنْ هُنَا مُهْمَلَةٌ، بِمَعْنَى نَعَمْ، وَهَذَانِ مُبْتَدَأٌ، وَلَسَاحِرَانِ خَبَرٌ، أَيُّ لِهَمَا سَاحِرَانِ، وَقِيلَ اسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ أَيُّ أَنَّهُ هَذَانِ لِهَمَا سَاحِرَانِ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَيُنْصَبُ وَتُخَفَّضُ بِالْيَاءِ.

قَالَ النَّصَبُ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَصْنَعِي الْيَجِينَ﴾ [يوسف: الآية 39] قِيَا حَرْفِ يَذَا، وَصَاحِبِي مُنَادَى مُضَافٌ مُنْصُوبٌ بِالْيَاءِ، وَحُذِفَتِ التَّوْنُ لِلِإِضَاقَةِ وَالْجَرِّ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَرِيدُ أَنْ أَنْكَلَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصاص: الآية 27]، فِإِحْدَى مَفْعُولٌ، وَابْتَدَتْ مُضَافٌ مُجْرُورٌ بِالْيَاءِ، وَحُذِفَتِ التَّوْنُ لِلِإِضَاقَةِ، وَهَاتَيْنِ بَدَلُ تَابِعٍ لَهُ.

وَأَمَّا جَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، فَيُرْفَعُ بِالْوَاوِ.

يَبَيَاةٌ عَنِ الضَّمَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: الآية 139]، أَصْلُهُ الْأَعْلَوْنَ، تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا، فَقُلِبَتْ أَلِفًا، فَصَارَتِ الْأَعْلَاوْنَ فَحُذِفَتِ الْأَلِفُ لِاتِّفَاقِ السَّاكِنِينَ، فَصَارَتِ الْأَعْلَوْنَ، فَالْوَاوُ الْبَاقِيَةُ هِيَ عِلَالَةُ الرَّفْعِ.

وَيُنْصَبُ وَيُخَفَّضُ بِالْيَاءِ.

قَالَ النَّصَبُ نَحْوُ: ﴿إِنَّ الثَّقَيْنِ فِي جَنَّتٍ وَتَهَرَّ﴾ [القمر: الآية 54]، وَالْجَرُّ نَحْوُ ﴿لَيْنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْبَارِ﴾ [ص: الآية 47] وَأَصْلُهُ الْمُصْطَفَيْنِ اسْتَشْقَلَتِ الْكُسْرُ عَلَى الْيَاءِ

فحذفت فَبَيَّتَ الياء ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين، أو تقول: تحرَّكَتِ الياء، وانفتحَ مَا قَبْلَهَا، فُحِّلَتْ ألفاً فصار مُضْعَفَيْنِ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار مصطفىين وأما الأسماء الخمسة، فترفع بالواو.

نحو: ﴿وَأَيُّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [الفصص: الآية 23] وتقول: هذا أخوك وأبوك وخموك وفوك ودو مال. وتُنصَب بالالف.

﴿إِنَّ أَنَا لِمِنَ صَكْلٍ ثَمِينٍ﴾ [يوسف: الآية 8]، وقال تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ [القلم: الآية 14]. وتُخَفَّض بالياء.

نحو: ﴿أَتَتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَيْكُمُ﴾ [يوسف: الآية 59]، وتقول: مرَّرتُ بأخيك، وخميك، ونظرتُ إلى فيك، وذو مال. قال الأصمعي⁽¹⁾ رحمه الله: بينما أنا في بعض الطرق إذ أنا بصبيبة تحمل قربة وقد غلبتها وفيها ماء، فقالت: يا أبت أدرك قاهاً، غلبني فوها لا طاقة لي بفيها. وقيل: كان ذكراً. قال الأصمعي: «والله لقد جمَعَ العربية في ثلاث كلمات»، وروِيَ أنه بقي ستة عشر سنة يطوف في قبائل العرب يجمع اللُغة العربية من كلام العرب التي بقيت على لُغتها الأصلية التي لم تختلط، حتى قال له بعض العرب: أنت مثل الحَفْظَة تكتب لفظ اللفظة. فقال له الأصمعي: هذا ممَّا أكتب.

وأما الأفعال الخمسة، فترفع بالثون.

نحو: ﴿أَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية 28]، فيقسمان بالله، أنت يا هند تقوين. وتُنصَب وتُجَزَم بحذف الثون.

نحو: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة: الآية 24] فجملة لن تفعلوا اعتراضية بين الشرط والجواب. وحاصلُ علامة الإعراب أربع عشرة: أربعة أصول وهي الحركات الثلاث والسكون، والباقي فروع: ثلاثة تنوب عن

(1) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. مولده بالبصرة سنة 122 ووفاته بها في 216. كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها. من تصانيفه: الإبل، والأضداد، وخلق الإنسان، والمرادف، والخيال، والوحوش وصفاتها.

الضَّمَّةُ وَهِيَ الْأَلِفُ وَالْوَاوُ وَالثُّونُ، وَأَرْبَعَةٌ تَنْوِبُ عَنِ الْفَتْحَةِ وَهِيَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ وَالْكَسْرَةُ وَحَذَفَ الثُّونُ، وَاثْنَانِ تَنْوِبَانِ عَنِ الْكَسْرَةِ وَهِيَ الْيَاءُ وَالْفَتْحَةُ، وَوَاحِدٌ يَنْوِبُ عَنِ السُّكُونِ وَهُوَ الْحَذَفُ لِلثُّونِ أَوْ لِحَرْفِ الْعِلَّةِ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ.

■ الْإِنْسَارَةُ:

الْأَسْرَارُ الْمَعْرِياتُ أَيِ الْمُظْهِرَاتُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ أَوْ مِنْ بَخْرِ الْجَبَرُوتِ إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْمُلْكِ وَهِيَ أَسْرَارُ الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَعْرَبُ أَيِ يَظْهَرُ بِالْحُرُوفِ أَيِ بِالرُّسُومِ، وَقِسْمٌ يُعْرَبُ أَيِ يَظْهَرُ بِالشَّكَالِ. وَيُقَالُ لِلْجَمِيعِ: التَّجْلِيَّاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ الذَّاتَ الْعَلِيَّةَ فِي حَالَةِ الْكَثَرِيَّةِ كَانَتْ ذَاتًا لَطِيفَةً قَدِيمَةً أَزَلِيَّةً، مَتَّصِفَةً بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ، ثُمَّ تَجَلَّتْ وَظَهَرَتْ بِالرُّسُومِ وَالْأَشْكَالِ، فَالرُّسُومُ هِيَ التَّجْلِيَّاتُ الْعَظِيمَةُ، كَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَالْجِبَالِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرَامِ الْكَبِيرَةِ، وَالْأَشْكَالُ هِيَ التَّجْلِيَّاتُ الرَّقِيقَةُ، كِبَعْضِ الْمَلَائِكَةِ وَأَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ. شَبَّهُوا التَّجْلِيَّاتِ الْعِظَامَ بِالْحُرُوفِ وَالرُّسُومِ، وَالتَّجْلِيَّاتِ الرَّقِيقَةَ بِالشَّكَالِ. وَأَسْرَارُ الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ بِالْمَعْنَانِي. وَشَأْنُ الْمَعْنَانِي أَنْ تُفْهَمَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَشْكَالِ، فَمَا ظَهَرَتْ الْكَائِنَاتُ الْحَسِّيَّةُ إِلَّا لَتَقْبُضَ مِنْهَا الْمَعْنَانِي الْأَزَلِيَّةُ، «فَمَا نُصِيبَتْ الْكَائِنَاتُ لثَرَاهَا بَلْ لَتَرَى فِيهَا مَوَلَاهَا، فَمَنْ رَأَى الْكَوْنَ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَقَّ فِيهِ أَوْ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ أَوْ بَعْدَهُ فَقَدْ أَعْوَزَهُ وَجُودُ الْأَنْوَارِ، وَحُجِبَتْ عَنْهُ شَمُوسُ الْمَعَارِفِ بِسُحُبِ الْآثَارِ» كَمَا فِي الْحِكْمِ، فَمَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ هُوَ عَيْنُ مَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِبْنَانِيَّتِهِ، مَمْحُوءَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ. وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ الْفَارُضِ⁽¹⁾ فِي خَمْرِيَّتِهِ إِلَى وَصْفِ الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، فِي حَالِ الْكَثَرِيَّةِ فَقَالَ:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَطْفٌ وَلَا هَوَاً وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمٌ وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

أَيِ صَفَاءٍ كَصَفَاءِ الْمَاءِ وَلَا مَاءٍ، وَلَطْفٍ كَلَطْفِ الْهَوَاءِ وَلَا هَوَاءٍ، وَنُورٍ كَنُورِ النَّارِ وَلَا نَارٍ، وَرُوحٍ أَيِ حَيَاةٍ كَحَيَاةِ الْأَجْسَامِ وَلَا جِسْمٍ. وَيُسَمَّى هَذَا الْحَالُ الْأَزَلِيُّ بِالْعَمَاءِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ

(1) عمر بن علي الحموي الأصل، أبو حفص وأبو القاسم ابن الفارض: ولد بالقاهرة سنة 576 هـ وبها توفي سنة 632. من أكابر المشايخ الصوفية. يُلقَّبُ بِسُلْطَانِ الْعَاشِقِينَ. ذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يَصْلِي بِالْحَرَمِ وَيَكْثُرُ الْعِزْلَةُ فِي وَادٍ بَعِيدٍ عَنْ مَكَّةَ وَفِي تِلْكَ الْحَالِ نَظَّمَ أَكْثَرَ شَعْرِهِ. رَجَعَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ 15 سَنَةٍ. وَقَصَدَهُ النَّاسُ بِالزِّيَارَةِ حَتَّى أَنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ كَانَ يَنْزِلُ لَزِيَارَتِهِ. لَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٍ مَشْهُورٌ شَرَحَهُ الْكَثِيرُ، مِنْهُمْ حَسَنُ الْبَرْبَنِيِّ وَعَبْدُ الْغَنِيِّ النَّاهِلِيُّ، شَرَحَ خَمْرِيَّتَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ عَجِيْبَةٍ.

ليس فوقه هواء ولا تحته هواء أي كَانَ في خفاء ولطافة، ليس فوقه هواء ولا تحته هواء، بل عظمت عَمَّت فوق الفوق، وتحت التحت، وقبل القبل، وبعد البعد، ثم أشار إليها بعد التجلي بالرسوم والأشكال فقال:

وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحُكْمِهِ بِهَا اخْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمٌ

وقد أوضحنا المسألة وبيّناها في شرحنا عليها، فلينظره من أراد، وقد تقدّم إشارات الرفع والنصب والخفض والجزم وما يتوب عنها، ففيه كفاية، وعلمنا كله إشارة، وبالله التوفيق.

ولما أنهى الكلام على المقدمات، وهي الكلام وأجزأؤه وما يُعرف به تلك الأجزاء، وحدّ الإعراب وأقسامه وموارده ومعرفة علاماته، بسطاً وإيجازاً، شرع في المقاصد فقال:

بَابُ الْأَفْعَالِ

وَأَيْنَمَا قَدَّمَ الْأَفْعَالِ وَكَانَ حَقُّهَا التَّأْخِيرَ لِأَنَّ الْأَسْمَ قَبْلَ الْفِعْلِ لِسُوءٍ بِالْإِخْبَارِ بِهِ وَهِنَّ لِأَنَّ الْأَفْعَالِ لَمَّا كَانَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا قَلِيلًا قَدَّمَهَا، لِيَتَفَرَّغَ لِلْأَسْمَاءِ، لِتَنْتَوِعَ إِلَى الْمَرْفُوعَاتِ وَالْمَنْصُوبَاتِ وَالْمَخْفُوضَاتِ وَتَكُونَ تَابِعَةً وَمَتَبُوعَةً وَنَكْرَةً وَمَعْرِفَةً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ أَنْوَاعِهَا. وَمِنْ شَأْنِ الْمُؤَلِّفِينَ تَقْدِيمَ مَا هُوَ أَقْصَرُ وَتَأْخِيرَ مَا يَسْتَدْعِي طَوِيلًا. قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأفعال ثلاثة: ماضٍ ومضارعٌ وأمرٌ.

قلت: ماضٍ بَدَلٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ، مَرْفُوعٍ بِضَمَّةٍ مَقْدَرَةٍ فِي الْيَاءِ، وَأَصْلُهُ مَاضِيٌّ، اسْتَقْلَلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، فَحُذِفَتِ الْيَاءُ، وَوَجَّهَ الْإِنْحِصَارُ فِي الثَّلَاثَةِ، أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي هُوَ أَحَدُ مَذْلُولِي الْفِعْلِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَضًى وَقْتَهُ، أَوْ حَاضِرًا، أَوْ مُسْتَقْبَلًا، بِفَتْحِ الْيَاءِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَالْقِيَاسُ نَكْسَرُهَا، اسْمُ فَاعِلٍ، لِأَنَّ الزَّمَانَ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْإِسْتِقْبَالِ، أَوْ الْمَاضِي أَوْ الْحَالِ. وَمِمَّا يَزِيدُ الْإِنْحِصَارَ فِي الثَّلَاثَةِ قَوْلُ زَهِيرٍ⁽¹⁾:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَيْدِ عَمِي
وَقَالَ آخَرُ:

هَلِ الدُّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ وَالْأَمْسِ أَوْ غَدٌ كُلُّ الدُّهْرِ فِيمَا بَيْنَنَا يَتَرَدَّدُ

وَقَدَّمَ الْمَاضِي لِأَنَّهُ سَابِقٌ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْمَضَارِعِ الَّذِي هُوَ أَجْزَاءُ مِنْ طَرَفِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، يَغْتَبِ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ غَيْرِ قَرَضٍ مُهْلَةٍ وَتَرَاخٍ وَيُسَمَّى الْحَالُ، وَلِلذَلِكَ قِيلَ: هُوَ أَقْلُ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ، وَآخِرُ الْأَمْرِ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي هُوَ بَعْدَ الْحَالِ، فَحَقِيقَةُ الْمَاضِي: مَا دَلَّ عَلَى حَدَثٍ فِي زَمَنِ مَاضٍ. وَحَقِيقَةُ الْمَضَارِعِ: مَا دَلَّ عَلَى حَدَثٍ مُقْتَرَنٍ بِالْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ. وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: مَا دَلَّ عَلَى طَلَبِ حَدَثٍ فِي زَمَنِ مُسْتَقْبَلٍ.

(1) زهير بن جناد بن هبل الكلبي: خطيب قضاة وسيد شاعرها وبطلها في الجاهلية. توفي نحو 60 قبل الهجرة. كان يدعى الكاهن لصحة رأيه، وعاش طويلاً.

فتحصل أن الماضي ما دلَّ على زَمَنٍ ماضٍ والمضارع ما دلَّ على زَمَنٍ حاضِرٍ أو مستقبلٍ والأمر مستقبلٌ أبدًا. وقد يخرج كل واحدٍ مِنْهُنَّ عن أصله.

قال في التسهيل: وينصرف الماضي إلى الحالِ بالإنشاء، أي كعبث ونحوه. وإلى الاستقبال بالطلب، نحو: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ. وبِالْوَعْدِ، نحو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝﴾ [الكوثر: الآية 1]، وبِالْعَطْفِ على ما عَلِمَ استقباله نحو: ﴿يَقْدُمُ قَوْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: الآية 98]، وبِالْتَفِي بِلَا، نحو: لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ. وإن في جوابِ الْقَسَمِ، نحو: ﴿وَلَيْنَ زَالَا إِنِ انْسَكَّهُمَا مِنْ لَمَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [فاطر: الآية 41]، ويحتمل الماضي والاستقبال، بعد همزة التهوية وحرف التحضيض وكلما، نحو: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولًا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: الآية 44] فهذا مثال الماضي، ومثال المستقبل: ﴿كُلَّمَا نَبِذَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: الآية 56]. ويغد حيث، فالماضي نحو: ﴿فَأَوْرَثَك مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 222] والمستقبل نحو: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: الآية 149]، ويكوْنِهِ صِلَةً، فالماضي نحو: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: الآية 173] والاستقبال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [غافر: الآية 7]، أو صفة لنكرة عامة، وقال أيضًا: والأمر مستقبلٌ أبدًا، والمضارع صالحٌ له وَلِلْحَالِ. ولو نفى بلا خَلَفًا لَمَنْ خَصَّصَهَا بِالْمُسْتَقْبَلِ، وترجع الحال مع التجريد ويتعيَّن عند الأكثر، بمصاحبة الآن، وما في مفعائه، أي كالساعة والحين، وبلام الابتداء، مثاله: إِنَّ زَيْدًا لَيَقُومُ. وينفيه بليس نحو: إِنَّ زَيْدًا لَيْسَ يَقُومُ، أي الآن، وبِمَا وَإِنَّ. ويتخلص للاستقبال بظرف مستقبل، نحو: أزورك إذا تزورني، وبإسناده إلى متوقع، أي كقول الشاعر:

يُهَوِّلُكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ مَلَقَى لِمَا فِيهِ الشَّجَاءُ مِنَ الْعَذَابِ

وبِاقْتِضَائِهِ طَلَبًا، أي نحو: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [البقرة: الآية 233] أو وَغَدًا نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: الآية 129] أو بِمَصَاحِبَةِ نَاصِبٍ، أي ظاهراً، مقدراً أو أداة ترجُّح، نحو: ﴿أَلَمْ يَأْتِ الْآسَبَبُ﴾ [غافر: الآية 36] أو إِشْفَاقًا، نحو: لعلَّ زَيْدٌ يَهْلِك. أو مجازاة، نحو: إِنْ يَقُمْ زَيْدٌ يَقُمْ عَمْرُو. أو لَوْ الْمَضْذَرِيَّة، نحو: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُمَيَّرُ﴾ [البقرة: الآية 96] أو نون توكيد، أي مطلقاً، أو حرف تنفيس، وهو السين وسوف، نحو: ﴿سَيَقُولُ الشُّهَاءُ﴾ [البقرة: الآية 142]، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية 146] مع زيادة الأمثلة.

■ تنبيه:

ما ذهب عليه المصنِّف من أنَّ الأفعال ثلاثة هو مذهب جمهور البصريين، وجرى عليه أكثر المتأخرين، وذهب الكوفيون والأخفش إلى أن الأفعال اثنان، وأسقطوا فعل الأمر وقالوا: إنه مقتطع من المضارع، فهو عندهم مُعَرَّبٌ بلام مقدرة.

قال في المنفي: ويقولهم أقول: إِنَّ الأمر معنى فحقه أن يؤدي بالحروف لأنه أخو النهي، ولم يدلوا عليه إلا بالحرف ولأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمن المُحْصَل فيه، وكونه أمراً أو خبراً خارج عن مقصوده. ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل، كقول الشاعر في شأن زين العابدين⁽¹⁾ رضي الله عنه:

لِتَقُمْ أَنْتَ يَا إِبْنُ خَيْرِ قُرَيْشٍ كَيْ لَتَقْضِي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ

ثم أطال في ذلك فانظر فيه، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

الأفعال التي سبق بها القدر ثلاثة: أفعال سابقة، ولاحقة تابعة للسابقة، وأفعال حاصلة. والناس فيها أربعة أقسام:

قسم غلب عليهم خوف السابقة.

وقسم غلب عليهم خوف العاقبة.

وقسم غلب عليهم الاشتغال بعمارة الأوقات وما كلفهم به مَقْدَرُ الأوقات، غائبين عن السوابق واللواحق، وهم العباد والزُّمَاد.

وقسم غلب عليهم الاستغراق في شهود الفاعل المختار، فأنون عن أنفسهم، غائبون عن وجودهم في وجود معبودهم، لم يخطر على بالهم سوابق ولا لواحق، مستسلمين لمولاهم في حكمه وقضائه؛ وهؤلاء هم العارفون بالله.

وإن شئت قلت: الأفعال التي تصدر من العبد ثلاثة: فعل مضى، وفعل هو مُشْتَغِل به في الحال، وفعل يأتي لا يدري ما يفعل الله فيه. وفي الحديث: «إن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى، لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعجب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

فآداب الماضي نسيانه والغيبة عنه، فإن تَذَكَّرَ ما مضى من إساءته جَدَّدَ التَّوْبَةَ والاستغفار، وإن تَذَكَّرَ ما سَلَفَ من إحصائه، حمد وشكر.

وآداب الأمر: الغيبة عنه والنظر لما يبرز من عُصْرُ القدرة، تاركاً للتدبير

(1) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: أحد من كان يضرب به المثل في الحلم والورع. مولده بالمدينة سنة 38 ووفاته بها في 94. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سرّاً فكانوا نحر مئة بيت.

والاختيار، مستسلماً لما يبرز من عند الواحد القهار؛ لأن من لم يُدبّر دُبْرَ له. وما دُبْره الحق لك أحسن من تدبيرك لنفسك، فَعَسَى أن تدبر شيئاً وتختاره وهو وبّال عليك، فالله أرحم بك من نفسك وأعلم بمصالحك منك، ولله دُرُ القائل:

وَكَمْ رُمْتُ أَمْرًا خَرْتُ لِي فِي انْصِرَافِهِ فَلَا زِلْتُ لِي مِنِّي أَبْرًا وَ أَرْحَمًا
عَزَمْتُ عَلَى أَلَا أَحْسَنَ بِخَاطِرِ عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كُنْتُ أَنْتَ الْمَقْدَمًا
وَأَلَا تَرَانِي عِنْدَ مَا قَدْ نَهَيْتَنِي لَأَنَّكَ فِي قَلْبِي كَبِيرًا مَعْظَمًا

وآداب الحاصل اغتنام الوقت قبل الممات، وانتهاز الفرصة قبل الفوات، والمسابقة على فعل الخيرات، كما قال الشاعر:

السَّبَاقُ السُّبَّاقُ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذِرِ النَّفْسَ خُسْرَةَ الْمَسْبُوقِ

وبالله التوفيق.

ثم مثل للأفعال الثلاثة فقال: نَحْوُ: ضَرَبَ يَضْرِبُ اضْرِبْ.

فالأول: ماضٍ، والثاني مضارع، والثالث أمر، فإن كان الماضي فَعَلَ بالفتح، فالمضارع يُفَعِّلُ بالكسْرِ، نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ، ما لم يشتهر بالضم، كدخل وخرَجَ ونَصَرَ. فمضارعه يُفَعِّلُ بالضم، وما لم يكن حلقى العين، كسأل وسقى ونهل، فمضارعه بالفتح، تقول: يسأل ويسعى وينهل وقس عليه، وإن كان فَعِلَ بالكسْرِ، فالمضارع يُفَعِّلُ بالفتح، كَعَلِمَ يَعْلَمُ وَفَرَحَ يَفْرَحُ، وخافَ يَخَافُ. وإن كان فَعَلَ بالضم، فمضارعه كذلك، نحو: كَرُمَ يَكْرُمُ وَحَسَنَ يَحْسُنُ. والأمر تابع للمضارع في الأوجه الثلاثة، تقول اضْرِبْ واغْلَمْ وَأَكْرَمْ. وإن كان رُبَاعِيًا فمضارعه يُفَعِّلُ بضم حرف المضارعة، نحو يَكْرُمُ ويحسُنُ، مضارع أكرم وأحسن والأمر منه إفْعَلْ بضم الهمزة، والله تعالى أعلم.

ثم ذكر أحكامها في البناء والإعراب فقال: فالماضي مفتوح الآخر أبدًا.

يعني أن الماضي مبني على الفتح أبدًا، أما بناؤه فلا سؤال عليه لأنه أصل في الأفعال وأما تحريكه مع أن الأصل في المبني أن يُسَكَّنَ لشبهه بالمضارع، لوقوعه صِلَةً وصفةً وخبرًا وحالًا وشرطًا وجزاء. وأما كَوْنُ الحركة فتحة، فلطلب التخفيف، والفتح الذي يَبْنِي عليه الماضي إما أن يكون ظاهرًا كَضَرَبَ؛ وهو الذي لم يتصل به ضمير رَفَعَ كَضَرَبُوا، فَيُضَمُّ لمناسبة الواو أو ضمير تَكَلَّمُوا أو خطاب، فَيُسَكَّنُ، كَضَرَبْنَا وَضَرَبْتُمْ؛ فهو مبني على فتحة مقدرة فيما قبل الواو، المانع من ظهورها، اشتغال المحل بحركة المناسبة، أو فيما قبل التثنية والتاء المانع من ظهورها توالي أربع متحرّكات فيما هو كالكلمة الواحدة لأن الفاعل لشدة لصوقه صار كالجُزء من الكلمة،

والعرب لا تجمع بين أربع متحرّكات في الكلمة الواحدة، و أما ضَرَبْنَا زَيْدًا فالمفعول مُتَفَصِّلٌ عن الفِعْلِ بالفَاعِلِ، فصار كأنه كلمة أخرى.

والأمرُ مجزومٌ أبداً

أي مبني على السكون، وفي عبارته تجوز لأنَّ الجُزْمَ مِنَ الْقَابِ الإعراب، والسكون من الْقَابِ الْبِنَاءِ، كالفتح والكسر والضمّ. والقَابُ الإعراب: الرَّفْعُ والنُّصْبُ، والخَفْضُ والجُزْمُ، فيقال: مبني على الضمّ، أو على الفتح، أو على الكسر، أو على السكون. كما يُقال في الْمُغْرِبِ: معرب بالرفْع أو النُّصْب أو الخَفْض أو الجُزْم. وإنَّما بُنِيَ الأمرُ على السُّكُونِ، إِذَا كَانَ صَحِيحَ الْآخِرِ. وأما إن كان معتلاً الآخر، فَيُنَى على ما يجزم به مُضَارَعُهُ، من حَذَفِ الْآلِفِ أو الْوَآءِ أو حَذَفِ التَّوْنِ إن أُسْنِدَ إِلَى ضَمِيرٍ تَثْنِيَةٍ أو جَمْعٍ أو مُؤَنَّثَةٍ مُخَاطَبَةٍ. وقد نَظَّمَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

وَالْأَمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا يُجْزَمُ بِوَضْعِهِ يَأْمَنُ يَفْهَمُ
كَضَمِّ وَصَلٍ وَخَشٍ وَادْعٍ وَارْعَبُوا وَكَارْعِبَا وَكَارْعَيْيَا زَيْبُ

هَذَا وَكَوْنُ الْأَمْرِ مَبْنِيًّا هُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: هُوَ مَعْرَبٌ مُجْزُومٌ بِلَامِ الْأَمْرِ لِأَنَّهُ مُقْتَطَعٌ مِنْهُ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُمْ.

■ تنبيه:

الأصل في الأسماء الإعراب، لأنها قد تتوارد عليها المعاني المختلفة بلفظ واحد، فلا يتميز المعنى إلا بالإعراب، تقول: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا، بالوقف، فلا يُدْرَى هل تعجب أو نقي أو استفهام. فإذا نصبت علمنا أنه تعجب. وإذا رفعت علمنا أنه نقي، وإذا جررت علمنا أن ما استفهامية أي أي شيء فيه حسن.

وأما الأفعال، فالأصل فيها هو البناء على مذهب البصريين، وإنما أعرب المضارع لشبهه بالاسم كما يأتي والأصل في المبني هو السكون، فإذا بُنِيَ الاسم على السكون تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سَوَالٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ لِمَ بُنِيَ؟ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يُشَبِّهُ الْحَرْفَ، وَإِذَا بُنِيَ عَلَى حَرَكَةٍ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ ثَلَاثُ أَسْئَلَةٍ: لِمَ بُنِيَ؟ وَلِمَ كَانَتْ حَرَكَةً؟ وَلِمَ كَانَتْ فَتْحَةً أَوْ ضَمَّةً مِثْلًا؟ وَإِذَا بُنِيَ الْحَرْفُ أَوْ الْفِعْلُ فَلَا سَوَالٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ جَاءَ عَلَى أَصْلِهِ. وَإِنَّمَا يُسْأَلُ إِذَا بُنِيَ عَلَى حَرَكَةٍ. فَيَقَالُ: لِمَ بُنِيَ عَلَى حَرَكَةٍ وَلِمَ كَانَتْ كَذَا؟ وَقَدْ ذَكَرَ الْمُرَادِيُّ⁽¹⁾ فِي شَرْحِ

(1) الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري، المعروف بابن أم قاسم: مفسر أديب. مولده بمصر وشهرته وإقامته بالمغرب. من كتبه: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وشرح الشاطبية في القراءات، وشرح ألفية ابن مالك. توفي بسراوقوس بمصر، سنة 749.

الآلفية أسباب البناء على الفتح والضم والكسر، تركناه تحية الإطالة.

ثم ذكر المضارع فقال: والمضارع ما كانت في أوله إحدى الزوائد الأربع يجمعها قولك أنيت.

قلت: المضارعة هي المشابهة، يقال: ضارعة أي شابهة. وسُمي المضارع به لأنه أشبه باسم الفاعل في الحركات والسكنات وعدد الحروف. وأشبه مطلق الاسم في الإتيان والتخصيص، ودخول لام الابتداء عليه. وأيضاً قد تتوارد عليه المعاني المختلفة بلفظ واحد كما تقدم في الاسم نحو: لا تأكل السمكة وتشرّب اللبن، بالنصب والرفع والجزم. ولكل إغراب معنى يخصه على ما يأتي في النواصب. وقال بعضهم: المضارعة من الضرع كأن الفعل ضرع مع الاسم ضرعاً واحداً. وعنوا بذلك مشابهته له فيما تقدم، ثم عرّفه بكونه ما افتتح بأحد هذه الحروف: الألف والتون والياء والتاء، يجمعها قولك: أنيت، أي أدركت، من أني يأتي أدرك، فيشترط في الهمزة أن تكون زائدة تدل على المتكلم وحده نحو أقام فخرج آيت لأصالة الهمزة، وأيدع اسم لعدم دلالتها على المتكلم، ويشترط في التون، أن تكون زائدة، وأن تدل على المتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره، فالأول كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مریم: الآية 40]، والثاني كقول الملائكة: ﴿وَعَنْ نُسُجٍ بِحَمْدِكَ وَتَقْدُسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية 30].

فخرج نحو: نرجس اسم نبات معروف، يقال نرجس الدواء: جعل فيه النرجس، إذ لا تدل على المتكلم، فهي في الأول اسم، وفي الثاني فعل ماضٍ، ويشترط في الياء أن تكون زائدة، وأن تدل على الغيبة، تقول: زيد يقوم والزيدان يقومان والزيدون يقومون والهندات يقمن، تكون مع الغائب والغائبين والغائبات، فخرج نحو يرنا رأسه إذا خضبه باليرنا وهي الحنّاء، فالياء أصلية ونحو يرفع اسم ويشترط في التاء أن تكون زائدة وأن تدل على الخطاب، نحو: أنت تقول وأنتما تقولان، وأنتم تقولون، وأنت تقولين، وأنش تقولن. أو على التانيث والغيبة، نحو: هند تقوم والهندان تقومان والهندات تقمن، والهنود تقمن، وتقوم الهندان، ونحو ذلك. فخرج نحو: تب أي خير، وترمس بمعنى رمس، أي ستر، فهذا كله ماضٍ، لأصالة التاء في الأول ولعدم الدلالة على الخطاب، أو غيبة المؤنث في الثاني.

■ حكاية:

رُوي عن بعض ملوك سبته من العزفيين أنه طلب من الشيخ أبي إسحق الغافقي

شارح الجُمَل أن يعلمه النحو و أن يلقي له ما يلقي لصغار الولدان، فقرأ عليه من الجمل لأبي إسحق الرُّجَاجي حتى انتهى إلى هذا الموضع؛ فقال له: يجمعها قولك: نَأَيْتَ، بتقديم التَّوْنِ على الهمزة، فقال له التلميذ: يا سيدي، ينبغي أن تقدّم الهمزة على التَّوْنِ، فَتَقُولُ: أَتَيْتَ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ اللَّفْظِ وَالْمُنَاسَبَةِ لِيَكُونَ لِكُلِّ واحد من هذه الحروف ضعف ما قبله. فإن الهمزة لمعنى واحد للمتكلم وحده والتون لمعنيين: للمعظم نفسه ومعه غيره، والياء لأربعة: ضعف ما قبلها للغائب، وَلِلْغَائِبِينَ، وَلِلْغَائِبِينَ، وَلِلْغَائِبَاتِ. والثاء لشمانية معانٍ: ضعف ما قبلها للواحد المخاطب، و للواحدة المخاطبة، وللمذكرين المخاطبين، وللمؤنثين المخاطبتين، ولجماعة الذكور المخاطبين، ولجماعة الإناث المخاطبات، وللواحدة الغائبة، نحو: هِنْدٌ تقوم. وللغائبين نحو: الهندان تقومان وما أشبه ذلك، فلما سمع الشيخ كلام تلميذه قال: مَنْ يفهم هذه المسألة ليس بِمُحْتَاجٍ إِلَى مَنْ يشغله، بل يستحق أن يشغل غيره. ولم يشغله بعد ذلك. اهـ من السُّودَانِي.

■ الإِشَارَةُ:

فالماضي، أي الزَّمن الماضي الذي اشتغل فيه صاحبه بأنواع الطاعات و المجاهدات والسَّيَاحَات فِي طَلَبِ الْحَقِّ، مفتوح آخره، بالفتح الكبير أَبَدًا، لأنَّ الْبِدَايَاتِ مَجَلَّةُ النِّهَايَاتِ، «فَمَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُ، أَشْرَقَتْ نِهَائَتُهُ» [الحكم العطائية].

والأمر الذي يُؤَصِّلُ صاحبه إلى حضرة القدس و محل الأنس مجزوم ومعزوم عليه أَبَدًا، لا يصحبه فتورٌ وَلَا قُصُورٌ وَلَا عَيٌّ وَلَا مَلَلٌ بَلْ لَمْ تَزَلْ مَطِيَّةٌ عَزَمَهُ لَا يَقَرُّ قَرَارَهَا، دَائِمًا تَسِيَارَهَا إِلَى أَنْ نَاحَتْ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ وَمَحَلِّ الْأَنْسِ، محل المشاهدة والمواجهة والمكالمة والمفاتحة والمؤانسة، فتصير الحضرة معشش قلبه، فيها يسكن وإليها يأوي.

والمضارع أي المتشَبَّه بالقوم وليست فيه ناهضة حب وإنما قُضِدَ التَّزَيُّ بِأَحْوَالِ الْقَوْمِ وَالتَّطَقُّلِ عَلَيْهِمْ، وهو ما گَانَتْ فِيهِ إِحْدَى الْعِلَلِ الْأَرْبَعِ الرَّائِدَةِ عَلَى الرُّوحِ وَالْعَارِضَةِ فِيهَا؛ وَهِيَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَالْعِزُّ، وَخَوْفُ الْخَلْقِ، وَهَمُّ الرِّزْقِ، يَجْمَعُهَا الرِّضَى عَلَى النَّفْسِ الَّذِي هُوَ أَضَلُّ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ. وينشأ عن الرِّضَى عَنِ النَّفْسِ الدَّعْوَى فَيَدْعِي الْبُوصُولَ، ويقول: أَتَيْتُ أَيَّ قَرْيَةٍ مِنَ الْحَضْرَةِ وَوَصَلْتُ إِلَيْهَا وَبَيَّنْتُ وَبَيْنَهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَبَبَ ذَلِكَ الْغَلَطُ وَالْجَهْلُ الْمُرْتَبِّ. وسبب الْغَلَطِ عَدَمُ صَحْبَةِ الرِّجَالِ. إِذْ لَا تُعْرَفُ الْمَقَامَاتُ إِلَّا بِصَحْبَةِ أَهْلِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ، وبالله التوفيق.

ثم ذكر حكمه فقال: وَهُوَ مَرْفُوع أَبَدًا حتى يدخل عليه نَاصِبٌ أو جازم. يعني أن المضارع إذا تجرَّد عَنِ النَّاصِبِ والجازم، كَانَ مَرْفُوعًا دَائِمًا. وهل رَافِعُهُ التجرُّد، وهو مذهب حذاق الكوفيين واختاره ابن مالك، أو وَقُوعُهُ موضع الاسم؟ وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين، أو بحَرْفِ المضارعة وهو قول الكسائي، أو بنفس المضارعة وهو قول ثعلب، أقوال لا يُتَّبَعُ عَلَيْهَا شَيْءٌ. ربما يُفْهَمُ مِنْ إغْيَاءِ الْمُصَنِّفِ بِقَوْلِهِ: حتى يدخل عليه ناصب أو جازم، أن رَافِعَهُ التَّجَرُّدُ كَمَا اخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ وَقَالَ: إنه سالم من النقض، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

وَالْمُتَشَبِّهُ بِالْقَوْمِ الْمُتَرَتِّبِ بِزَيِّهِمْ مَرْفُوعٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خَيْرَ مَعَهُمْ، وَمَنْ تَرَبَّى بِزَيٍّ قَوْمٌ فَهُوَ مِنْهُمْ. فَلَا يَزَالُ عَزِيزًا مَرْفُوعًا مَا دَامَ مَنْخَرَطًا فِي سِلْكِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ فَيَنْصَبُ يَطْلُبُ الدُّنْيَا أَوْ جَازِمٌ يَرُدُّهُ فَيَقْهَرُهُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنْ طَلَبِ الْمَوْلَى، فَيَتْرَكُ صَحْبَةَ الْمَشَايِخِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْوُصُولَ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ رَجُوعِهِ إِلَى مَقَامِ الْعُمُومَةِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ.

ثم ذكر النواصب التي تنصب المضارع فقال:

النواصب عشرة.

أي إذا أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ النَّوَاصِبِ فَهِيَ عَشْرَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّقْرِيبِ وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَنْصَبُ بِنَفْسِهِ، وَقِسْمٌ يَنْصَبُ بِأَنْ مَضْمُرَةٍ بَعْدَهَا.

فَالأول: أربعة وهي:

■ أَنْ:

بِالْفَتْحِ وَالسَّكُونِ، وَهِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: الآية 184] فَإِنَّ نَاصِبَهُ مَسْبُوقَةٌ بِالْمَضْمَرِ مَبْتَدَأٌ وَخَيْرٌ خَيْرٌ، أَيِ صَوْمِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْ التفسيرية فَلَا عَمَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِجُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ كَقَوْلِكَ: أَشَرْتُ لِزَيْدٍ أَنْ يَفْعَلَ، وَكَذَلِكَ الرَّائِدَةُ، نَحْوُ: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [العنكبوت: الآية 33] وَالْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِعِلْمٍ نَحْوُ: ﴿عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكَ رَجُلٌ﴾ [الشُّرَعْلَى: الآية 20]، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: الآية 89]، وَفِي الْمَسْبُوقَةِ بظنٍّ وَجَهَانٍ، قُرِئَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَبِيبًا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: الآية 71]. وَاعْلَمْ أَنَّ أَنْ النَّاصِبَةُ هِيَ أُمُّ النَّوَاصِبِ،

بدليل إعمالها ظاهرة ومقترة وبكونها تخلص الفعل للاستقبال، والباقي محمول عليها، قاله أبو حيان وغيره.

والثاني من النواصب:

■ لَنْ:

وهي حرف نصب ونفي واستقبال وهي بسيطة لا مركبة من لا وإن حُلِفت الهمزة تخفيفاً والألف لالتقاء الساكنين، خلافاً للكسائي والخليل، ولا تفيد تأكيد النفي ولا تأييده خلافاً للزمخشري مُستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ [الحج: الآية 73]، فاحتج بسبب ذلك لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِيَهُ﴾ [الأعراف: الآية 143] على أن الله لا يَرَى أبداً وهو باطل. قال في الكافية:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَيَّدًا فَارْزُدْ كَلَامَهُ وَعَبْرَهُ اغْضُدَا

ورُذَّ عليه بأنها لو كانت تفيد التأييد من ذاتها لم يُقَيَّد نفيها باليوم في قوله تعالى: ﴿لَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ شِئَا﴾ [مریم: الآية 26] ولم يصح التوقيت في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِمِينَ حَتَّىٰ رَجِعَ إِلَيْنَا أُوْتَىٰ﴾ [طه: الآية 91]. وأما التأييد في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ فاستفيد من خارج. قال بعض المحققين: هذا في إفادتها التأييد. وأما التأكيد فمسلّم ومنته مكابرة، فلا شك أن قولك: زيد لن يقوم، أوكد من قولك: زيد لا يقوم. وقد ترد للدعاء كقول الشاعر:

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لَا زِلْتُ لَكُمْ خَالِدًا خَلُودَ الْجِبَالِ

قاله ابن عصفور وخالفه الجمهور، وما قاله ابن عصفور ظاهر من بيت الشاعر.

والثالث:

■ إِذَنْ:

وهي حرف جزاء غالباً وجواب دائماً، تقول: أزورك غداً، فيقول لك: إذن أكرمك. وقد تتمخض للجواب دون جزاء، تقول: إني أحبك، فيقول: إذن أصدقك. ولتصبها ثلاثة شروط:

أحدها: أن تكون مصدرية في أول الكلام، فلو لم تصدر لم تنصب، نحو: أنا إذا أكرمك،

وثانيها: أن تكون متصلة بالفعل، فلو قلت: إذن أنا أكرمك، لأهملت. واغفر الفصل بالقسم لأن القسم يقصد به توكيد الكلام، فكأنه منه، تقول: إذن والله أكرمك. ومنه قول الشاعر:

إِذْنٌ وَاللَّهُ تَرْمِيهِمْ بِحَرْبٍ تَشْيِبُ الطِفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ
وبلا النافية، نحو: إِذْنٌ لَا أَهْبَيْتُكَ. وأجاز ابن بابشاذ الفصل بالنداء، نحو: إِذَا
يَا زَيْدُ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وأجاز ابن عصفور والأبدي الفصل بالظرف، نحو: إِذْنٌ غَدًا
أَكْرَمَكَ.

وثالثها: أن يكون الفعل مستقبلًا، فلو كان دالًّا على الحال لأهملت، نحو:
إِذْنٌ أَكْرَمَكَ الْآنَ؛ لأن الجزاء إنما يتحقق في المستقبل، وأما الأمر الحاصل فلا
يسمى جَزَاءً وإن وقعت بعد عاطف؛ فالأكثر إهمالها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ
خِلَافَكَ﴾ [الإسراء: الآية 76]، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: الآية 53]
وفرى شاذًا. وَإِذْنٌ لَا يَلْبِثُوا. فَمَنْ أَلْغَى رَعَى تَقَدَّمَ الحرف فكأنها لَمْ تَصْدُرْ، وَمَنْ
نَصَبَ رَعَى كَوْنُ مَا بَعْدَ العطف جُمْلَةً مُسْتَقْلَةً. ونظم بعضهم هذه الشروط فقال:

اعْمَلْ إِذْنٌ إِذَا أَمْسَكَ أَوَّلًا	وَسَقَتْ فِعْلًا بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا
وَاحْذَرْ إِذَا أَعْمَلْتَهَا أَنْ تَقْصِلًا	إِلَّا بِحَلْفٍ أَوْ نِدَاءٍ أَوْ بَلَا
وَأَقْصِلْ بِظَرْفٍ أَوْ بِمَجْرُورٍ عَلَى	رَأْيِ ابْنِ عَصْفُورٍ رَأْسِ الثُّبَلَا
وَأَنْ تَجِيءَ بِحَرْفٍ عَظَمٍ أَوَّلًا	فَأَخْسَنَ الْوَجْوهَ إِلَّا تَغْمَلًا

وَقَدْ تُلْغَى مَعَ تَوْقُرِ الشَّرْطِ، لكنه نادرٌ، كما أُلغيت ما الجازمة لعدم
اختصاصهما بالأفعال. وهل تُكْتَبُ بِالْأَلْفِ مُرَاعَاةً لِلْوُقُوفِ عَلَيْهَا وهو قول الجمهور،
أَوْ بِالثُّونِ مُرَاعَاةً لِأَضْلَاهَا. ثالثها: التفصيل، إن أهملت كتبت بالثون، وإذا أهملت
كُتِبَتْ بِالْأَلْفِ. وقيل: بالعكس. وقال الشيخ محمد بن يزيد: أشنهي أن أَكْوِيَ يَدَ مَنْ
يَكْتُبُ إِذَا بِالْأَلْفِ، لأنها مثل أن وَلَنَ وَلَا يَدْخُلُ التَّنْوِينُ فِي الحرف. اهـ قاله
السوداني.

والرابع:

■ كُنِيَ

الْمُضْدَرِيَّةُ؛ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا اللَّامُ إمَّا لَفْظًا كقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾
[الحديد: الآية 23]، أو تقديرًا كقوله تعالى: ﴿كُنِيَ لَا يَكُونُ دَوْلَةً﴾ [الحشر: الآية 7]
فإن لَمْ تُقَرَّرِ اللَّامُ كَانَتْ حَرْفٌ جَرٌّ بِمِثْلَةِ لَامِ التَّعْلِيلِ، وَكَانَتْ أَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَهَا. هَذَا
مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ وَجُمْهُورِ الْبَصَرِيِّينَ، وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهَا حَرْفٌ نَصْبٌ دَائِمًا مِنْ
غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا حَرْفٌ جَرٌّ دَائِمًا.

القسم الثاني، ما يُنْصَبُ بِأَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَهَا؛ وهي ستة:

أحدها:

■ لَامٌ كَنِي

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا لِلشَّلِيمِ رَبِّ الْمَلَكِوتِ﴾ [الأنعام: الآية 71] وَسُمِّيَتْ لَامٌ كَنِي لمساواتها لكَنِي في التعليل، والتَّاصِبُ في الحقيقة إنما هُوَ أن مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا. وَتَجُوزُ إظهارها كقولهِ تعالى: ﴿وَأَمْرٌ لِأَن أَكُونَ أَكْلَ السَّالِينِ﴾ [الرُّم: الآية 12]. ويجب إظهارها إن وَقَعَتْ بَعْدَهَا لَا، نحو: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: الآية 29] وَتَسَاوِيهَا لَامُ الضَّرُورَةِ فِي إِضْمَارِ أَنْ، نحو: ﴿فَالْفَقْطَةُ هَالٌ يَرْعُونَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرًّا﴾ [القَصص: الآية 8]. وَاللَّامُ الزَّائِدَةُ نحو: ﴿رُبُّدُ اللَّهِ يُسَبِّحُ لَكُمْ﴾ [النساء: الآية 26].

وثانيها:

■ لَامٌ الْجُحُودِ

أَيِ النَّفْيِ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى خَبَرٍ كَانَ، أَوْ لَمْ يَكُنِ الْمُتَنَفِّيَتَيْنِ، نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية 33]، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُفْزِرْ لَهُمْ﴾ [النساء: الآية 137]، أَيِ مَا كَانَ اللَّهُ مُرِيدًا لِيُعَذِّبَهُمْ، قَالَ الْفَعْلُ مَنْصُوبٌ بَعْدَهَا بِأَنْ مُضْمَرَةٌ. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: مَنْصُوبٌ بِنَفْسِ اللَّامِ.

وثالثها:

■ حَتَّى

وَهِيَ الْجَارَةُ وَالْفَعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ وَجُوبًا، نحو: ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُؤْمِنًا﴾ [طه: الآية 91]، هَذَا مَذْهَبُ الْبُضْريِّينَ خِلَافًا لِلْكَوفِيِّينَ الْقَائِلِينَ بِنُضْبِهَا بِنَفْسِهَا وَلِعَمَلِهَا النُّضْبَ شَرْطًا: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْفَعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقِيلُوا أَلَيْهِ تَتَّبِعُونَ حَتَّى تَفِيءَ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحُجُرَات: الآية 9]، ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُؤْمِنًا﴾ [طه: الآية 91]، فَلَوْ كَانَ حَالًا لَرَفِعَ، نَحْوُ: مَرَضٌ زِيدٌ حَتَّى لَا يَرْجُوهُ؛ لِأَنَّهُ فِي التَّقْدِيرِ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَرْجُوهُ، فَهُوَ فِي قُوَّةِ الْمَجْرُودِ وَالِاسْتِقْبَالِ يَكُونُ بِإِعْتِبَارِ زَمَنِ التَّكَلُّمِ، وَقَدْ يَكُونُ بِإِعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: الآية 214] فِي قِرَاءَةِ النُّضْبِ. فَإِنْ قَوْلُ الرَّسُولِ وَمَنْ مَعَهُ مُؤَخَّرٌ عَنِ الزَّلْزَلَةِ، وَأَمَّا بِإِعْتِبَارِ زَمَنِ الزَّلْزَلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِخْبَارٌ عَمَّا مَضَى، فَتَكُونُ مُؤَوَّلَةٌ بِالحَالِ، فَيَجِبُ رَفْعُهُ، وَعَلَيْهِ تَجْرِي قِرَاءَةُ الرُّفْعِ. وَالْمَعْنَى: وَزَلْزَلُوا حَتَّى حَالَةُ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ:

﴿مَتَى نَضُرُّ اللَّهَ﴾ [البقرة: الآية 214] فتقدّر الماضي واقعاً الآن، وتحكيه كأنه واقع، فليرفع المضارع بعد حتى ثلاثة قيود: أخذها أن يكون حالاً، أو مؤوَّلاً بالحال كما تقدّم، ثانيها أن يكون المضارع مسبباً عما قبله، كما في المثال المتقدم، فإن المرض سبب في عدم الرجاء وتقول: سرت حتى أدخل البلد بالرفع بخلاف ما سرت حتى أدخلها. فالنصب واجب، لأن السبب منفي، والقيّد الثالث: تكون المضارع في ذلك في محلّ الفضلة، نحو: سرت حتى أدخلها، بخلاف إذا كان في محلّ العُندة، نحو: سيبري حتى أدخلها، فالنصب واجب، لأن الفعل في محلّ الخبر، وكذا قولك: كان سيبري أمس حتى أدخلها، إن جعلت كان ناقصة والخبر المجرور، فالنصب واجب، وإن جعلتها تامة فالرفع أو جعلت الظرف الخبر.

والضابط في حتى التي يرتفع الفعل بعدها هو أن يصحّ في موضعها الفاء، فتقول في قوله: مرض حتى لا يرجونه، مرض فلا يرجونه، وزلزلوا فيقول الرسول حينئذ: ﴿مَتَى نَضُرُّ اللَّهَ﴾، لأن الفاء تؤذن بالتسبب، وضابط حتى التي ينتصب ما بعدها أن تجعل في موضعها كي التعليلية، أو إلى الغائية. فتقول: ﴿فَقِيلُوا أَلَيْسَ لَنَا بِمَلَكٍ﴾ [الحجرات: الآية 9] إلى أن تفيء، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُفِقُوا مَنَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: الآية 7]، أي كي ينفضوا. ونظم بعضهم هذه القيود وهذا الضابط فقال:

ترفع حتى الحال أو مؤوَّلاً	يو فضلة مسبباً على
ما قبله كحتى لا يرجونه	يُخبر ذا يجعل فاء دونه
وما سواه فأنصبه أبداً	وأخبر يكي كذا إلى نلت الهدى

ومعنى يخبر يختبر، أي تختبر حتى التي يرتفع بعدها الفعل، يجعل الفاء موضعها، واختبر التي ينتصب بعدها، يجعل موضعها كي. وقال في التسهيل: وإن كان الفعل حالاً أو مؤوَّلاً به رفع. وعلامة ذلك صلاحية جعل الفاء مكان حتى، وتكون ما بعدها فضلة مسبباً عما قبلها ذا محل صالح للابتداء. اهـ فحتى الرفع ابتدائية وهي مختصة بالدخول على الجملة: اسمية أو فعلية، وحتى التي ينتصب الفعل بعدها جارة لمصدر منسبك من أن والفعل الذي بعدها. ثم ذكر الثامن فقال:

والجواب بالفاء

وفي عبارته قلق، والصواب أن يقول: والفاء في الجواب، لأن الجواب هو ما بعد الفاء لا الفاء. والمعنى أن الفعل المضارع ينتصب بعد فاء السببية في الجواب في أمور: أحدها: النفي المحض، نحو: ﴿لَا يَمْنُنَ عَلَيْهِمْ فِيمُؤْتُوا﴾ [فاطر: الآية 36].

والثاني: النّهي، نحو: ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: الآية 81].

والثالث: الطلب، فيشمل الأمر، نحو: اضرب زيداً فيستقيم، والدعاء، نحو: ربِّ وفّقني فلا أعدل عن سنن الماضين في خير سنن. والاستفهام، نحو: ﴿قَهْدَ لَنَا مِنْ شُعَاعَةٍ فَيَسْفَعُونا لَنَا﴾ [الأعراف: الآية 53]. والعرض، نحو: ألا تنزل عندنا فنكرمك. والتخفيض، نحو: هَلَّا تَأْتِيْنَا فتنزل عندنا. والفرق بينهما أن العرض يكون يرفق ولين، والتخفيض يكون بحث وإزعاج.

والرابع: التمني، نحو: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ [النساء: الآية 73].

والخامس: الترجي، نحو: ﴿لَعَلَّ أَنْتَ الْأَسَدُ ۖ أَشَبَّ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ﴾ [غافر: الآيتان 36، 37] في قراءة حفص وهو مذنب الكوفيين، ورجح ابن مالك ثبوته في النثر الصحيح كما تقدّم في الآية وإليه أشار في الألفية بقوله:
والفعل بعد الفاء في الرّجاء نصب كنصب ما إلى التّمني ينصب

■ فرع:

إذا أسقطت هذه الفاء وقصد الجواب، جزم الفعل، نحو: اضرب زيداً ليستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَنْتُمْ﴾ [الأنعام: الآية 151]. وهل جزمه بأن مقدرة أو بالجملة لتضمّنها معنى الشرط، قولان، وهذا الحكم يجري في الأمور الخمسة إلّا في التّفي المحض، فلا يجزم الفعل بإسقاطها لأنّه لا يستقيم تقدير أن قبله. ويشترط في جواب النّهي تقدير ألا تفعل موضعه، فإن لم يصحّ تقديره رُفِعَ. تقول: لَا تَذَنْ مِنَ الْأَسَدِ تَسْلَمَ بالجزم، لأنك تقول: أَلَا تَذَنْ تَسْلَمَ بخلاف لَا تَذَنْ مِنَ الْأَسَدِ يَأْكُلُكَ فيجب رفعه لأنه لا يصحّ أن تقول: أَلَا تَذَنْ مِنَ الْأَسَدِ يَأْكُلُكَ. قال في التسهيل: فإن لم يُحسن إقامة إن بفعل مقام الأمر وإن لا تفعل مقام النّهي لم يجزم جوابها خلافاً للكسائي. اهـ وقال أيضاً: ويرفع مقصوداً به الوصف أو الاستئناف. اهـ

قلت: مثال الأمرين قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرْثِي﴾ [مريم: الآيتان 5، 6]، ﴿خُذْ مِنْ أَنْزِلْتُمْ سِدْقَةً فُلْهُرَهُمْ﴾ [التوبة: الآية 103] فَيَصْخُ فِيهِمَا الجزم على الجواب والرفع على الوصفية أو الاستئناف.

ثم قال: والأمر المدلول عليه بالخبر أو اسم فعل كالمدلول عليه بفعله في جزم الجواب لا في نصبه خلافاً للكسائي. اهـ قلت: مثال الأمر المدلول عليه بالخبر قولك: اتقى الله امرؤ وفعل خيراً يثب عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ يَحْزَرُ

شَيْكِرٌ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَّسُلُهُ. وَتَعْبُدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَ وَلَكَرُ وَأَنْفُسُكُمْ﴾ [الصف: الآيتان 10، 11]، ثم قال: ﴿يَقْبِرُ لَكَرُ﴾ [الصف: الآية 12] أي آمِنُوا وَجَاهِدُوا يَغْفِرْ لَكُمْ. ومثال اسم الفعل ضَمَّ نكلمك، وحَسَبك الحديث: يَنْمُ الناس.

■ تنبيه:

إذا نَصَبْتَ الفعلَ بَعْدَ الفاءِ في جوابِ ما تَقَدَّمَ، ثم عطفت عليه فغَلًّا آخر يصح فيه الجزم بالعطف على المحل، والنَّصْبُ عطفًا على اللفظ كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَكَ وَأَكُنَّ﴾ [المنافقون: الآية 10] قرءَ بالجزم عطفًا على توهم إسقاط الفاء، أي إن أخرتني أَصْدُقْ . أكن، و بالنصب عطفًا على اللفظ. ثم اعلم أن هذه الفاء، مع كونها تَوْذِنُ بالجواب، هي على أصلها من العطف. عطفت مُضْمرًا مسبوكة من الفعل بعدها على مصدر موهوم مأخوذ من الفعل السابق. فالتقدير في قوله تعالى: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا﴾ [فاطر: الآية 36] أي لا يكون قضاء بِمَوْتٍ ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ﴾ [طه: الآية 81] أي لا يَكُنْ طغيان بحل غضب. وهكذا فيما بقي ولذلك لم يَجْزِ النَّصْبُ في غَيْرِ النَّفْيِ وَالطَّلَبِ الْمُخْضِئِينَ. فتأملهُ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ:

وَالْوَاوُ

فينبغي أن يجعل معطوفًا على قَوْلِهِ والجواب فيكون مَرْفُوعًا لا على الفاء لئلا يقتضي أن الواو تكون في الجواب. فإن الواو هُنَا لَيْسَتْ للجواب قط وإنما هي واو المعية التي أضلها العطف. فالمراد حيثُذ أن المضارع ينتصب بعد الواو التي تفيد مَعْنَى مَعَ، حَيْثُ وَقَعَتْ بَعْدَ النَّفْيِ وَالطَّلَبِ بِأَقْسَامِهِ السَّابِقَةِ، على مقتضى القياس، لكن لم يُسْمَعْ ذَلِكَ في جميعها، والمَسْمُوعُ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّفْيِ، نحو: ﴿وَلَمَّا يَخْلَى اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الْقَاتِلِينَ﴾ [آل عمران: الآية 14] أي لما يكن علم جهاد مِنْكُمْ مَعَ علم صبر. والمراد علم ظهور؛ وفي النَّهْيِ نحو قوله:

لَا تُنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا قَعَلْتَ عَظِيمُ

وقوله: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَةَ وَتَشْرَبِ اللَّبْنَ بِالنَّصْبِ، أي لَا تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، ويصح الجزم. فيكون نَهْيٌ عن كل واحد منهما. والرَّفْعُ على الاستئناف أي لَا تَأْكُلِ السَّمَكَةَ، وَلَكِ شَرِبِ اللَّبْنَ. وفي الأمر كقول الشاعر:

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُوا أَنْ أَسْدَى لَصَوْتِ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

أي ليكن منك دعاء مع دعائي، وفي التَّمْنِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلْبِسْنَا ثُرْدُ وَلَا تَكْذِبَ يَكَايَتِ رَبَّنَا وَتَكُونُ﴾ [الأنعام: الآية 27] في قراءة النَّصْبِ في نكون. وأما ثُرْدُ فخبير

ليت، ونكذب عطف عليه، أي يا ليتنا يكون منا ردة للدنيا مع إيمان. وفي الاستفهام، كقول الشاعر:

أَتَبَيْتُ رِيَانِ الْجَفَوْنَ مِنَ الْكُرَا وَأَبَيْتُ مِنْكَ بِلِيلَةَ الْمَلْسُوعِ

وتقول في العَرْضِ والتحضيض والدعاء: ألا تاتينا وتحذثنا؟ هلا تاتينا وتحذثنا؟ ربِّ وفقني وثب عليّ. وأما إن كانت الواو لا تفيد المعية، وإنما هي لمجرد العطف فالفعل بَعْدَهَا معطوف على ما قبله، فيَجْرِي عليه ما جَرَى على ما قبله، من رفع ونصب وجزم، وقد تجتمع الوجوه الثلاثة في مثال واحد، كما تقدّم في قولهم: لا تأكل السمكة وتشرب اللبن. فإن أراد النّهي عَنْهُمَا معاً اجتماعاً وافتراقاً، جُزِمَا معاً، وكُسِرَ الثاني لالتقاء الساكنين. وإن أراد النّهي عن اجتماعهما فقط نَصَبَ وإن نهي عن الأول فقط، وأَبَاحَ الثاني رَفَعَ. والله تعالى أعلم.

وأما أو:

فإنها تنصب المضارع بعدها بأن مُضمرة وجوباً، وضابطها أن يصلح موضعها إلى أو إلّا أو حتى، فالأوّل: إذا كان ما قبلها ينقضي شيئاً فشيئاً كقول الشاعر:

لَا سَتَهْلُنَّ الصَّعْبُ أَوْ أَذْرَكَ الْمُنَا فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ

أي لا ارتكبن الأمور الشّاقة، واستمهل الصّعب إلى أن أذكر ما تتمناه. والثاني: إذا كان ينقضي دفعةً واحدة، كقول الشاعر:

وَكُنْتُ إِذَا عَمَزَتْ قَنَاةَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كَعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمُ

أي إلّا أن تستقيم. أو تقول: لأقتلن الكافر أو يسلم، أي إلّا أن يسلم. والثالث: إذا كان علّة لما قبله، نحو: لا تنظرنه أو يجيء أي حتّى يجيء، وهي في هذا كله عاطفة مصدرًا مؤوّلًا، من مدخولها على مصدر متوقّف من الفعل الذي قبلها، فإذا قلت: لأقتلن الكافر أو يسلم، كان التقدير: ليكن مني قتل للكافر أو إسلام منه. وقيس عليه أمثاله. فإن لم تكن أو يَمَعْنِي الحروف المذكورة، فقد ينتصب المضارع بَعْدَهَا بأن. لكن لا يجب إضمارها، بل يُجُوزُ الأمران، ومنه قوله تعالى في قراءة ابن كثير⁽¹⁾ ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: الآية 51] فأو عاطفة على وحياً، أي أن يكلمه الله إلّا وحياً، أو إرسال رسول، وإليه أشار في الآية بقوله:

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه أن نأيتنا أو منخريف

(1) عبد الله ابن كثير الداري المكي، أبو معبد: أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة. كانت حرفته العطارة ويسمون العطارة دارياً، فعرف بالداري. فارسي الأصل. مولده بمكة سنة 45 ووفاته بها سنة 120.

فَتَحْصَلَ أَنَّ بِالنُّسْبَةِ إِلَى إِظْهَارِهَا وَإِضْمَارِهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ يَجِبُ إِضْمَارُهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ الْفَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ الطَّلَبِ وَالنَّفْيِ الْمُخْضَيْنِ، وَبَعْدَ وَاوِ الْمَعْيَةِ، وَبَعْدَ حَتَّى، وَبَعْدَ أَوْ الْمُقْبِدَةِ بِمَا مَرَّ، وَبَعْدَ لَامِ الْجَحُودِ. فَهَذِهِ خَمْسَةُ مَوَاضِعَ. وَقِسْمٌ يَجِبُ فِيهِ إِظْهَارُهَا وَهِيَ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ لَامِ كُنْ وَ لَا النَّافِيَةِ كَمَا تَقْدُمُ، وَقِسْمٌ يَجُوزُ فِيهِ إِظْهَارُهَا وَإِضْمَارُهَا وَذَلِكَ بَعْدَ لَامِ كُنْ، مِنْ غَيْرِ لَا. وَبَعْدَ أَوْ، وَالْوَاوِ وَالْفَاءِ، وَثُمَّ الْعَاطِفَةُ عَلَى اسْمٍ خَالِصٍ، كَمَا تَقَدَّمَتْ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ شَرَعَ فِي الْجَوَازِمِ فَقَالَ: وَالْجَوَازِمُ ثَمَانِيَةٌ عَشْرُ.

قُلْتُ: التَّحْقِيقُ أَنَّهَا سِتَّةٌ عَشَرَ فَقَطْ. وَأَمَّا أَلَمْ وَأَلْمَا، فَهِيَ لَمْ وَلَمَّا، بِزِيَادَةِ هَمْزَةٍ التَّقْرِيرِ، وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يَجْزَمُ فِعْلًا وَاحِدًا وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ عَلَى مَا ذَكَرَ النَّاطِمُ. فَأُشَارُ إِلَى أَوَّلِهَا بِقَوْلِهِ: وَهِيَ:

■ لَمْ:

نَحْوُ: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُؤَلِّهِ﴾ [الإخلاص: الآية 3]. فَلَمْ حَرْفُ جَزْمٍ وَنَفْيٍ وَقَلْبٌ؛ لِأَنَّهَا تَقْلِبُ الْمُضَارِعَ إِلَى الْمَاضِي. وَفِي قَلْبِهَا لِلْمَعْنَى أَوْ اللَّفْظِ قَوْلَانِ. فَعَلَى الْأَوَّلِ، هِيَ دَاخِلَةٌ عَلَى الْمُضَارِعِ الصَّالِحِ لِلْحَالِ أَوْ الْإِسْتِقْبَالِ فَتَقْلِبُ مَعْنَاهُ إِلَى النَّفْيِ فِي الْمَاضِي، وَعَلَى الثَّانِي، هِيَ دَاخِلَةٌ عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي فَتَقْلِبُ لَفْظَهُ إِلَى الْمُضَارِعِ. وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ.

■ وَلَمَّا:

وَهِيَ أَيْضًا حَرْفُ جَزْمٍ وَنَفْيٍ وَقَلْبٌ كَمَا فِي لَمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا يَتْلَى اللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية 142]، ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: الآية 39]، ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾ [ص: الآية 8] وَتَشْتَرِكُ مَعَ لَمْ فِي أُمُورٍ وَتَفْتَرِقُ فِي أُمُورٍ، فَيَشْتَرِكَانِ فِي الْحَرْفِيَّةِ وَالْجَزْمِ وَالنَّفْيِ وَالْقَلْبِ. وَيَفْتَرِقَانِ فِي أَنَّ النَّفْيَ يَلْمُ قَدْ يَتَّصِلُ بِزَمَانِ الْحَالِ، وَقَدْ لَا يَتَّصِلُ. تَقُولُ: لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ بِالْأَمْسِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَكَّ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: الآية 1] أَيْ وَقَدْ كَانَ بِخِلَافِ النَّفْيِ يَلْمًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّصِلَ بِزَمَانِ الْحَالِ. تَقُولُ: لَمَّا يَقَمْ زَيْدٌ، إِذَا كَانَ نَفْيَ قِيَامِهِ مُسْتَمِرًّا لَزَمَانِ الْحَالِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾ فَإِنَّ كُفَّارَ قَرِيشٍ لَمْ يَكُونُوا ذَاقُوا الْعَذَابَ حِينَ نَزَلَتْ الْآيَةُ. وَفِي أَنْ مَنَعِي لَمَّا يَتَوَقَّعُ ثَبُوتُهُ فِي الْغَالِبِ، كَالْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، أَيْ وَسَيَذُوقُهُ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، أَيْ وَسَيَأْتِيهِمْ ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 14] أَيْ وَسَيَدْخُلُ، وَمِنْ غَيْرِ الْغَالِبِ

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَنَا بَقِيَّةٌ مَّا أَهْرَأْ﴾ [عبس: الآية 23] فإن العبد لا يقضي جميع ما أمره الله تعالى أبداً إذ لا يخلو العبد من تقصير بخلاف لَمْ فلا يلزم ذلك في نفيها ولذلك لا يصح أن تقول: ولما يجتمع الضدان، وتقول: لَمْ يجتمع الضدان، وَلَا يَصِحُّ أن تقول: وَلَمَّا يَتَّبِ إِبْلِيسُ. وتقول: لَمْ يَتَّبِ إِبْلِيسُ؛ لأنَّ تَوْبَتَهُ مُحَالٌ عَرْضِيٌّ، وفي إن لَمْ قد يدخل عليها أدوات الشرط، نحو: ﴿إِن لَمْ تَقْعَلُوا﴾ [البقرة: الآية 24] بخلاف لَمَّا، وفي أن لَمَّا يجوز حذف مجزومها، كقول الشاعر:

فَجِئْتُ فَبُورِهِمْ بَذَاءً وَلَمَّا

أي ولَمَّا أَكُنْ بَذَاءً، بخلاف لَمْ، فلا تقول: جئت بَعْدَادَ وَلَمْ، أي ولم أدخلها إلا في الضرورة. قال في التسهيل: وقد تلي لَمْ معمول مجزومها اضطراراً. وقد لا يجزم بها حملاً على لا. اهـ. وزعم بعضهم أن العرب قد تنصب بها، كقراءة بعضهم: ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾ [الشرح: الآية 1].

■ وَالْمُ وَالْمَا:

هما لَمْ وَلَمَّا، دَخَلَتْ عليهما همزة التقرير أو التوبيخ، فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ مَذْرَأَهُ﴾ [الشرح: الآية 1]، والثاني: كقول الشاعر:

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت أَلَمَّا أَصَحُّ والشيب وازعُ

فالهزمة للتوبيخ، وأَصَحُّ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ الواوِ، يُقَالُ صَحَا يَصْحُو، إِذَا فَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ، وقال آخر:

الْمَا تَعْرِفُوا مَنَا الْيَقِينَا الْمَا تَعْرِفُوا مِنَّا وَمَنْكُم
كُنَائِبُ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا

■ وَلَامُ الْأَمْرِ:

نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن مَّعْيَتِهِ﴾ [الطلاق: الآية 7].

■ وَالذَّعَاءُ

نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾ [الزخرف: الآية 77]، ابنُ هشام وجزمها فعلى المتكلم المبين للفاعل قليل نحو: قوموا فَلَا حِلَّ، ﴿وَلَنَحْوِلَ خَطْبَكُمْ﴾ [العنكبوت: الآية 12]، وأقلُّ منهما جزمُهما لفعل الفاعل المُخَاطَب، نحو: ﴿يَذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: الآية 58] في قراءة يعقوب. وقوله عليه السلام: «لَتَأْخُذُوا مصابكم»، والأكثر الإغناء عن هذا بفعل الأمر. اهـ. وهما لَامُ الطَّلَبِ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى فَأَمْرٌ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَدْنَى قُدُّعَاءً، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَمَثِّلِينَ فَالْتِمَاسُ كَقَوْلِكَ

لِمَنْ يُسَاوِيكَ لِيَسْتَقِمَّ زَيْدٌ. وتسكينها بَعْدَ الواو والفاء أكثر من تحريكها، نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: الآية 186]. وقد تسكن بَعْدَ ثَم، نحو: ﴿ثُمَّ لِيَقْعُوا﴾ [الحج: الآية 29] في قراءة مَنْ سَكَن. قال في التسهيل: منها لَامِ الطَّلَبِ مكسورة، وفتحها لغة. وقد تُسَكَّن بَعْدَ الفاء والواو، ثم وتلزم في النثر، في فعلٍ غير الفاعل المخاطب به مطلقاً خلافاً لِمَنْ أَجَارَ حَذَفُهَا في نحو: قُلْ لَهُ لِيَقْعَلْ. اهـ. ومن حَذَفُهَا قول الشاعر:

مَحَمَّدٌ تَفْدِي نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَافَتْ مِنْ أَمْرِ ثَبَالَا
أي لتقدي.

■ وَلَا فِي النَّهْيِ:

نحو: ﴿لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: الآية 13]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: الآية 32].

■ والدُّعَاءُ

نحو: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: الآية 286] والفرق بينهما ما تقدّم في الأمر والدُّعَاءُ، فَإِنَّ النَّهْيَ طلب الكَفِّ. فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَعْلَى فَتَنْهَى، وَمِنْ الْأَدْنَى دُعَاءٌ، وَمِنَ الْمَسَاوِي التَّمَاثُلُ. والطلب يشمل الجميع، ولذلك اقتصر في الألفية عليه فقال:

■ بِلَا وَ لَامٍ:

بِلَا وَ لَامٍ طَالِباً صَحَّ جَزْمًا فِي الْفِعْلِ هَكَذَا يَلْمُ وَلَمَّا
و لا يجزم بلا الطلبية إلا فعل المخاطب أو الغائب و لا يجزم بها فعل المتكلم إلا نادراً لأن الشخص لا ينة نفسه إلا إن كان متبياً للمفعول نحو لا أخرج فجائز لأن المنهى غير المتكلم.

ثم شرع فيما يجزم فعلين و يسمى الأول شرطاً و الثاني جواباً و جزاء و هي على قسمين، منها ما هي حرف باتفاق أو بخلاف و منها ما هي أسماء، و قد أشار إلى الأول بقوله:

■ و إن:

وقدّمها لأنها أصل أدوات الشرط لأن الشرط معنى من المعاني التي أصلها أن تؤدّى بالحروف فجاءت على أصلها و ما بقي نائب عنها و هي موضوعة لمجرد الدلالة على تعليق الجواب على الشرط، نحو ﴿وَإِنْ تَوَدَّوْا نَعْدْ﴾ [الأنفال: الآية 19]، وتختص

على أخواتها بأمور، منها جواز حذف الفعلين بعدها، يقول الرجل: أنا لا أزور فلاناً لأنه لا يعرف حق زائره، فتقول له: زره وإن، أي وإن كان كذلك فزره ومنه قول الشاعر:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمًا وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ

أي وإن كان فقيراً معدماً نتزوجهُ، ومنها جواز حذفها عند بعضهم، والجمهور منعه، ومنها أنه يجوز إبدالها الاسم على إضمار الفعل، نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: الآية 6]، أي وإن استجارَكَ أَحَدٌ.

■ وَمَا:

نحو: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 197]، ﴿وَمَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأَنْتَ بِخَيْرٍ مُنْتَهَى﴾ [البقرة: الآية 106]، وهي اسم موضوع للدلالة على ما لا يعقل، ثم ضمن معنى الشرط.

■ وَمَنْ:

وهي اسمٌ وُضِعَ للدلالة على مَنْ يَعْقِلُ، ثم ضَمَّنَ معنى الشرط، نحو: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: الآية 123].

■ وَمَهْمَا:

وهي اسم موضوع للدلالة على مَا لَا يَعْقِلُ، ثم ضَمَّنَ معنى الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿مَهْمَا تَأْتَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِيُذْهِبَ بِهَا مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية 132]، فمهما اسم شرط جازم وتأيتا فعل الشرط مجزوم بحذف الياء وبه متعلق بتأيتا ومن آية حال من الضمير المجرور ولتُسْحَرْنَا منصوب بلام كي، وجُمْلَةٌ: فَمَا نَحْنُ الْخ، جواب الشرط.

■ وَإِذَا مَا:

عند سيبويه حرف موضوع للدلالة على مجرد تعليق الجواب على الشرط. وعند غيره اسم موضوع للدلالة على الزمان، ثم ضَمَّنَ معنى الشرط كقول الشاعر:

وَأَنَّكَ إِذَا مَا تَأْتِ مَا أَنْتَ أَمِيرٌ به تليف من إتياء تأمرءاتيا

فتأت فعل الشرط: وتليف جوابه جزماً بحذف الياء.

■ وَآيٍ:

وهو اسم مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ مَا تَقْدَمُ وَمَا سِيَاتِي، بحسب ما يُضَافُ إليه، فهو في قولك:

أَيْهِمْ يَقُمْ أَقِمْ مَعَهُ: بِمَنْزِلَةِ مَنْ. وَفِي قَوْلِكَ: أَيْ دَوَابُّ تَرْكَبُ أَرْكَبُ، بِمَنْزِلَةِ مَا. وَفِي قَوْلِكَ: أَيْ يَوْمَ تُصْنَمُ أَصْنَمُ بِمَنْزِلَةِ مَتَى. وَفِي قَوْلِكَ: أَيْ مَكَانَ تَجْلِسُ أَجْلِسُ فِيهِ، بِمَنْزِلَةِ أَيْنَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُو﴾ [الإسراء: الآية 110] بِمَعْنَى أَيْ اسْمُ تَدْعُو فَأَيُّا مَفْعُولٌ بِتَدْعُو وَمَا صِلَةٌ، وَتَدْعُو فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ، وَجُمْلَةُ ﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: الآية 110] فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوَابِ أَيْ هَكَذَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعْرَبِينَ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْجَوَابَ مَحْذُوفٌ، دَلٌّ عَلَيْهِ جُمْلَةُ ﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَالتَّقْدِيرُ: أَيْ اسْمُ تَدْعُو بِهِ فَهُوَ اسْمُهُ. قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْكَثِيرَةُ الْحُسْنَى، فَبَايَ اسْمُ دَعْوَتِهِمْ فَهُوَ اسْمُهُ.

■ وَمَتَى وَأَيَّانَ:

وَهُمَا مَوْضُوعَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَانِ، ثُمَّ ضُمُّنَا مَعْنَى الشَّرْطِ، فَمِثَالُ الْأَوَّلِ، قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَتَى تَأْتِيْنَا تَلَمُّمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَتَارًا تَأْجَجَا

وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ:

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرُنَا وَمَتَى لَمْ تُذَرِكِ الْأَمْنَ مِنَّا لَمْ تَزَلْ حَلِيزًا.

فَمَتَى وَأَيَّانَ مَنْصُوبَانِ عَلَى الظَّرْفِيَةِ الزَّمَانِيَةِ، بِمَعْنَى أَيْ وَقْتُ، وَالْعَامِلُ فِيهِمَا فِعْلُ الشَّرْطِ الثَّانِي لِهَمَّا، فَهُمَا عَامِلَانِ مَعْمُولَانِ، وَالْجِهَةُ مَنْفَكَّةٌ.

■ وَأَيْنَ:

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: الآية 78]. وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَكَانِ، ثُمَّ ضُمُّنَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ.

■ وَأَنْى:

هِيَ تَأْنِيْنٌ فِي الْمَعْنَى، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

خَلِيلِي أَنْى تَأْتِيَانِي تَأْتِيَا أَخَا غَيْرِ مَا يَرْضِيكُمَا لَا يَحَاوِلُ

فَتَأْتِيَانِي فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ، وَالنُّونُ الْبَاقِيَةُ: نُونُ الْوَقَايَةِ، وَتَأْتِيَا جَوَابُهُ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ. وَقَدْ تَكُونُ اسْتِفْهَامِيَّةٌ فَقَطْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَأَنْ لَّكَ هَذَا﴾ [آل عمران: الآية 37]، أَيْ مِنْ أَيْنَ. وَتَكُونُ ظَرْفِيَّةٌ فَقَطْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّوَا حَرَكُكُمْ أَلَّا وَثِقْتُمْ﴾ [البقرة: الآية 223] أَيْ مِنْ أَيْنَ مَكَانَ شِئْتُمْ، مَعَ اتِّحَادِ الْمَحَلِّ وَفِي أَيْ وَقْتُ شِئْتُمْ.

■ وَحَيْثَمَا :

هي ظرف مكان أيضا، ضَمَّنَ معنى الشرط، كقول الشاعر:
 حَيْثَمَا تَسْتَقِيمُ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّهُ نَجَاحًا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ
 أي أي مكان تستقيم فيه مع ربك يقدر لك نجاحا وفلاحا وظفرا بكل ما تريد في
 الأزمان الباقية من عمرك لأن استقامة الصِّغَرِ تُصُونُ عَوَاقِبَ الْكِبَرِ وتُبْقِي أَرْذَلَ الْعُمُرِ.
 وَلَا تَجْزُمُ حَيْثُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَهَا مَا، وَإِلَّا لَمْ تَجْزَمْ. وكذلك إِذْ مَا.

■ وَأَمَّا كَيْفَمَا :

فَلَا تَجْزَمْ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ. وقال الكوفيون: تجزم قياسا على حيثما، ووافقهم
 قطرب كالمؤلف وهي موضوعة للدلالة على الحال، ثم ضَمَّنَتْ معنى الشرط. وَلَا
 تَجْزَمْ إِلَّا فَعَلَيْنِ متفقين لفظا ومعنى، نحو: كَيْفَمَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ، وَكَيْفَمَا تَجْلِسُ أَجْلِسُ.
 وظاهره حيث نطق بها، بما أنها لَا تَجْزَمْ إِلَّا مقرونة بها كحيثما؛ وهو رأي قوم. وقال
 الكوفيون: يُجْزَمْ بها مطلقا. وقال البصريون: لَا مطلقا، وإنما يُجَازَى بها وَلَا تَجْزَمْ.

ويوجد في بعض النسخ بعد الثمانية عشر.

وَلَاذَا فِي الشَّعْرِ خَاصَّةٌ

قال الزَّجَّاجِي فِي الْجَمَلِ: وَلَا يَجَازَى بِإِذَا إِلَّا فِي الشَّعْرِ، وَأَنشَدَ:

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَتْ وَصَلْنَا خُطَابُنَا إِلَى أَعْدَائِنَا قَنَضَارِ

قال بعض شُرَاحِهِ: وإنما لم يجازَ بِهَا لأن حق ما يجازى به ألا يدري أيكون أم
 لا وما بعد إذا معلوم كونه، كقولك: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَتَيْتَنِي. ولو قلت: إِنْ طَلَعَتْ
 الشَّمْسُ لَمْ يُحْسَن. وَمِنْ أَعْمَالِهَا أَيْضًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

اسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْعَيْنَا وَإِذَا تُعِيبُكَ خَصَاصَةُ فَتَجْمَلِ

أي اسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَلَا تَفْتَقِرْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَطْمَعْ فِي أَحَدٍ
 سِوَى خَالِقِكَ مَدَّةَ مَا أَغْنَاكَ اللَّهُ بِغِنَا الْجَسَدِ أَوْ الْمَعْنَوِيِّ، وَإِذَا تُعِيبُكَ حَاجَةُ وَفَاقَةِ
 فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا وَهُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى مَعَهُ لِأَحَدٍ.

■ تَنْبِيهَاتُ :

الأول: هذه الإذوات منها ما هو حَرْفٌ باتِّفَاقٍ، ومنها ما هو مُخْتَلَفٌ فِيهِ كَمَا
 تَقَدَّمَ. ومنها ما هو اسمٌ غَيْرُ ظَرْفٍ، ومنها ما هو ظَرْفٌ مَكَانٍ، ومنها ما هو ظَرْفٌ
 زَمَانٍ، وَقَدْ نَظَّمْ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

يَسَائِلًا عَنْ إِذَوَاتِ الشَّرْطِ قَاضِغٍ لِمَا ذَكَرْتَ وَافْتَهُم بِسُطِّ
 إِنَّ بَاتِفَاقٍ حَرْفٌ إِذْ مَا لِلْإِمَامِ وَعِنْدَ غَيْرِهِ لِلْأَسْمَاءِ تُضْمُ
 مَهْمَا وَمَا وَمَنْ وَكَيْفَمَا اجْعَلَا أَسْمِيًا غَيْرَ مَظْرُوفٍ مُشْجَلَا
 وَحَيْثُمَا أَنَّى وَأَيْنَ لِلْمَكَّانِ مَتْنِي وَأَيَّانَ وَإِذْ مَا لِلزَّمَانِ
 إِذَا يَشْفِرُهُمْ لَوْ قَتِ تَنَسَّبَ أَي لِمَا أَضْفَتِ حَقًّا تُخَسَّبُ

الثاني: هذه الإذوات بالنسبة إلى حقوق ما بها على ثلاثة أقسام: قسم لا يجوز لحقوقها بها، وهي: مَنْ، وَمَا، وَمَهْمَا. وقسم يكون لحقوقها بها شرطًا في عملها، وهي إِذْ وَحَيْثُ. وقسم يجوز لحقوقها بها وعدمه، وَهُوَ إِنَّ وَمَتْنِي وَأَيْنَ وَأَيُّ وَأَيَّانَ. وأما كَيْفَمَا فَمِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي عِنْدَ قَوْمٍ؛ وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ، وَمِنْ الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي رَأْيِ الْكُوفِيِّينَ وَقَطْرِب. وَأَمَّا إِذَا، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ. اهـ. قاله السوداني.

الثالث: فعل الشرط والجواب، قد يكونان ماضيين أو مضارعين أو متخالفين، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ مَاضِيًا وَالثَّانِي مَضَارِعًا جَازَ رَفْعُ الْمَضَارِعِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:
 وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمٌ
 وجازم الشرط الإذوات على المشهور. وأما الجواب فقال مُحَقِّقُو الْبَصْرِيِّينَ:
 الإذات، والأخفش: الشرط، وسيبويه والخليل: هما معًا. والكوفيون: الجواز. ونقل ابن جني⁽¹⁾ عن الأخفش أيضًا أنهما تجازما. قَالَ فِي التَّشْوِيلِ: وَجَزَمَ الْجَزَاءُ بِفَعْلِ الشَّرْطِ لَا بِالْأَدَوَاتِ وَحْدَهَا وَلَا بِهِمَا. وَلَا عَلَى الْجَوَازِ، خِلَافًا لِزَاعِمِي ذَلِكَ اهـ.

الرابع: إذا لم يصلح الأداة لمباشرة الشرط، قُرِنَ بِالْفَاءِ، أَوْ بِإِذَا الْفُجَائِيَّةِ إِنْ كَانَتِ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً، وَعَدِمَ صَلَاحِيَةُ ذَلِكَ فِي سِتِّ مَسَائِلَ:

الأولى: أن تكون الجملة اسمية، نحو: إِنْ يَقُمُ زَيْدٌ فَعَمْرُو قَائِمٌ. ونحو: إِنْ تَجِدَ إِذَا لَنَا مَكَافَاةً. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً يَمَا فَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: الآية 36].

الثانية: أن تكون فعلية فعلها جامدًا، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَوْهُ فَقُلُّوا أَلَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ﴾ [النجم: الآية 14].

(1) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو. يفتخر بعد الخليل بن أحمد أستاذ سيبويه ثاني عبقري نظر إلى اللغة العربية نظرة شاملة. ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة 392 هـ. نحو 65 عاماً. من أهم تصانيفه الكثيرة: شرح ديوان المتنبي، والخصائص في اللغة، وسر صناعة الإعراب، واللمع في النحو. قال عنه المتنبي: ابن جني أعرف بشعري مني.

وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَسَمَى رَبِّي﴾ الخ [الكهف: الآيتان 39، 40].

الثالثة: أن يكون فعلها إنشائية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: الآية 31].

الرابعة: أن يكون فعلها ماضياً لفظاً أو معنى، إما حقيقة، نحو: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [يوسف: الآية 77]، وإما مجازاً، نحو: ﴿وَمِنْ جَاءَ بِالسِّيَرَةِ فَكَبَّكَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الشمل: الآية 90]. نزل هذا الفعل لتحقيق وقوعه منزلة ما وقع، وإنما لم يصح مباشرة هذا الفعل للأداة، لأنها تخلص للاستقبال، والغرض من هذا الفعل، هو بقاءه على مضيئه، فلا يصلح لمباشرة الأذات.

الخامسة: أن تفتقر بحرف استقبال، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ يَنْكُحْ مِنْ دِينِهِ نِسْوَةً يَلِي اللَّهُ بِقُوَّةٍ يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُهُمْ أَذَلُّ﴾ [المائدة: الآية 54]، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: الآية 115].

السادسة: أن سقرن بحرف له الصدر، نحو: إن تأتييني فَمَا تَرَى مِنِّي إِلَّا الْخَيْرَ الْجَزِيلَ. وقد أشار إلى هذا كله في الألفية بقوله:

وَأَقْرُنْ بِفَا حَتَّمَا جَوَابًا لَوْ جُعِلَ شَرْطًا لِأَنْ أَوْ حَيْرَهَا لَمْ يَنْجَعِلْ
وَتَخْلُفُ الْفَاءُ إِذَا الْمُفْجَاءُ كَلِمًا تَجِدُ إِذَا لَنَا مُكَافَاةُ

الخامس: يجوز حذف الشرط إن كانت الأداة إن مقرونة بلا كقول الشاعر:

فَطَلَّقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكُفٍّ وَإِلَّا يَغْلُو مَفْرِقُكَ الْحُسَامُ

أي ولأ تطلقها، وهو كثير. ويجوز حذف الجواب إذا عُلِمَ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْطَغْتِ أَنْ تَبْلِيَنَّ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية 35] أي فافعل. ويجب حذفه إن دُلَّ عليه ما تقدم، نحو: أنت صالح إن فعلت. وقد يُحذفان معاً، إن دُلَّ عليهما دليل كما تقدم في قول الشاعر:

وإِنْ كُنَّا فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ

وبالله التوفيق.

■ الإِشَارَةُ:

والنواصب التي تنتصب للعبد وتمنعه من الوصول إلى ربه عشرة: حب الدنيا، والجاه، والمال، وممُّ الرزق، وخوف الفقر، ومراقبة الخلق، وسوء الظن بأهل النسبة، وإنكار وجود أهل الخصوصية، وإنكار أهل التربية، والشفقة على النفس حتى لا يقدر على مخالفتها وردّها عن هواها.

والجوازُ التي تجزئهُ وتحرمهُ من الخصوصية ثمانية عشر: الكِبَرُ، والحَسَدُ،
وَحَبُّ العُلُوِّ، والعُجْبُ، والرِّياءُ، وعدم الخُضُوعِ للأولياءِ، والانتقَادُ عليهم، والظُّمَنُ
على الفقراءِ، والظُّمَعُ في الخَلْقِ، والخَوْفُ منهم، والمَيْلُ إلى أهلِ الظُّلَمِ، والرَّكُونُ
إليهم، والوُقُوفُ مَعَ المَقَامَاتِ والكِرَامَاتِ، وخِلَاوَةُ الطَّاعَاتِ، والاستغراقُ في عِلْمِ
الرُّسُومِ، والتَّجَمُّدُ مَعَ ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ، والتَّعَرُّضُ لِلْعُلُوبَاتِ، والظُّهُورُ قَبْلَ التَّمَكُّينِ،
وبالله التوفيق.

ولَمَّا قَرَعَ مِنَ الأَفْعَالِ شَرَعَ فِي الأَسْمَاءِ وَقَسَمَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مَرْفُوعَاتٍ،
وَمَنْصُوبَاتٍ، وَمَخْفُوضَاتٍ، وَبِهَا خَتَمَ، وَبَدَأَ بِالمَرْفُوعَاتِ فَقَالَ:

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ

أي هَذَا بَابٌ أَذْكَرُ فِيهِ الْمَرْفُوعَاتُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَالْإِضَافَةُ عَلَى مَعْنَى مِنْ. وَإِنَّمَا جَازَ جَمْعُ الْمَرْفُوعَاتِ وَالْمَنْصُوبَاتِ وَالْمَخْفُوضَاتِ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ، مَعَ أَنَّ مَعْنَاهَا مُذَكَّرٌ، لِأَنَّهَا صِفَةٌ لِلْفِعْلِ، وَمَا لَا يَغْلُظُ بِجُوزِ فِيهِ الْأَمْرَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: الآية 197]. وَبَدَأَ بِالْمَرْفُوعَاتِ لِأَنَّهَا عِنْدَ لَا يَخْلُو مِنْهَا كَلَامٌ، فَإِنْ قُلْتُ: قَدْ يَكُونُ عُمْدَةً وَهُوَ مَنْصُوبٌ، كَأَسْمِ إِنْ وَخَبَرَ كَانَ، وَمَفْعُولِي ظَرْفٍ، وَالْفَاعِلُ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ، قُلْتُ: أَضِلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عِنْدَ مَرْفُوعَةٍ، وَنَضْبُهَا عَارِضٌ. وَكَذَلِكَ جَرُّ الْفَاعِلِ بِالْبَاءِ الزَّائِدَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنْ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية 79]، أَضِلُّهُ: كَفَى اللهُ شَهِيدًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ لِيَلْمَرُوهُ نَاهِيَا

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ^(١) «حَقِيقَةُ الْعُمْدَةِ مَا عَلِمَ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ، أَصِيلًا لَا عَارِضًا كَالْمَبْتَدَأِ»، وَالْفُضْلَةُ مَا جَازَ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ، أَصِيلًا لَا عَارِضًا. وَعَرُوضٌ امْتِنَاعُ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْفُضْلَةِ لَا يُخْرِجُهَا عَنْ كَوْنِهَا فَضْلَةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغْتُكَ لَبِاسًا﴾ [الشعراء: الآية 130]، ثُمَّ عَدَّاهَا فَقَالَ:

الْمَرْفُوعَاتُ سَبْعَةٌ وَهِيَ:

■ الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

وَيُقَالُ فِيهِ النَّابِ عَنِ الْفَاعِلِ، وَسَيَأْتِي.

■ وَالْمَبْتَدَأُ وَخَبَرُهُ:

نَحْوُ: اللهُ رَبَّنَا، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن القرشي الهاشمي، بهاء الدين ابن عقيل: من أئمة النحاة وكان جامعاً بين علوم اللغة والتفسير والفقه، من نسل عقيل بن أبي طالب. مولده سنة 694 في القاهرة ووفاته بها في 769. كان مهيباً كريماً كثير العطاء لتلاميذه. له شرح ألفية ابن مالك، والمساعد في شرح التسهيل، و التعليل الوجيز على الكتاب العزيز في التفسير ولم يكمله، والجامع النفيس في فقه الشافعية لم يكمله. وتيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد.

■ **وَأَسْمُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا.**

نحو: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: الآية 96].

■ **وَخَبَرُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا:**

نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: الآية 173].

■ **والتابع للمرفوع:**

قدّم الفاعل لأنه فاعل معنى لأنه أصل المرفوعات، ثم نائبه لأنه خليفة عنه، ثم المبتدأ وخبره لأنه فاعل معنى، لكون الخبر مسنداً، والمبتدأ مُسندٌ إليه، فقولك زيد قائم بمنزلة قام زيد، ثم اسم كان وأخواتها لأنه مبتدأ في الأصل، ثم خبر إنَّ وأخواتها لأنه خبر في الأصل، ثم التَّابِعُ لأنه مؤخر عن المتبوع، ويُنْبِئُهُ فقال: وهو أربعة أَسْمَاءَ: النَّعْتُ وَالْعَطْفُ وَالتَّوَكُّيدُ وَالتَّبَدُّلُ.

ودليل الحصر أن الأول إمّا أَنْ يَكُونَ مقصوداً بالحكم أم لا، الأول البدل. والثاني إمّا أَنْ يتخلل بينه وبين متبوعه شيء أو لا، الأول العطف، والثاني إمّا أَنْ يدلّ على أمر في المتبوع وإمّا أَنْ يُقَرَّرَ أمره في النسبة والشمول. الأول النعت، والثاني التوكيد، والله تعالى أعلم.

■ **الإشارة:**

الأسماء المرفوعة هي أسماء الحق تعالى، وهي كثيرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَتَمُّ لِلْحَقِّ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية 180] والذي ورد بها التوقيف تسعة وتسعون، والذي ظهر منها في الوجود وقام بها عالم التكوين سَبْعَةٌ وهي التي نشأت عن صفات المَعْنَانِي التي هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسَّمْعُ والبَصَرُ والكَلَامُ. فيقال: قادرٌ ومريدٌ وعالمٌ وحيٌّ وسميعٌ وبصيرٌ ومتكلمٌ. فظهور الأثر وهي تجليات الحق يدل على وجود الأسماء، والأسماء تدلّ على وجود الصفات، والصفات تدلّ على وجود الذات في تلك التَّجَلِّيَّاتِ، لأن الصفة لا تفارق الموصوف، فظهور هذا العالم يدلّ على وجود القَائِدِ الذي أظهره بقدرته، والقادر يدلّ على قيام القدرة به، والقدرة تدلّ على وجود الذات في ذلك التجلي، لأن الصفة لا تفارق الموصوف، فمهما ظهرت الصفات ظهرت الذات، ومهما ظهرت الذات ظهرت الصفات، وهذا معنى مَنْ قال: الذاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ، أي متلازمتين في الظهور والتجلي. وفي الجُحْمِ: دلّ بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على وجود صفاته، وبوجود صفاته على وجود ذاته. فالسالك يُكشِفُ له أولاً عن

وجرد أَسْمَائِهِ، ثم يترقى إلى شهود صفاته، ثم يُكشَفُ له عَنْ كَمَالِ ذَاتِهِ، والمَجْدُوب بالعكس.

فالفاعل الحَقِيقِي هُوَ اللهُ، والنائب عنه خليفته وهو الإنسان الكامل. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية 30] وهو آدَمُ وذريته الكُُمَال. والمبتدأ قَبْلُ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ اللهُ، والخبر هو الذي تجلَّى بِهِ مِنَ الْأَثَرِ لَأَنَّهُ يَخْبِرُ عَنِ الذَّاتِ وَكَمَالَاتِهَا. واسمُ كَآنَ هُوَ اللهُ تعالى لَأَنَّهُ فاعِلُ الْكَوْنِ الذي هو مُضِدِرُ لَهَا وهو أَيْضًا خَيْرٌ إِنَّ لَأَنَّهُ بِهِ تَأَكَّدَتِ النِّسَبُ وَعَزَمَ عَلَيْهَا. والتابع للمرفوع هو الوليُّ الكامل لَأَنَّهُ تابع لله ولرسوله اللَّذِينَ هُمَا أَضَلُّ كُلِّ رِفْعَةٍ وَشَرَفٍ وَعِزٍّ، وبالله التوفيق.

ثم بدأ بالفاعل فقال:

بَابُ الْفَاعِلِ

الفاعل لغةً مَنْ صَدَرَ مِنْهُ فِعْلٌ، واصطلاحاً ما عرّفه المصنّف بقوله:

■ الفاعل هو الاسم

أي الصريح، نحو: وَقَالَ اللَّهُ، أو المؤول، نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: الآية 16]، فَإِنَّ تَخْشَعَ فاعِلٌ لَأَنَّهُ مؤولٌ بخشوعِ أي أَلَمْ يحضر للَّذِينَ آمَنُوا خشوع قلوبهم لِذِكْرِ اللَّهِ.

■ المرفوع

إمّا لفظاً إذا خَلَا مِنَ الْبَاءِ، أو من الزائدتين، أو حُكِّمًا إِذَا جَرَّ بِهِمَا، أو بإضافة المصدر.

■ المذكور قبله فِعْلُهُ

المُسْتَنَدُ إِلَيْهِ، إمّا لكونه صدر منه كقام وضرب، أو اتّصفت به، كعلم ومات. واعتُرض على المصنّف إدخاله الرفع وتقدّم الفعل في حدّ الفاعل مع أنهما حكم من أخكايم. وقد قال في السّلم:

وَعِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْمَرْفُودِ أَنْ تَدْخُلَ الْأَحْكَامُ فِي الْحُدُودِ

والحدّ السّالمُ أَنْ يُقَالَ: هو اسم أو ما في تأويله، أسند إليه فعل، أو ما في تأويله، أصلي المحلّ والصفة كما في الموضح، وقوله: أسند إليه فعل أو ما في تأويله، يشمل الفعل الجامد: كَنِعْمَ رَيْسٌ وَلَيْسَ وَعَسَى. والمُتَصَرَّفُ: كضرب ونحوه، والذي في تأويل الفعل، اسم الفاعل، نحو: ﴿تَخْلِفُ آلُؤُلَافُ﴾ [التحل: الآية 69] وَمُنِيرٌ وَجْهٌ. والصفة المشبهة، نحو: أَحْسَنَ وَجْهٌ. والمصدر، نحو: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَاشِيٌّ أَلَيْسَ مِنِّي أَسْطَافُ﴾ [آل عمران: الآية 97] على قول. واسمُ الفعل، نحو: هَيْهَاتَ الْعَقِيقِ. وَالظَّرْفُ وَشِبْهُهُ، نحو: أَعِنْدَكَ زَيْدٌ، ﴿أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: الآية 10]. وقوله: أصلي المحلّ خرج نحو: قائم زَيْدٌ، فزَيْدٌ مبتدأ مؤخر لا فاعل. لأنّ قائماً أضله التأخير. واعترض هذا القيد بأنه غير محتاج إليه لأنه لم يدخل فيما في تأويل الفعل، على مذهب البصريين؛ لأنه عندهم لا يلحق بالفعل إلا بعد الشروط

وهو الاعتماد. وأما على مذهب الكوفيين، فالمراد دُخُولُهُ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: أَضْلِي الصَّبْغَةَ. نحو: ضَرَبَ زَيْدٌ، مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، فَإِنْ صِيغَتْهُ مَفْرُوعَةٌ عَنْ ضَرْبِ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ. وقول المصنف: الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مَا صَوَّرَتْهُ أَنَّهُ فَاعِلٌ مَقْدَمٌ جُعِلَ مَبْتَدَأً. والفاعل ضمير يعود عليه، نحو: زَيْدٌ قَامَ. وقد يُذَكَّرُ الْفِعْلُ وَلَا يَظْهَرُ فَاعِلٌ لَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، فَيَجِبُ أَنْ يُجْعَلَ ضَمِيرًا مُشْتَرَكًا، يعود إمَّا على اسم فاعلي ما أخذ من الفعل نفسه، كقوله عليه السلام: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حَيْثُ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حَيْثُ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». فَقَاعِلٌ يَشْرَبُ ضَمِيرٌ يعود على الشارب، المفهوم من يشرب، وَإِمَّا على ما يَدُلُّ عليه السِّيَاقُ، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُمُومَ﴾ [الواقعة: الآية 83] أي الروح المفهومة من السِّيَاق.

■ تَنْبِيْهَاتٌ :

الأول: إنما رُفِعَ الْفَاعِلُ وَنُصِبَ الْمَفْعُولُ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُمَا، وَنَاسَبَ الرُّفْعُ لِلْفَاعِلِ لِرَفْعَةِ قَدْرِهِ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ قَاعِلٌ، وَنَاسَبَ النُّصْبُ لِلْمَفْعُولِ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ، لَوْقُوعِ الْفِعْلِ الصَّادِرِ مِنَ الْفَاعِلِ عَلَيْهِ، كَالْقَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِلرُّمِيِّ وَالْغَرَضِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمُسَمَّى الْيَوْمَ بِالْإِشَارَةِ.

الثاني: رافع الفعل ما أسند إليه من فعل أو شبهه عند الجمهور. وقيل الإسناد، وقيل كونه فاعلاً في المعنى.

الثالث: يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ، أَنَّ الْفَاعِلَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى فِعْلِهِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ وَأَجَازُ الْكُوفِيِّينَ تَقْدِمُهُ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَاً وَبَيْدًا أَجْنَدَ لَا بِحَمَلِنَ أَمْ حَدِيدًا

فتأولوه البصريون على الابتداء وحذف الخبر، أي مشيهاً يظهر وبَيْدًا.

الرابع: قَيَّدَ بَعْضُهُمْ فِعْلَ الْفَاعِلِ بِكَوْنِهِ تَامًا قَصْدًا لِإِخْرَاجِ اسْمِ كَانَ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فَاعِلًا. وَمَذْهَبُ سَبِيئِيَّةٍ أَنَّهُ فَاعِلٌ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُسَمَّى فَاعِلًا، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْقَيْدَ فِي التَّسْهِيلِ، فَقَالَ: الْفَاعِلُ هُوَ الْاسْمُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ فِعْلٌ أَوْ مُضْمَنٌ مَعْنَاهُ تَامٌ، الْخ. قَالَ ابْنُ عُقَيْلٍ: سَمِيَ سَبِيئِيَّةً اسْمُ كَانَ فَاعِلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالتَّوَسُّعِ.

ثم قال: وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ، أَيُّ مَتْنٍ ظَاهِرٌ، وَمَتْنٍ مُضْمَرٌ.

فالظَّاهِرُ نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ وَيَقُومُ زَيْدٌ.

فحقيقة الظَّاهِرِ مَا دَلَّ بِلَفْظِهِ وَحُرُوفِهِ عَلَى مَعْنَاهُ، فَيَدْخُلُ فِيهِ التَّنْكِرَاتُ وَالْأَخْلَامُ، وَأَسْمَاءُ الْإِشَارَاتِ وَالْمَوْصُولَاتِ، إِلَّا أَنَّ الْإِشَارَاتِ وَالْمَوْصُولَاتِ، يُقَالُ فِيهِمَا

المُبْهَمَات، وَلَا فَرْقَ فِي الْفَاعِلِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا كَمَا ذَكَرَ، أَوْ ثَنِيَّةً أَوْ جَمْعًا، أَوْ
وَاحِدًا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ. وَلَا فَرْقَ أَيْضًا بَيْنَ كَوْنِ الْفِعْلِ مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا،
وَلِذَلِكَ تَرَوُحَ الْأَمْثَلَةَ فَقَالَ:

وَقَامَ الزُّيْدَانِ، وَيَقُومُ الزُّيْدَانِ، وَقَامَ الزُّيْدُونَ، وَيَقُومُ الزُّيْدُونَ، وَقَامَ الرِّجَالُ،
وَيَقُومُ الرِّجَالُ، وَقَامَتِ هِنْدٌ، وَتَقُومُ هِنْدٌ، وَقَامَتِ الْهِنْدَانِ، وَتَقُومُ الْهِنْدَانِ، وَقَامَتِ
الْهِنْدَاتِ، وَتَقُومُ الْهِنْدَاتِ، وَقَامَتِ الْهِنُودُ، وَتَقُومُ الْهِنُودُ، وَقَامَ أَخُوكَ، وَتَقُومُ أَخُوكَ.

وَقَدْ يَكُونُ جَمْعُ تَكْسِيرٍ، كَقَامَ الرِّجَالُ، وَقَامَتِ الْهِنُودُ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ، نَحْوُ:
﴿وَكَذَّبَ بِرَبِّهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام: الآية 66]. أَوْ اسْمُ جِنْسٍ نَحْوُ: أَوْرَقَ الشَّجَرُ وَسَقَطَتِ
النُّخْلُ. وَيَجِبُ تَجْرِيدُ الْفِعْلِ مِنْ عَلَامَةِ الثَّنِيَّةِ وَالْجَمْعِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَجَرَّدِ الْفِعْلَ إِذَا مَا أَسْنَدًا لاثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَفَارَ الشُّهَدَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: الآية 23]، ﴿وَكَاكَ الظَّالِمُونَ﴾
[الفرقان: الآية 8]. وَقَدْ تَلَحُّفَهُ عَلَامَةُ الثَّنِيَّةِ وَالْجَمْعِ، فَيُقَالُ: سَعَدَا الزُّيْدَانِ، وَ
سَعِدُوا الزُّيْدُونَ. وَقَالُوا: أَكَلُوهُ الْبِرَاقِثُ، وَهِيَ لُغَةٌ أَرْدِ شَنْوَةٌ، يُلْحِقُونَ عَلَامَةَ الثَّنِيَّةِ
وَالْجَمْعِ لِلْفِعْلِ مَعَ إِسْنَادِهِ لِلظَّاهِرِ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ حُرُوفُ عِلَامَاتِ الْمُثْنَى وَالْجَمْعِ لَا
ضَمَانِ، وَمَا بَعْدَهَا مُبْتَدَأٌ أَوْ بَدَلٌ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ. وَيَجِبُ إِحْقَاقُ تَاءِ التَّانِيثِ
لِلْفِعْلِ الْمَاضِيِّ وَالْمُضَارِعِ إِذَا كَانَ الْفَاعِلُ مُؤَنَّثًا حَقِيقِي التَّانِيثِ، وَهُوَ مَا لَهُ قَرَجٌ،
نَحْوُ: قَامَتِ هِنْدٌ وَتَقُومُ هِنْدٌ، وَقَامَتِ الْهِنْدَانِ وَتَقُومُ الْهِنْدَانِ، وَقَامَتِ الْهِنْدَاتِ وَتَقُومُ
الْهِنْدَاتِ. فَإِنْ كَانَ مَجَازِي التَّانِيثِ، جَازَ الْأَمْرَانِ، تَقُولُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَطَلَعَ
الشَّمْسُ، وَسَقَطَتِ اللَّيْلَةُ، وَسَقَطَتِ اللَّيْلَةُ. إِلَّا إِنْ كَانَ الْفَاعِلُ ضَمِيرًا مُسْتَتَرًّا مُتَّصِلًا،
فَيَجِبُ التَّانِيثُ مُطْلَقًا، نَحْوُ: الشَّمْسُ طَلَعَتْ، أَوْ الشَّمْسُ تَطْلُعُ. وَنَحْوُ هَذَا فِي الثَّنِيَّةِ
وَالْجَمْعِ، وَأَمَّا الْجُمُوعُ، كُلُّهَا سِوَى جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ فَيَجُوزُ فِيهَا تَذْكِيرُ الْفِعْلِ
وَتَأْنِيثُهُ. تَقُولُ: قَامَ الرِّجَالُ وَقَامَتِ الرِّجَالُ، وَقَامَ الْهِنُودُ وَقَامَتِ الْهِنُودُ. ﴿وَكَذَّبَ بِرَبِّهِ
قَوْمُكَ﴾ [الأنعام: الآية 66]. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الحج: الآية 42]. وَأَوْرَقَ
الشَّجَرُ وَأَوْرَقَتِ الشَّجَرُ. وَكَذَلِكَ الْمُضَارِعُ، فَتَحْصُلُ أَنَّ جَمْعَ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، يَجِبُ
تَجْرِيدُهُ مِنَ التَّاءِ، وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ يَجِبُ تَأْنِيثُهُ، وَالْبَاقِي وَهُوَ جَمْعُ التَّكْسِيرِ
وَاسْمُ الْجَمْعِ وَاسْمُ الْجِنْسِ يَجُوزُ فِيهِ الْأَمْرَانِ. فَإِنْ أَثْنَتِ الْفِعْلَ مَعَ أَحَدِ هَذِهِ الْجُمُوعِ
ثُمَّ أَعْدَتْ ضَمِيرًا عَلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ وَجِبَ تَأْنِيثُهُ نَحْوُ: قَامَتِ الرِّجَالُ لِأَخَوَاتِهَا. وَإِنْ
ذَكَرْتَ ثُمَّ أَعْدَتْ ضَمِيرًا عَلَيْهِ وَجِبَ تَذْكِيرُهُ، تَقُولُ: قَامَ الرِّجَالُ لِأَخَوَاتِهِمْ وَيجوز ترك
التاء فيما يجب فيه مع الفصل بالمفعول ونحوه، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾
[الممتحنة: الآية 12] إِلَّا مَعَ الْفَضْلِ بِإِلَّا فَإِنَّ تَرَكَ التاء حينئذ هو المختار نحو: مَا
قَامَ إِلَّا هُنْدٌ لِأَنَّ الْإِسْنَادَ حِينَئِذٍ فِي الْمَعْنَى إِلَى اسْمِ مَذْكَرٍ، وَهُوَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، لِأَنَّ

التقدير: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا مِنْهُ. وَمَنْ اثْبَتَ النَّاءَ رَأَى أَنَّ مَا بَعْدَ إِلَّا فَاعِلًا فِي الظَّاهِرِ.
ومنه قول الشاعر:

مَا بَرِئْتُ مِنْ رِيْبَةٍ وَذَمُّ فِي حَزِينِنَا إِلَّا بَنَاتِ الْعَمِّ

■ تَنْبِيْهَانِ:

الأول: إذا أخبر بمضارع عن ضمير غيبة لمؤنث، نحو: الهندان هما يفعلان، جاز في المضارع التانيث، حملاً على المعنى. ورجحه أبو حيان، والتذكير حملاً على اللفظ، وهو الظاهر.

الثاني: هذا التفريق بين حقيقي التانيث ومجازه في لزوم الناء في الحقيقي وجوازها في المجازي، إنما هو باعتبار الفعل أو الصفة الجارية مجراه، وأما في غير هذا الباب من الأبواب فلا فرق بين الحقيقي وغيره، بل يجري كله على سبيل التانيث في الإضمار والإشارة إليه وغيره من الأحكام. قاله السوداني عن الراعي⁽¹⁾ ثم ذكر المضمَر فقال:

والمضمَر، نحو قولك: ضَرَبْتُ بِضَمِّ النَّاءِ، للمتكلم الواحد، مذكراً أو مؤنثاً.

وَضَرَبْتُ للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره.

وَضَرَبْتُ بِفَتْحِ النَّاءِ، للمذكر المخاطب.

وَضَرَبْتُ بِكَسْرِ النَّاءِ للمخاطبة المؤنثة.

وَضَرَبْتُمَا للمخاطبتين مذكرتين أو مؤنثتين.

وَضَرَبْتُمُ للمخاطبتين المذكرتين.

وَضَرَبْتُنَّ للمخاطبات المؤنثات.

وَضَرَبَ للغائب المذكر الواحد.

وَضَرَبَتْ للغائبة الواحدة.

وَضَرَبَا للغائبتين المذكرتين، ومثله ضَرَبْتَا للغائبتين المؤنثتين. وبقي على المؤلف:

وَضَرَبُوا للغائبتين المذكرتين.

(1) محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي، ثم القاهري، شمس الدين، أبو عبد الله، المعروف بالراعي: نحوي. ولد سنة 782 بغرناطة وعاش بها، وحج وسكن القاهرة وبها توفي في 853. من كتبه: شرح الألفية، والنوازل التحوية، وشرح الأجرومية، وانتصار الفقير البالك لترجيح مذهب الإمام مالك، ومسالك الأحباب في النحو.

وَضَرَبْنَ للغائبات. وبقي عليه من أقسام الضمير المتصل بياء المؤنثة المخاطبة،
نحو: تقومين يا هند، وقومي يا دعد.

■ والمتفصل اثنا عشر

نحو قولك: مَا قام إِلَّا أَنَا، وَمَا قام إِلَّا نَحْنُ، وَمَا قام إِلَّا أَنْتَ، وَمَا قام إِلَّا
أَنْتِ، وَمَا قام إِلَّا أَنْتَما، وَمَا قام إِلَّا أَنْتُمْ، وَمَا قام إِلَّا أَنْتِ، وَمَا قام إِلَّا هُوَ، وَمَا قام
إِلَّا هِيَ، وَمَا قام إِلَّا هُمَا، وَمَا قام إِلَّا هُنَّ، وَمَا قام إِلَّا هُنَّ.

■ تكميل:

يجوز حذف الفعل وإبقاء الفاعل وهو على قسمين: ما يُحذف وجوباً، وما
يُحذف جوازاً. فالأول كقوله تعالى: ﴿وَأَن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: الآية
6] فَأَخَذَ فاعل بفعل محذوف وجوباً، لأنه مفسر بما بعده من باب الاشتغال في
المرفوع، والثاني كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
[الزمر: الآية 38]. فإله فاعل، أي خلقهن الله. وقد أظهره في قوله: ﴿خَلَقْنَهُنَّ الْغَيْرُ
الْمَلَكُوتُ﴾ [الزخرف: الآية 9]. ويجوز أن يكون الله مبتداً والجملة بعده خبر، أي الله
خلقهن، والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

الفاعل الحقيقي هو الاسم المرفوع القدر العظيم الشأن وهو الحق جلّ جلاله،
المذكور قبله فعله عند العاقِلين والمذكور بعده فعله عند الذاكرين، المذكور قبله فعله
عند العالين أو السائرين والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين، المذكور قبله
فعله عند أهل الدليل والبرهان والمذكور بعده فعله عند أهل الشهود والعيان، أهل
الدليل والبرهان يذكرون فعله ويستدلون به عليه، وأما الواصلون من العارفين
فَيُذَكِّرُونَهُ وَيَرَوْنَهُ قَبْلَ رُؤْيِهِ فعله، فَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِاللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ، فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا هُوَ، كما
قال شاعرهم:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَا وَكَذَا الْقَبِيرُ عَنَّا مَنْشُوعُ
مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقَا فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَّجْمُوعُ

فروية الفعل قبل الفاعل مقام العموم من أهل الدليل والبرهان، ورؤية الفاعل
قبل الفعل أو معه مقام الخصوص من أهل الشهود والعيان، أهل الدليل والبرهان
عموم عند أهل الشهود والعيان.

وفي الحكيم: «فَمَنْ رَأَى الْكَوْنَ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَقَّ فِيهِ أَوْ قَبْلَهُ أَوْ مَعَهُ أَوْ بَعْدَهُ، فَقَدْ

أَعْوَزَهُ وجود الأنوار، وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ المعارفِ بِسُحُوبِ الآثارِ. وفيه أيضًا: «شَتَانُ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، الْمُسْتَدَلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ وَأَثَبَتِ الْأَمْرَ مِنْ وَجُودِ أَصْلِهِ، وَالْإِسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَإِلَّا قَمَتْنِي غَابَ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَمَتَى بَعْدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تَوْصِلُ إِلَيْهِ».

قال الشاعر:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْنِي عَلَيْكَ شَهَادَةً وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدُهُ كُلُّ شَاهِدٍ

ثم قال: وهو على قسمين: ظاهر عند العارفين، لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ عِنْدَهُمْ إِلَّا عَلَى الْأَعْمَى، كما قال الشاعر:

لَقَدْ ظَهَرَتْ قَمًا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَحْمَدٍ لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا

ومضمر أي مستتر، باطن عند الغافلين، كما قال في الشطر الثاني:

لَكِنْ بَطُنْتُ بِمَا أَظْهَرْتُ مُحْتَجِبًا وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعَرَّةِ اسْتَشْرَا

وفي مُنَاجَاةِ الْجَنِّمِ: «إِلَهِي كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وَجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ؟ أَيْكُنْ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمَظْهَرُ لَكَ؟ مَتَى غِبْتُ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟» وفي عبارته نوع من الفرق، فلو قال: إلهي كيف يستدل عليك بما هو سرٌّ مِنْ أَسْرَارِ ذَاتِكَ وَتَوَرَّ مِنْ أَنْوَارِ تَجَلِّيَاتِكَ الْخ.

وقال أيضًا: «كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؟ أَمْ كَيْفَ تُغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ؟». فالحقُّ جَلٌّ جَلَّالُهُ قَدْ تَجَلَّى وَظَهَرَ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ثُمَّ بَطُنَ فِي ظُهُورِهِ، قَمًا ظَهَرَ سِوَاهُ وَمَا تَجَلَّى إِلَّا نُورَ بَهَائِهِ وَسَنَاهُ. وَقَدْ قُلْتُ فِي خُرَيْتِي:

قَمًا ظَهَرَ فِي الْكَوْنِ غَيْرُ بَهَائِهَا وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا لِحُجْبِ سِرِّيَّتِي

إلى آخر القصيدة. قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3] أي هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، والظاهر فيما تجلَّى بِهِ مِنْ أَسْرَارِ ذَاتِهِ وَأَنْوَارِ صِفَاتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ فِي عَيْنِ ظُهُورِهِ، ظَهَرَ بِذَاتِهِ وَبَطُنَ بِآثَارِ صِفَاتِهِ.

وفي الْجَنِّمِ: أظهر كل شيء بأنه الباطن وطوى وجود كل شيء بأنه الظاهر، أي أظهر جسَّ الكائنات بسبب اسمه الباطن وطوى وجود كل شيء بسبب اسمه الظاهر إذ لَا ظَاهِرَ مَعَهُ. وهذا الأمر لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْأَذْوَاقِ الَّذِينَ يَشْتَبُونَ الضُّدَّيْنِ فِي مَظْهَرٍ وَاحِدٍ، وَيَعْطُونَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَحَسْبُ مَنْ لَمْ يُدْرِكْ مَقَامَهُمْ، التَّسْلِيمُ لِمَا رَمَزُوا إِلَيْهِ:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهِلَالَ قَسَلِمَ لِأَنَاسِي رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

وبالله التوفيق.

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ

قلت: عبارة الثَّانِي عن الفاعل أَحْسَن، لاختصارها وكونها جامعة. وأما المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعِله فقد يصدق:

على المفعول الثاني في قولك: أُعْطِيَ زَيْدٌ دِرْهَمًا، فَيُرْهِمُ مُعْطَى لَمْ يُذَكَّرْ فَاعِلُهُ مع كونه منصوبًا، وعلى معمول المصدر، في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْلَأْ فِي يَوْمِ ذِي مَسْقَرَةٍ﴾ [البقرة: 14، 15]، فهذان المثالان، يصدق عليهما أنهما مفعولان لَمْ يُسَمَّ فاعِلهما مع كونهما بِمَنْزِلِ هَذَا الْبَابِ، ثم عرّفهُ المصنّف بقوله:

وهو الاسمُ

أي صريحًا أو مؤوَّلًا، نحو: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَيْتَ نَقْرًا﴾ [الجن: 1] أي استماع نَقْرٍ.

المَرْقُوعُ

تقدّم البحث فيه بأنه حكم، فلا ينبغي إدخاله في الحدّ. وقد يُجاب بأنه لم يُقصد به هُنَا الحكم، وإنما هو عنده فضل أخرج به المنصوب في المثالين المتقدمين.

الَّذِي لَمْ يُذَكَّرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ

بل يُحذف وينوب عنه المفعول به، فيستحق ما كان يستحقه الفاعل من الرّفْع والعُمْدَة وتأنيث الفعل له وتجريده من علامة التثنية والجمع وغير ذلك من الأحكام المتقدمة. وإنما يُحذف الفاعل لغرض من الأغراض، بغضها معنوية وبعضها لفظية، جمعها أَبُو حَبِيبٍ فِي بَيِّنَتَيْنِ فَقَالَ:

وَحَذَفَهُ لِلْخَوْفِ وَالْإِتْهَامِ وَالْوَرْنَ وَالشُّحْقِيرِ وَالْإِغْطَامِ

وَالْعِلْمَ وَالْجَهْلَ وَالْإِخْتِصَارَ وَالسَّجْعَ وَالْوِفَاقَ وَالْإِثْرَ

ومَذِوُ الثُّكْتُ هِيَ مِنْ وَطِيقَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا مِنْ وَطِيقَةِ عِلْمِ النَّحْوِ، وإدخالها في علم النَّحْوِ زيادةٌ فائدة. فَمِثَالُ الْخَوْفِ وَهُوَ شَامِلٌ لِلْخَوْفِ، مَثُ أَوْ عَلَيْهِ. فالأول نحو: قُتِلَ زَيْدٌ، إِذَا خِفْتَ مِنْ قَاتِلِهِ، بَأَن كَانَ ظَلُومًا غَشُومًا. فَإِنْ كَانَ الْقَاتِلُ ضَعِيفًا، كَانَ مِثَالُ لِلْخَوْفِ عَلَيْهِ. ومِثَالُ الْإِتْهَامِ عَلَى السَّامِعِ: تصدق اليوم بكذا إحقاء للعمل، خوفًا

من الرِّبَا. وهذان غَرَضَانِ مَعْنَوِيَانِ، ومثال الوزن قول الشاعر:
عُهِدْتُ مَغِيثًا مَغْنِيًا مَنَ أَجْرَتُهُ فَلَمْ أَتَّخِذْ إِلَّا فِنَاءَكَ مَوْئِلًا
وقال آخر:

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ فَكَيْفَ مَفِيدَةٌ وَكَيْفَ إِذَا مَا ضُنُّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ

فَضُنُّ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، من ضُنَّ، بمعنى بخل. فُلُوْ قَالَ: ضُنُّ النَّاسِ بِالْمَالِ، لم يُوزَن. ومثال التحقير: طَلَعِ عُمَرُ، وَقِيلَ الْحَسَنِ، تُرِكَ ذِكْرُ الْفَاعِلِ احْتِقَارًا لَهُ. ومثال الإعظام حُدَّ الشَّارِبِ، وَجُلِدَ الزَّانِي، فَحُذِفَ الْفَاعِلُ وَهُوَ الْحَاجِمُ إِعْظَامًا لَهُ. ومثال العلم بِالْفَاعِلِ: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ» [النِّسَاءُ: الْآيَةُ 23]، «أَجَلٌ لَكُمْ مَيْدُ الْبَحْرِ» [الْمَائِدَةُ: الْآيَةُ 96]، إِذْ مَعْلُومٌ أَنَّ الْمُحَرَّمَ وَالْمَحْلُلَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى. ومثال الْجَهْلِ: ضَرَبَ فُلَانٌ، إِذَا لَمْ تَدْرِ فَاعِلَهُ. ومثال الاختصار نحو: سُئِلَ النَّبِيُّ (ص) عَمَّا يَلْبَسُ الْمُحَرِّمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. ومثال السجع والمراد به تقارب القَوَاصِلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لِّأَنَّ تَبَعْدًا يُغْفَرُ مِنْهُ الطَّبْعُ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ⁽¹⁾ فِي الْمَقَامَاتِ: مَا طَلَعَ هَلَالٌ، وَسَمِعَ إِهْلَالٌ، فُلُوْ قَالَ: وَسَمِعَ النَّاسُ إِهْلَالًا لِيَبْعُدَ الْفَاصِلَةُ وَتَغْيُرَ. فهذا المثال يصلح لِلْوَفَاقِ الْآتِي بَعْدَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ أَيْضًا: حَتَّى نَأْمَنَ مِنْ حَصَائِدِ الْأَلْسِنَةِ وَنُكْفَى حَوَائِلُ الزُّخْرُفَةِ. فُلُوْ بَنَاءٌ لِلْفَاعِلِ فَقَالَ: وَيَكْفِينَا اللَّهُ غَوَائِلَ الزُّخْرُفَةِ، لَطَالَتْ الْفَاصِلَةُ. ومثال الْوَفَاقِ فِي إِعْرَابِ الْقَوَافِي، أَوْ إِعْرَابِ الْفَوَاصِلِ: فَالْأَوَّلُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَمَا هُوَ سَاطِعُ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُوتُ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَدُّ الْوَدَائِعُ

فُلُوْ قَالَ: يَرُدُّ النَّاسُ الْوَدَائِعَ لِاخْتِلَافِ الْقَافِيَتَانِ. والثاني: وهو وفاق القَوَاصِلِ، ما تقدم من قوله: ما طلع هلالٌ وسَمِعَ إِهْلَالٌ. ومثال الإيثار ومعناه: إِيْثَارُ غَرَضِ السَّامِعِ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا إِذَا كَانَ غَرَضُ السَّامِعِ أَلَّا يُذَكَّرَ الْفَاعِلُ، إِمَّا لِكِرَاهَةِ سَمَاعِ ذِكْرِهِ، أَوْ خَوْفِ مَنِّهِ، أَوْ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَكْرِمَ فُلَانٌ، أَوْ ضَرِبَ. وَيُحْذَفُ الْفَاعِلُ. فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ فَرْضًا، بَعْضُهَا لَفْظِيَّةٌ وَبَعْضُهَا مَعْنَوِيَّةٌ، وَلَا يَخْفَى التَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا، وَلَمَّا كَانَتْ صِغَةُ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ مُغَايِرَةً لَصِغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ؛ لِيَقَعَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؛ وَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ التَّنْصِيفِ، نَبَّةُ الْمُصَنِّفِ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ:

فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِيًا ضَمَّ أَوَّلُهُ وَكُسِرَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ.

(1) القاسم بن علي، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الشهير، صاحب المقامات الحريرية. ولد قرب البصرة سنة 446 وتوفي بالبصرة سنة 516.

إما تحقيقًا كضرب وحمد، أو تقديرًا كقيل وغيض ومي. وأضله: قول وغيوض وسوء، فاستقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى فاء الكلمة وقُليت الواو ياءً لمناسبة الكسرة. وكذلك شد و زد، أضله شدَّ و زدَّ، فاذغم أحد المثلين في الآخر، فكسُر ما قبل الآخر مُقدَّر في هذه الأمثلة. وهذا التغيير شامل للماضي الثلاثي كضرب، والرباعي كأكرم ودُخرج، والخماسي كأنطلق، والسداسي كاستخرج، والمبدوء بهمزة الوصل كالمثاليين، والمبدوء بتاء مزيدة كتعلم وتكبر، فضم الأول وكسر ما قبل الآخر واجب في الجميع، ويجري أيضًا في نحو: اختار وانقاد وشبههما، فنقول: اختيرَ وانقيدَ بإخلاص الكسر والإشمام وإن كان مبدوءًا بتاء زائدة، ضم ثانيه أيضًا، كتعلم وتكلم. وإن كان مبدوءًا بهمزة وصل ضم ثالثه كأنطلق واستخرج ونحوهما. وإن كان مضارعًا ضمَّ أوله، وفتح ما قبل آخره.

أي سواء كان صحيحًا أو معتلًا، مفتوحًا ما قبل آخره أو مكسورًا من الثلاثي أو غيره، فنقول: يضرب زيد ويكرم عمرو وينطلق به ويستخرج ويتدخرج. والفتحة في المبني للمفعول غير الفتحة في المبني للفاعل. ومثله: يقال، ويُباع، ويُسْتعان به، وأضله يقول ويُسْتَعون، قُليت الواو ألفًا، حسبما هو مقرر في علم التصريف. وهو على قسمين: ظاهر ومضمر، فالظاهر نحو قولك: ضرب زيد.

أضله: ضرب عمرو زيدًا، فحذف الفاعل لغرض كما تقدم، وأقيم المفعول مقامه. فصار مرفوعاً عمدة متصلًا بفعله، متأخرًا عنه كما كان الفاعل. ويضرب زيد

أضله: يضرب عمرو زيدًا، ففعل به ما فُعل بالماضي.

وأكرم عمرو ويكرم عمرو

هذا مثال للرباعي، والأصل أكرم الله عمروًا أو يكرمه، فحذف الفاعل كما تقدم وفعل به ما فعل بالماضي.

والمضمر اثنا عشر

قسمان: متصل ومتفصل، فالمتصل اثنا عشر: اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب، وخمسة للغائب، وبقي عليه واحد للمخاطبة، وذلك:

نحو قولك: ضربت بضم التاء للمتكلم وأضله: ضربتني زيدًا، قالياء مفعول يضرب، فلما أريد نيابتها عن الفاعل، وكانت الياء لا تصلح أن تكون في محل رفع لأن ياء المتكلم لا تكون إلا مجرورة أو منصوبة، ولا تكون مرفوعة أبدًا، فأتى بتاء المتكلم، الصالحة لذلك مع كونها في المعنى كالياء. فقيل: ضربت.

وَضَرَبْنَا وَأَضْلَهُ: ضَرَبْنَا زَيْدًا، فَلَمَّا أُرِيدَ حَذْفُ الْفَاعِلِ، وَإِنَابَةُ الْمَفْعُولِ، بَقِيَ الضَّمِيرُ بِحَالِهِ لِصِلَاحِيتهِ، لِلْمَخَالِ الثَّلَاثَةِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

لِلرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَجَرْنَا صَلَاحٌ كَاغْرِفَ بِنَا فَلَانْنَا نِلْنَا الْجَمْعُ

أَيُّ نِلْنَا الْمَوَاهِبَ الْعَطَايَةَ، وَالْأَسْرَارَ الْقُدْسِيَّةَ.

وَضَرَبْتُ بِنَاءَ الْخَطَابِ وَأَضْلَهَا ضَرَبْتُكَ زَيْدًا، فَلَمَّا أُرِيدَ بِنَاؤُهُ لِلْمَفْعُولِ وَحَذْفُ الْفَاعِلِ وَكَانَتْ الْكَافُ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ، أَتَى بِالنَّاءِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْكَافِ وَصَالِحَةٌ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ.

وَضَرَبْتُ بِكُنْزِ النَّاءِ لِلْمَخَاطَبَةِ، وَأَضْلَهَا ضَرَبْتُكَ زَيْدًا فَقَعَلَ بِهَا مَا تَقَدَّمَ.

وَضَرَبْتُمَا لِلْمَخَاطَبَيْنِ: مُذَكَّرَيْنِ وَمُؤَنَّثَيْنِ، وَأَضْلَاهَا ضَرَبْتُكُمَا زَيْدًا.

وَضَرَبْتُمْ لِلْمَخَاطَبِينَ الْمُذَكَّرِينَ وَأَضْلَهُ ضَرَبْتُكُمْ فَلَانَ.

وَضَرَبْتُنَّ لِلْمَخَاطَبَاتِ الْمُؤَنَّثَاتِ.

وَضَرَبْتُ لِلْغَائِبِ الْوَاحِدِ وَأَضْلَهُ زَيْدٌ ضَرَبَهُ عَمْرُو، فَلَمَّا حَذَفَ الْفَاعِلُ وَأُرِيدَ نِيَابَتُهُ عَنْهُ وَلَمْ تَكُنْ الْهَاءُ صَالِحَةً لِلرَّفْعِ، لَأَنَّ الْهَاءَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْجَرِّ وَالنَّصْبِ، أَتَى بِمَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ مِمَّا فِيهِ مَقَادِمَا مِنَ الْغِيَّةِ وَهُوَ: هُوَ، فَقِيلَ: ضَرَبْتُ أَيُّ هُوَ.

وَضَرَبْتُ لِلْمُؤَنَّثَةِ الْغَائِبَةِ وَأَضْلَهُ هُنْدٌ ضَرَبْتُهَا زَيْدًا فَأَجْرِي عَلَى مَا ذَكَّرْنَا؛ لَأَنَّ الْهَاءَ غَيْرُ صَالِحَةٍ لِلرَّفْعِ، فَأَتَى بِهِيَ الصَّالِحَ لِلرَّفْعِ، وَاسْتَرَى لَتَقَدَّمَ الظَّاهِرُ.

وَضَرَبْنَا لِلْغَائِبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ، وَأَضْلَهُ الزَّيْدَانِ ضَرَبْتُهُمَا عَمْرُو، ثُمَّ جَرَى فِيهِ مَا ذُكِرَ لِأَنَّ الْهَاءَ غَيْرُ صَالِحَةٍ لِلرَّفْعِ وَكَذَا ضَرَبْنَا لِلْمُؤَنَّثَتَيْنِ الْغَائِبَتَيْنِ، وَأَضْلَهُ الْهِنْدَانِ ضَرَبْتُهُمَا عَمْرُو، فَقَعَلَ بِهِ كَذَلِكَ.

وَضَرَبُوا لِلْغَائِبِينَ الْمُذَكَّرِينَ، وَأَضْلَهُ الزَّيْدُونَ ضَرَبْتَهُمْ عَمْرُو.

وَضَرَبْتُنَّ لِلْغَائِبَاتِ، وَأَضْلَهُ الْهِنْدَاتُ ضَرَبْتُهُنَّ عَمْرُو، قَالَ الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى مَا ذَكَّرْنَا، وَبَقِيَ ضَمِيرُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمَخَاطَبَةِ، نَحْوُ: أَنْتِ يَا هُنْدُ تُضْرَبِينَ.

وَالْمُنْفَصِلُ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ: مَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنَا، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا نَحْنُ، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنْتِ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا أَنْتِ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا أَنْتُمَا، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا أَنْتُمْ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا أَنْتُنَّ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا هُوَ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا هِيَ، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا هُمَا، وَمَا ضُرِبَ إِلَّا هُنَّ.

■ تَنْبِيْهٌ:

قَدْ يُفْهَمُ مِنْ قُوَّةِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ، أَنَّ صِيْغَةَ فِعْلِ الْمَفْعُولِ مُفْرَعَةٌ عَنْ فِعْلِ الْفَاعِلِ وَهُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ الْمُبَرِّدُ وَالْكُوفِيُّونَ: هُوَ أَضَلُّ، بِدَلِيلِ لَزُومِهِ فِي أَفْعَالِ

لَمْ تَنْطِقْ بِهَا الْعَرَبُ إِلَّا مَبْنِيَةً لِلْمَفْعُولِ، كَزُهَيْ عَلَيْنَا، أَيْ تَكَبَّرَ، وَغُنِيَ بِحَاجَتِكَ، وَجُنَّ وَطَلَّ دَمُهُ، أَيْ هُدِرَ، وَتُفِسَّتِ الْمَرَاةُ، أَيْ تَنْفَسَ رَجُلُهَا بِالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ فِي بَابِ التَّصْرِيفِ: وَزُدْ نَحْوَ ضَمِينٍ^(١).

■ تَمَّتَانِ :

الأولى: الأفعال ثلاثة، قِسْمٌ لَا يَجُوزُ بِنَاوُهُ لِلْمَفْعُولِ اتِّفَاقًا، وَهِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي لَا تَتَصَرَّفُ وَهِيَ: نَعَمَ وَبَشَى وَعَسَى وَلَيْسَ وَحَبَّذَا وَفَعَلَ التَّعَجُّبَ وَقَلَمًا وَطَالَمًا وَيَذَرُ وَيَدَعُ وَتَبَارَكَ اللَّهُ.

وَتَقْسِمُ فِيهِ خِلَافٌ، وَهِيَ كَانُ وَأَخَوَاتُهَا الْمُنْصَرَفَةُ.

وَقِسْمٌ لَا يَخِلَافُ فِي جَوَازِ بِنَاوِهِ لِلْمَفْعُولِ وَهِيَ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَتَصَرَّفُ، وَالْخِلَافُ الَّذِي فِي كَانُ وَأَخَوَاتِهَا ذَكَرَهُ ابْنُ السَّرَاجِ فَقَالَ: «وَأَجَازُ قَوْمٌ فِي كَانُ زَيْدٌ قَائِمًا، أَنْ يَرُدُّهُ إِلَى مَا لَمْ يُسَمَّ قَاعِلُهُ، فَيَقُولُونَ: كَيْنَ قَائِمٌ»، قَالَ: «وَهَذَا عِنْدِي لَا يَجُوزُ مِنْ قِبَلِ أَنْ كَانُ فَعَلَ غَيْرَ حَقِيقِي، وَإِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، فِقَاعِلُهَا غَيْرُ فَاعِلٍ حَقِيقَةٍ، وَمَفْعُولُهَا غَيْرُ مَفْعُولٍ بِهِ عَلَى الصَّحَّةِ. فَلَيْسَ فِيهِ مَفْعُولٌ يَقُومُ مَقَامَ الْفَاعِلِ». قُلْتُ: وَكَذَلِكَ مَفْعُولًا ظَنُّ، فَإِنَّ أَصْلَهُمَا الْمَبْتَدَأَ وَالْخَبَرَ، وَفِيهِمَا خِلَافٌ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

فِي بَابِ ظَنٍّْ وَأَرَى الْمَنْعُ اشْتَهَرَ وَلَا أَرَى مَنَعًا إِذَا الْقَضْدُ ظَهَرَ

وَأَمَّا بَابُ كَسَى وَأَغَطَى، فَيَجُوزُ بِنَاءُ الْأَوَّلِ اتِّفَاقًا. تَقُولُ: كُتِبِي زَيْدٌ جُبَّةً. وَكَذَلِكَ الثَّانِي، إِذَا أَمِنَ اللَّبْسُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الثانية: إِذَا فُتِحَ الْمَفْعُولُ بِهِ جَازَ إِقَامَةُ غَيْرِهِ مِنْ ظَرْفٍ وَجَارٍ وَمَجْرُورٍ أَوْ مَصْدَرٍ وَشَرْطٍ إِقَامَةُ الظَّرْفِ، أَنْ يَكُونَ مُخْتَصًّا فَلَا يُقَالُ: سِيرَ وَقْتُ، وَلَا جَلَسَ مَكَانٌ، وَيُقَالُ: سِيرَ وَقْتُ صَعْبٍ، وَجَلَسَ مَكَانٌ بَعِيدٍ. وَأَنْ يَكُونَ مُتَصَرِّقًا، بِخِلَافِ نَحْوِ: سَحَرَ وَعِنْدَ وَقَبْلَ وَبَعْدَ وَذُونَ وَثُمَّ، مِمَّا لَزِمَ الظَّرْفِيَّةَ. وَشَرْطُ الْمَصْدَرِ أَنْ يَكُونَ مُتَصَرِّقًا، بِخِلَافِ نَحْوِ: سَبَّحَانَ اللَّهَ، وَمَعَاذَ اللَّهِ. وَأَنْ لَا يَكُونَ مُؤَكَّدًا، بِخِلَافِ نَحْوِ: قَامَ زَيْدٌ قِيَامًا. وَشَرْطُ الْمَجْرُورِ أَلَّا يَلْزِمَ حَالَةً وَاحِدَةً، كَمَثَلِ وَمِنْذُ وَالْكَافِ وَرُبُّ، وَمَا خَصَّ بِقِسْمٍ وَاسْتِثْنَاءٍ. وَأَنْ لَا يَكُونَ لِلتَّعْلِيلِ كَاللَّامِ وَالْبَاءِ، وَمِنْ إِذَا دَلَّتْ عَلَى التَّعْلِيلِ. ذَكَرَهُ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ، وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الثَّلَاثَةُ فَانْتَ مُخَيَّرٌ فِي إِبَابَةِ مَا شِئْتَ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) البيت بكامله:

وَانْفُخْ وَهَمٌّ وَكُتِبَ الثَّانِي مِنْ فَعَلَ ثَلَاثِي وَتَخَوَّ ضَمِينِ

■ الإِشَارَةُ:

المفعول الذي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ مَعَهُ بَلْ يَصِيرُ عَيْنُ الْفَاعِلِ حَقِيقَةً، هُوَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ، الْمُتَحَقِّقُ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ؛ وَهُوَ النَّائِبُ عَنِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ فِي تَصْرِيفِ أَحْكَامِهِ التَّكْلِيفِيَّةِ وَالتَّعْرِيفِيَّةِ، الْجَلَالِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ، وَهُوَ الْقُطْبُ الْجَامِعُ، وَيُقَالُ فِيهِ الْعَوْتُ، وَسُمِّيَ قُطْبًا، تَشْبِيهًا لَهُ بِقُطْبِ الرُّوحَا وَهُوَ قَلْبُهَا الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْقُطْبُ هُوَ قُطْبُ الْكَوْنِ، عَلَيْهِ يَدُورُ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ، فَيَنْقَبِضُ بِقَبْضِهِ، وَيَتَبَسَّطُ بِتَبَسُّطِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَصِلُ مِنْهُ الْمَدَدُ الرُّوحَانِيُّ إِلَى دَوَائِرِ الْأَوَلِيَاءِ: مِنْ نَجِيبٍ وَنَقِيبٍ وَأَوْتَادٍ وَأَبْدَالٍ، إِلَّا الْأَفْرَادَ فَإِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ دَائِرَتِهِ، وَلَهُ الْإِمَامَةُ وَالْإِزْثُ وَالنِّيَابَةُ وَالْخَلَافَةُ الْبَاطِنَةُ، وَهُوَ رُوحُ الْكَوْنِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ، كَمَا يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ كَوْنُهُ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانٍ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ. وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَحَجَّلَ عَيْنَ بِصِيرَتِهِ بِإِثْمَدِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ، وَكَانَ لَهُ قَسْطٌ وَنَصِيبٌ مِنْ سِرِّ الْبَقَاءِ بِاللَّهِ.

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالْعَوْتُ فَمِنْ حَيْثُ إِغَاثَتُهُ لِلْعَوَالِمِ بِهَيْمَتِهِ وَمَادَّتِهِ وَرُتْبَتِهِ الْخَاصَّةِ. فَهَذَا يَكُونُ وَاحِدًا فِي الْوُجُودِ، وَلَهُ عِلَامَاتٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا. قَالَ الْقُطْبُ الشَّهِيرُ سَيِّدِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقُطْبُ خَمْسَةٌ عَشَرَ عِلَامَةً: فَمَنْ ادَّعَاهَا أَوْ شَيْئًا مِنْهَا فَلْيَبْرِزْ بِمَدَدِ الرَّحْمَةِ، وَالْعِصْمَةِ، وَالْخَلَافَةِ، وَالنِّيَابَةِ، وَمَدَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَيُكْشَفْ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الذَّاتِ، وَإِحَاطَةِ الصِّفَاتِ، وَيَكْرَمَ بِالْحُكْمِ وَالْفَصْلِ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ، وَانْفِصَالِ الْأَوَّلِ عَنِ الْأَوَّلِ، وَمَا انْفَصَلَ عَنْهُ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَمَا ثَبَتَ فِيهِ، وَحُكْمَ مَا قَبْلَ، وَحُكْمَ مَا بَعْدَ، وَمَا لَا قَبْلَ، وَلَا بَعْدَ، وَعِلْمَ الْبَدَنِ، وَهُوَ الْعَامُّ الْمَحِيطُ بِكُلِّ مَعْلُومٍ، وَمَا يَعُودُ إِلَيْهِ». وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَاهَا فِي كِتَابِنَا حَرَجِ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَفِي تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ الْكَبِيرِ. وَلَا يُشْتَرَطُ فِي الْقُطْبِ مَعْرِفَةُ مَعَانِي هَذِهِ الشُّرُوطِ وَإِنَّمَا يَشْتَرَطُ وَجُودُهَا فِيهِ بِالدُّوْقِ وَالْكَشْفِ، بِحَيْثُ لَوْ بَيَّنَّ لَهُ مَعْنَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوَجَدَهَا فِيهِ ذَوْقًا وَكَشْفًا لِأَنَّ الْقُطْبَ قَدْ يَكُونُ أُمِّيًّا فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ، وَفِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، لَكِنَّهُ مَتَخَلِّقٌ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: وَهُوَ الْأَسْمُ الْمَرْفُوعُ قَدْرُهُ، الْعَظِيمُ شَأْنُهُ، لِكُونِهِ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ يَعْنِي النَّائِبَ عَنِ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ.

وَقَوْلُهُ: الَّذِي لَمْ يَذْكَرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ، أَيُّ بَلْ صَارَ هُوَ عَيْنُ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيِّ لِفَنَائِهِ فِي وَجُودِهِ، وَانْطَوَاهُ فِي شَهُودِهِ، قَدْ انْطَوَى وَجُودُهُ فِي وَجُودِ فَاعِلِهِ، فَانْتَقَلَ مِنَ الْمَفْعُولِيَّةِ إِلَى الْفَاعِلِيَّةِ، بَلْ صَارَ عَيْنَ الْعَيْنِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ فِي بَعْضِ أَرْجَائِهِ:

قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ مَقْبُودًا بِقُيُودِ الْبَيْنِ

مُخْجُونًا بِأَلْوَهْمِ تَحْسِبُ مُفْرَدِي اثْنَيْنِ
قُلَّمًا تَبْدِي جَمَالَكَ زَالَ عَنِّي الضَّيْنِ
شَهِدَتْ عَيْنِي بِعَيْنِي صِرْتُ عَيْنَ الْعَيْنِ

وَكُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ بِصِيرٍ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ مَاضِيًا ضَمُّ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَصَارَ وَقْتًا وَاحِدًا وَهُوَ الْاسْتِغْرَاقُ فِي شُهُودِ مَوَاقِتِ الْأَوْقَاتِ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ عَلَيْكَ بَوْرِدٍ وَاحِدٌ وَهُوَ اسْتِغْرَاقُ الْهَوَى وَمَحَبَّةُ الْمَوْلَى.

وَكَبِيرٌ مَا قَبْلَ آخِرِهِ، أَيْ تَوَاضَعَ فِي آخِرِ نَهَائِيَّتِهِ مَعَ عَظَمَةِ قُدْرِهِ وَكَبَرِ شَأْنِهِ، لِيَعْمَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ كَمَا عَمَّ الْإِنْتِفَاعُ بِمَوْرَثِهِ ﷺ.

وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الْوَاقِعُ مِنْهُ مُضَارِعًا، أَيْ مُشَابِهًا لِأَفْعَالِ أَهْلِ السَّلَوَكِ، بَانَ تَنْزُلُ إِلَى سَمَاءِ الْحَقْرِقِ، أَوْ أَرْضِ الْحُظُوظِ، بِالْإِذْنِ وَالتَّمَكُّينِ، وَالرَّسُوخِ فِي الْيَقِينِ ضَمُّ أَوَّلِهِ لِآخِرِهِ، وَفَتْحُ لَهُ قَبْلَ آخِرِ عُمُرِهِ فِي التَّرْقِيِ أَبَدًا سَرْمَدًا إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ. قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114].

وَمَوْزٍ عَلَى قِسْمَيْنِ: ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ، ظَاهِرٌ لِمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ وَوَجِبَتْ لَهُ الْوِلَايَةُ، وَمُضْمَرٌ، أَيْ خَفِيَ عَنْ سَبَقِ لَهُ الْخِذْلَانِ وَخَفِيَ بِالْخِيَةِ وَالْجِرْمَانِ. فَالْأَوْلِيَاءُ عَرَائِسُ الرَّحْمَنِ، لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، فَلَا يَعْرِفُ الْعَرَائِسَ الْمَجْرُمُونَ. فَلَا يُوصِلُ إِلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوصِلْ إِلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ. وَلِلَّهِ حَزُّ الْقَائِلِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَمَنْ نَفَى الْخُصُوصَ فِي زَمَانِهِ	فَإِنَّكَ مَكْرُورٌ زَيْدٌ فِي خِذْلَانِهِ
يَخْفِيهِمْ فِي خَلْقِهِ	عَنْ خَلْقِهِ وَذَاكَ فَاعْلَمْ مِنْ عَظِيمِ لُطْفِهِ
لَأَنَّهُمْ عَرَائِسُ الرَّحْمَنِ	يَخْجِبُهُمْ عَنْ كُلِّ ذِي خِذْلَانٍ
وَلَمْ يُوصِلْ لَوْلِي سَاعَتِهِ	إِلَّا إِلَهِي أَهْلُهُ لِحَضْرَتِهِ
إِنْ لَمْ تُتْلَقِ عَارِفًا فِي مُدَّتِكَ	لَا عَاشَرَ عُمُرَ عَيْشِهِ كَعَيْشَتِكَ

وَالظَّاهِرُ: هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ خَوَارِقُ وَكَرَامَاتُ، وَالْخَفِيُّ مَنْ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

المبتدأ اسم مفعول حذف متعلقه بكسر اللام أي المبتدأ به لأنه ابتدئ به الكلام، والخبر اسم من باب تسمية الجزء باسم الكل لأنه لا يتم الخبر إلا بانضمامه للمبتدأ. وخص اسم الخبر بالثاني لأنه كمل ما أريد أن يخبر به المتكلم. وعرفه المصنف بقوله:

المبتدأ هو الاسم

أي الصريح كقولك: الله ربنا، ومحمد نبينا قصداً للتعظيم أو إخباراً لمُشرك أو المؤول نحو: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: الآية 184] أي صومكم خير لكم. نزلت الآية في أول الإسلام، حين كان الناس مُخَيَّرُونَ بين الصَّوم والإطعام، ثم نسخ بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: الآية 185]، أي فَمَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ فِي الشَّهْرِ وَلَمْ يَكُنْ مُسَافِراً فَلْيَصُمْ.

المرفوع

تقدم البحث فيه والجواب.

العاري عن العوامل اللفظية

غير الزائدة. زاد في المحاذي: مخبر عنه أو وصف رافع لمُكْتَفَى بِهِ. فخرَجَ بقوله: العاري عن العوامل، اسم كان وإنَّ وظنَّ وما الحجازية. وقلنا: غير الزائدة. وأما الزائدة فتدخل عليه، نحو: بحسبك درهم، فحسبك مبتدأ، ودرهم خبر، والعامل الزائد لا عبثة به. وقيل: بحسبك خبر مقدم، ودرهم مبتدأ مؤخر. واختاره الكافيجي⁽¹⁾؛ قال: لأنه محط الفائدة لأنَّ القصد الإخبار عن الدرهم بأنه كافيه. ودخل في العامل الزائد: رُبَّ رجل صالح لقيته، فَرَجُلٌ مبتدأ، وَلَا أثر لِرُبِّ، لأنها

(1) محمد بن سليمان الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي: من كبار العلماء بالمعقولات. رومي الأصل. ازداد سنة 788 وتوفي سنة 879. اشتهر بمصر، ولازمه البيهقي 14 سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. من مصنفاته: مختصر في علم التاريخ، نزهة المعرب في النحو، التيسير في قواعد التفسير، حل الإشكال في الهندسة، الرمز في علم الأستلاب.

في حكم الزائد، إذ لا تتعلق بشيء.

وفي قوله: العاري عن العواميل الخ. إشارة إلى أن عامل المبتدأ معنوي وهو الابتداء، وهو الصحيح. والابتداء هو التجرد عن العواميل، أي كَوْن المبتدأ مُعْرَى عنها. وقوله مخبراً عنه، نحو: زيد عالم، أو وصف رافع لمكتفى به، نحو: أقائم الزيدان، أمضروب العمران، وقول الشاعر:

خَلِيلِي مَا وَاقٍ بِعَهْدِي أَنْشَأَ إِذَا لَمْ تَكُنَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ

فقائم مبتدأ والزيدان فاعل أغنى عن الخبر، وكذلك ما وافي مبتدأ، وانتما فاعل أغنى عن الخبر، وَلَا بُدَّ أَنْ يعتمد هذا الوصف على نفي أو استفهام، فإن لَمْ يَغْمَدَ تَعَيَّنَ أَنْ يكون الوصف خبراً مقدِّماً، والاسم مبتدأ مؤخراً وَلَا بُدَّ أَيْضاً أَنْ يكون الوصف مفرداً والمكتفى به تثنية أو جمعاً، فإن كَانَا مُفْرَدَيْنِ مَعَا جَاَزَ الوجهان، نحو: «قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي» [مريم: الآية 46]، فيجوز في رَأَيْتَ أَنْ يكون مبتدأ، وأنت فاعل أغنى عن الخبر. وَأَنْ يكون خبراً مقدِّماً، وأنت مبتدأ مؤخراً، وإن اشْتُبِهَا في التثنية والجمع تَعَيَّنَ أَنْ يكون الوصف خبراً وما بعده مبتدأ، نحو: أقائم الزيدان، أو أقائمون الزيدون، فتحصل أن المبتدأ قسمان، مسند إليه، وهو الذي له خبرٌ ومسند؛ وهو الرفع لما أغنى عن الخبر.

ثم عرِّفَ الخبر بقوله: والخبر هو الاسم أي أو الجملة على ما يأتي.

المرفوع تقدم ما فيه.

المُسند إليه

أي إلى المبتدأ فالخبر مُسند، والمبتدأ مسند إليه، ولو قال: والخبر هو الجزء الذي حصلت به الفائدة لكان أحسن وأبين. والرفع للخبر هو المبتدأ عند الجمهور. قال في اللفظة:

وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِإِلَابَتِهَا كَذَلِكَ رَفَعَ خَبَرٌ بِالمُبْتَدَأِ

قال ابن مالك: «وهذا هو الصحيح لسلامته، لما يرد عليه من موانع الصحة». وبحث فيه بأنه يلزم عليه رفع معمولين بعامل واحد من غير تبعية، في نحو: أقائم أبوه منطلق وبأن معمول الاسم الجامد لَا يتقدم عليه وبأن المبتدأ يكون ضميراً والضمير لَا يَمْعَلُ. وأجيب عن الأول بأن جهة طلبه للفاعل غير جهة طلبه للخبر وإذا اختلفت الجهة زال المنع، وعن الأخيرين بأن عمل المبتدأ بالأصالة لَا بِالتَّبَعِ بالفعل وما ذكره إنما يؤثر فيما يعمل بالشبه، انظر السوداني.

نحو قولك: زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون والزبود قيام، ويؤيد

قائمة، والهندان قائمتان، والهندات قائمات، فَلَا بُدَّ مِنْ مُطَابَقَةِ الْخَبَرِ لِلْمُبْتَدَأِ فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، وَتَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ: الْمُعْرَبَاتُ قَسَمَانِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَيُّ أَشْهُرُ مَعْلُومَتٌ﴾ [البقرة: الآية 197] فالأصل فيه الحجج في أشهر وسيأتي الكلام عليه في الإخبار بالظرف. وقد يتحد المبتدأ والخبر في اللفظ إذا قصد التعظيم والمبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِثُونَ الشَّيْثُونَ﴾ [الواقعة: الآية 10]، وقول الشاعر:

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمّر، فالظاهر ما تقدّم ذكره، والمضمّر أي المنفصل اثنا عشر خمسة للغائب، وسبعة للحاضر، اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب: وهي:

■ أَنَا

للمتكلم وحده، مذكّرًا كان أو مؤنثًا. ومذهب البصريين أَنَّ الضمير الهمزة والنون، دون الألف، فته زائد وحرك فرقًا بينه وبين أن المصدرية. ومذهب الكوفيين واختاره ابن مالك أَنَّ المجموع هو الضمير.

■ وَنَحْنُ

للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره، حرك لالتقاء الساكنين وكانت ضمة لأنه لما تضمّن معنى الجمع أعطي أقوى الحركات، قاله الميزد، بفتح الراء المشددة، وأصله المبرّد بكسرهما لأنه كان يبرّد العلوم، ففتحوا راءه حسدًا.

■ وَأَنْتَ

بفتح التاء للمخاطب المذكر.

■ وَأَنْتِ

بكسرهما للمؤنثة المخاطبة.

■ وَأَنْتُمَا

للتثنية مطلقًا.

■ وَأَنْتُمْ

للمخاطبين المذكرين.

■ وَأَنْتَنْ

لَجَمْعِ النِّسوة، والأصح في الجميع أَنَّ الضمير الهمزة والنون فقط، والتاء حَرَف خطاب. وقال الفَرَّاء: الضمير المجموع. وقال ابن كيسان⁽¹⁾ الضمير التاء فقط.

■ وَهُوَ

لِلغَائِبِ المذَكَّر. والأصح أَنَّ الضمير المجموع، وقالت الكوفية: الهاء فقط، والواو إشباع، ويصح تشديده وهي لغة همدان كما في التسهيل.

■ وَهِيَ

لِلغَائِبَةِ والخلاف فيها كالخلاف في هو وقد تشدد الياء كهو.

■ وَهَمَّا

لِلغَائِبَيْنِ مطلقاً.

■ وَهُمْ

لِلغَائِبَيْنِ المذَكَّرَيْنِ.

■ وَهُنَّ

لِلغَائِبَاتِ المؤنثات والضمير فيها عند البصريين الهاء؛ وعند الفارسي⁽²⁾ المجموع.

نحو قولك: أنا قائمٌ، ونحن قائمونٌ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

نحو: أنت قائم، وأنت قائمة، وأنتم قائمان وقائمتان، وأنتم قائمون، وأنتن قائمات، وهو قائم، وهي قائمة، وهما قائمان وقائمتان، وهم قائمون، وهُنَّ قائمات.

(1) محمد بن أحمد، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية نحواً ولغةً، من أهل بغداد. أخذ عن المبرد وشعلب. توفي في 299. من كتبه: امهذب في النحو، وتلقيب القوافي وتلقيب حركاتها، وغلط أدب الكاتب، وغريب الحديث، ومعاني القرآن، والمختار في علل النحو.

(2) الحسن بن أحمد الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا من أرض فارس سنة 288 ودخل بغداد سنة 307 وتجوّل في كثير من البلدان. توفي ببغداد سنة 377. من مصنفاته: الإيضاح في قواعد العربية، التذكرة في علوم العربية في عشرين مجلد، تعليق سيبويه، جواهر النحو. وسئل في حلب وشيراز وبغداد والبصرة أسئلة كثيرة فصنف في أسئلة كل بلد كتاباً.

وَالْخَبَرُ مِنْ حَيْثُ هُوَ قِسْمَانِ: مُفْرَدٌ وَغَيْرُ مُفْرَدٍ

وَالْمُرَادُ بِالْمُفْرَدِ هُنَا: مَا لَيْسَ بِجُمْلَةٍ، وَلَا شَيْئًا بِالْجُمْلَةِ، فَيَدْخُلُ فِي الْمُفْرَدِ هُنَا التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ بِأَنَوَاعِهِ؛ وَهُوَ قِسْمَانِ: جَامِدٌ فَلَا يَتَحَمَّلُ ضَمِيرًا نَحْوُ: زَيْدٌ أَبُوكَ، وَمُسْتَقٌّ وَهُوَ الَّذِي يَتَحَمَّلُ الضَّمِيرَ نَحْوُ: زَيْدٌ عَالِمٌ، وَقَدْ يُرْفَعُ ظَاهِرًا مَتَلَبِّسًا بِضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ نَحْوُ: زَيْدٌ عَالِمٌ أَبُوءُ.

فَالْمُفْرَدُ نَحْوُ: زَيْدٌ قَائِمٌ

فَقَائِمٌ خَبَرٌ مُسْتَقٌّ، يَتَحَمَّلُ ضَمِيرَ الْمُبْتَدَأِ، وَهَلْ لِفَرُودَةِ الْإِشْتِقَاقِ أَوْ لِلرِّبْطِ قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ: لِلْمُحَقِّقِينَ وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ نَفْسُ الْمُبْتَدَأِ فِي الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا الرِّبْطُ بَيْنَ الْمُتَغَايِرَيْنِ. وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِمَّا فَاتَتْ التَّسْهِيلَ، وَجَمَعَ الْجَوَامِعَ، قَالَهُ السُّودَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ قُلْتَ: زَيْدٌ قَائِمٌ هُوَ، فَعَنْ سَبِيحَتِهِ فِيهِ وَجْهَانِ، كَوْنُهُ فَاعِلًا بِقَائِمٍ أَوْ تَوَكِيدًا لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي قَائِمٍ. نَقَلَهُ ابْنُ عُقَيْلٍ فِي شَرْحِ الْأَلْفِيَةِ.

وغيرُ المفرد أربعة أشياء: المجرور والظرف

التَّائِيَانِ وَهُمَا اللَّذَانِ يُفْهَمُ مَعْنَاهُمَا بِمَجْرُودٍ ذِكْرُهُمَا، فَلَا يَجُوزُ زَيْدٌ فِيكَ، وَلَا زَيْدٌ أَمْسٍ. وَيَتَعَلَّقَانِ بِالِاسْتِقْرَارِ الْمَحْذُوفِ أَوْ الْكَوْنِ وَهُوَ الْخَبَرُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَوْنًا مَطْلَقًا، فَلَا يَجُوزُ فِي نَحْوِ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَنْ يَقْدَرُ ضَاحِكٌ أَوْ نَائِمٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَقْدَرُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَطْلَقِ الثَّبَاتِ وَالْحَصُولِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا؛ وَهَلِ الرَّاجِحُ الْإِسْمُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْخَبَرِ الْإِفْرَادَ وَلِتَعَيِّنَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، نَحْوُ: أَمَّا عِنْدَكَ فَزَيْدٌ، إِذْ لَا يَفْصَلُ بَيْنَ أَمَّا وَالْقَاءِ بِجُمْلَةٍ تَامَّةٍ، وَخَرَجْتَ فَإِذَا عِنْدَكَ زَيْدٌ، لِأَنَّ إِذَا الْفُجَائِيَّةَ لَا تَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ، وَرَجَّحَ ابْنُ الْحَاجِبِ⁽¹⁾ تَبَعًا لِلزُّمَخْشَرِيِّ وَالْفَارِسِيِّ الْفِعْلَ لِأَنَّهُ أَضَلُّ فِي الْعَمَلِ وَلِتَعَيِّنَهُ فِي الصَّلَةِ.

وَالْفِعْلُ مَعَ فَاعِلِهِ وَالْمُبْتَدَأُ مَعَ خَبَرِهِ

وَيُسَمَّى الْفِعْلُ مَعَ فَاعِلِهِ، جُمْلَةً فَعْلِيَّةً، وَالْمُبْتَدَأُ مَعَ خَبَرِهِ، جُمْلَةً إِسْمِيَّةً، ثُمَّ إِنْ بُيِّنَتْ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ فَصَغِيرَى، وَإِنْ كَانَ خَبَرُهَا جُمْلَةً فَكُبْرَى، وَالْكُبْرَى إِذَا تَكَانَ

(1) عثمان بن عمر، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا من صعيد مصر سنة 570، ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية سنة 646. وكان أبوه حاجباً فعرف به. من تصانيفه: الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الفقه في فقه المالكية ويسمى جامع الأمهات، والإيضاح في شرح المفصل للزُّمَخْشَرِيِّ، ومنتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل.

صَدْرَهَا اسْمًا، وَعَجَزَهَا فَعْلًا، تَسْمَى ذَاتَ وَجْهَيْنِ، نَحْوُ: زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ. ثُمَّ مِثْلُ لِلْجَارِ وَالظَرْفِ فَقَالَ:

نَحْوُ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ

هَذَا مِثَالٌ لِلْمَجْرُورِ، أَيْ حَاصِلٌ أَوْ كَائِنٌ فِي الدَّارِ، أَوْ حَاصِلٌ أَوْ كَانَ فِي الدَّارِ.
وَزَيْدٌ عَنْكَ

وهذا مثال للظرف، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، نَحْوُ: السَّفَرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَزَيْدٌ أَمَامَكَ، وَلَا يَكُونُ اسْمُ زَمَانٍ خَبْرًا عَنِ اسْمِ عَيْنٍ، فَلَا تَقُولُ: زَيْدٌ أَمْسَ، وَلَا زَيْدٌ الْيَوْمَ لِعَدَمِ الْفَائِدَةِ. وَيَكُونُ اسْمُ الزَّمَانِ خَبْرًا عَنِ الْمَعْنَى، نَحْوُ: الصِّيَامُ غَدًا، أَوْ السَّفَرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ إِنَّ وَقْعَ فِي جَمِيعِهِ أَوْ أَكْثَرُهُ وَكَانَ نَكْرَةً رُفِعَ غَالِبًا، نَحْوُ: السَّفَرُ يَوْمَ، أَوْ السَّفَرُ شَهْرًا، إِذَا كَانَ السَّفَرُ فِي أَكْثَرِهِ لِأَنَّهُ لَا اسْتِفْرَاقَ إِتْيَاءَ صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: الآية 197] لَوْ قُوعَ الْحَجِّ فِي أَكْثَرِهَا. وَلَا يَمْتَنِعُ نَضْبُهُ وَلَا جَرُّهُ خِلَافًا لِلْكُوفِيِّينَ. وَإِنْ كَانَ الزَّمَانُ مَعْرُوفًا، نَحْوُ الصِّيَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الرِّفْعُ غَالِبًا، كَمَا فِي الْأَوَّلِ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ. فَإِنْ وَقَعَ الْفَعْلُ، لَا فِي أَكْثَرِ الزَّمَانِ، سِوَاهُ كَانَ الزَّمَانُ مُعْرَفًا أَوْ مُنْكَرًا، فَلَا غَلَبَ نَضْبِهِ أَوْ جَرُّهُ فِي اتِّفَاقًا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ. نَحْوُ: الْخُرُوجُ يَوْمًا أَوْ فِي يَوْمٍ، وَالسَّفَرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَجُوزُ رَفْعُهُ. قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: وَرَبَّمَا رَفَعَ خَبَرَ الزَّمَانِ الْمَوْقِعَ فِي بَعْضِهِ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْمَكَانِ الْمُتَصَرِّفِ، بَعْدَ اسْمِ عَيْنٍ، رَاجِحًا إِنْ كَانَ الْمَكَانِي نَكْرَةً، وَمَرَّجُوْحًا إِنْ كَانَ مَعْرُوفًا، انْظُرْ بَقِيَّتَهُ فِيهِ.

ثُمَّ مِثْلٌ لِلْجُمْلَةِ فَقَالَ:

وَزَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ

وهو مثال للفعل مع قاعله.

وَزَيْدٌ جَارِيَتُهُ ذَاهِبَةٌ

وهو مثال للمبتدأ مع خبره، فجُمْلَةٌ قَامَ أَبُوهُ خَبَرٌ. وَهِيَ جُمْلَةٌ صَغْرَى وَبِانْتِصَامِهَا إِلَى الْمُبْتَدَأِ تَكُونُ كِبْرَى ذَاتَ وَجْهَيْنِ، وَجَارِيَتُهُ ذَاهِبَةٌ، خَبَرٌ عَنْ زَيْدٍ جُمْلَةٌ صَغْرَى، وَمَعَ الْمُبْتَدَأِ جُمْلَةٌ كِبْرَى ذَاتَ وَجْهٍ وَاحِدٍ. وَلَا بُدَّ لِلْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبْرًا مِنْ رَابِطٍ يَرْبِطُهَا مَعَ الْمُبْتَدَأِ، كَانَتْ اسْمِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً، يَكُونُ ضَمِيرًا وَهُوَ الْأَصْلُ، كَالِهَاءِ فِي زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ وَيُغْنِي عَنْهُ اسْمُ الْإِشَارَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَأْسَ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: الآية 26]، فَيَمْنُ رَفَعَ، أَوْ تَكْرِيرِ الْمُبْتَدَأِ بِلَفْظِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ ① مَا الْقَارِعَةُ ② [القارعة: الآيتان 1، 2] أَوْ مَقْتَنَاهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ جَاءَنِي أَبُو عَبْدِ

اللَّهِ إِذَا كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كُنْيَةً لَهُ. قَالَه الْأَخْفَشُ مُسْتَدِلًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُسِيْعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: الآية 170] أو
عموم يدخل تحته المبتدأ، نحو: زيد نغم الرجل، وهذا ما لَمْ تَكُنْ الجملة هي نفس
المبتدأ في المعنى، وإلا فلا تحتاج إلى رابط، نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1]. وقول القائل مجبراً أبي بكر لا إله إلا الله أي دَيْدَنُهُ وَشَغْلُهُ
هُوَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ.

■ تَنْبِيْهُ:

يتعدّد المبتدئات إلى عشرة فأكثر، ويخبر عنها بخبر واحد، نحو: زيد، أبوه،
أخوه، خاله، ابنته، صهرها، جاره، جاريتها، سيدها، صديقه قائم، فقائم خبر
صمّا قبله وهو مع خبره خبر عما قبله، وهكذا إلى الأول، ولا بدّ في كل جملة من
رابط كالمثال المذكور. فإن قلت: أي فائدة في تعدّد المبتدأ في قولك زيد أبوه منطلق
وهلّا قلت أبو زيد منطلق فيكون أخصّ، فالجواب: إنّ ذكر الشيء مرّتين أوكد من
ذكره مرةً وأيضاً: قد يقع الإلباس في قولك: أبو زيد منطلق. فلا يذري هل أبوة
النسب أو الكنية، وأيضاً في جعل زيد وشبهه مبتدأ، عناية واهتمام بشأنيه بخلاف ما
إذا كان حشواً مضافاً. وبهذه المسألة استدلت الصوفية، على أنّ الفقير الصابر، أعظم
من الغني الشاكر، وذلك أنّ سيّدنا سليمان عليه السلام ذكر مضافاً لأبيه ومنحرفاً في
سبيلك ممثلاً به عليه ولم يذكر مستقلاً بنفسه، وكان من الأغنياء الشاكرين، بخلاف
سيّدنا أيوب عليه السلام فإنه ذكر له ترجمة مستقلة فقال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ﴾ [ص: الآية 41] فأمثله. ذكر ذلك صاحب القوت.

■ فائدة:

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة والأصل في الخبر أن يكون نكرة، فإن قلت:
ما الفرق بين المبتدأ و الفاعل حتى جوّزوا تنكير الفاعل من غير مسوغ دون المبتدأ
فأجازوا جاء رجل ولم يُجيزوا رجل جاء، وكلامهما مُسْنَدٌ إليهما في المعنى؟
فالجواب: إنّ العرب من شأنها أن تتأق في أول الكلام ليقع الإصغاء إليه، فإذا كان
أول الكلام مجهولاً لم تلتفت إليه، ولم تشوّف إلى تمامه، والنكرة مجهولة، بخلاف
الفعل، فإنه يدلّ على وقوع شيء، فتشوّف إلى فاعله، فيقع الإصغاء إلى ذلك
الكلام، والله تعالى أعلم.

وقد تكلم الناس في مصوغات الابتداء بالنكرة، فمنهم المقلّ ومنهم المكثير ولم
يشترط سبويه إلا حصول الفائدة، وجد مسوغ أم لا، وقال في التسهيل: «والأصل

تعريف المبتدأ و تنكير الخبر، وقد يُعْرَفَان و يُنْكَرَان، بشرط الفائدة، وحصولها غالباً عند تنكير المبتدأ بأن يكون وصفاً أو موصوفاً بظاهر أو مُقَدَّرًا و عاملاً أو معطوفاً عليه أو مقصوداً به العموم أو الإبهام، أو ما في الاستفهام، أو نفي أو لولا، أو واو الحال، أو فاء الجزاء، أو ظرف مختص، أو لاحق به، أو ما يكون دعاءً و جواباً، أو واجب التصدير، أو مُقَدَّرًا إيجابه بعد نفي.

ومن المُسَوِّغَات أَنْ يَدُلَّ المبتدأ على خرق العادة، كقولك: ذنب تكلم، أو بقرة تكلمت.

■ تميم:

يجوز حذف ما علم من مبتدأ أو خبر أو هما معاً. فيمن حذف المبتدأ قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ مِثْلًا فَلْيَقِمْهُ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فُضِّلَتْ: الآية 46] أي فعمله لنفسه، وَمَنْ أَسَاءَ فإساءته عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يُوسُف: الآية 18] أي قامري صبرٌ جميل، ويجوز أن يكون من حذف الخبر أي فصبر جميل أمثل.

ومن حذف الخبر: خرجت فلذا زيد، أي حاضر. وقد يجب حذفه إذا وقع بعد لولا الامتناعية إذا عُلِقَ الامتناع على نفس المبتدأ، نحو: لولا زيدٌ لاكرمتك، أي موجود.

وَمَنْ حذفهما معاً إذا دَلَّ عليهما دليل، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُضْ﴾ [الطلاق: الآية 4] أي فعذتهن ثلاثة أشهر، وَمَنْ حذفهما مفترقين قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: الآية 25]، أي عليكم سلام، أنتم قوم منكرون.

■ فرع:

قال في التسهيل: وقد يكون للمبتدأ خبران فصاعداً يعطف وبغير عطف وليس من ذلك ما تعدد لفظاً دون معنى ولا ما تعدد بتعدد صاحبه حقيقة أو حكماً، والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

المبتدأ به والمنتهى إليه هو الحق جلّ جلاله. قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَأَى إِلَى رَبِّكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [النجم: الآية 42]. والمبتدأ: إشارة إلى الذات العلوية الأزلية في حال الكثرية قبل التجلي. والخبر إشارة إلى حال الذات بعد التجلي لأن ما وقع به التجلي من الفروع الكونية أسماء لمسميات متعددة لفظاً متحدة معنى وهي مُسَنَدَةٌ إلى ما وقع به الابتداء

وهو الذات العلية الأزلية لأنها فرع عنها و تجل من تجلياتها، قال صاحب العينية^(١) :
تجلّى حبيبي في مرآتي جماليه فقي كل مرأى للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متوَعّا تسمى بأسماء فهي مَطالِعُ

وفي الحديث القدسي: «كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أَعْرِفْ فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَعْرِفَ، فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ فِي عَرَفُونِي». أي فأظهرت من سِرِّي الكتزي خلقًا وجعلت فيهم عقلاً، فتعرّفت لهم، فعرفوني بي لا بغيري، إذ لا شيء معي. فالمبتدأ هو الاسم المرفوع القدر، العظيم الشأن، العاري عن العوامل، أي المنزّه عن التأثير والانفعال، الذي هو الواجب الوجود، السابق غير مشبوق، والعامل غير معمول، هو المؤثر في الأشياء كلها بقدرته وإرادته وقهرته وإحاطته، تعالى جدّه، وتعاظّم شأنه أن يلحقه نقص أو يحتاج إلى شيء، بل هو الغني عما سواه و الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلَّ مَا عَدَاهُ ﴿يَتَأَبَّأُ النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: الآية 15].

والخير هو الاسم المتحد بالذات وإن تعدّدت أسماؤه، وهو ما وقع به التجلي من الفروع الكونية والتجليات الجمالية والجلالية، المرفوع، أي المرفوعة القدر، من حيث إنها سر من أسرار الذات، ونور من نورها، وإن وقع في الظاهر نقص في بعض أنواعها فمن جهة الباطن عين الكمال، وفي ذلك يقول الجيلي رضي الله عنه:

وَكُلُّ قَبِيحٍ إِنْ نَسَبْتَ لِحُسْنِهِ أَنتُكَ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ
بِكَمَلِ نَقْصَانِ الْقَبِيحِ جَمَالُهُ فَمَا تَمَّ نَقْصَانٌ وَلَا تَمَّ بَاشِعُ

المستند إليه فعلاً وإيجاداً واختراعاً وتجلياً.

والمبتدأ قسمان، ظاهر عند العارفين، بظهور تجلياته، فلا يروُن معه غيره، كما قال شاعرهم:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا تَمَّ مَوْضُولٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ

(١) عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من أكابر المشايخ الصوفية. ولد سنة 767 بقرية أبيات حسين باليمن. قضى الجيلي حياته في السفر واللباحة، فزار الهند وبلاد فارس والعراق، ونزل مصر وفلسطين والحجاز وأرض اليمن. وكانت وفاته بزييد ببلاد اليمن سنة 826. خلال سياحاته حصل الكثير من العلوم فأحاط بالثقافة اليونانية وعرف أسرار اللغات الهندية والفارسية والعربية. له مصنفات كثيرة، منها: الإنسان الكامل في معرفة الآخر والأوائل، الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، المناظر الإلهية، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، الناموس الأعظم والقاموس الأقدم، مراتب الوجود، شرح مشكلات الفتوحات الحكيمة، غنية أرباب السماع، القصيدة العينية المشهورة المذكورة هنا المسماة النادرات العينية التي تتألف من 534 بيتاً.

بَلَدًا جَاءَ بُرْهَانُ الْعَيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي إِلَّا عَيْنُهُ إِذْ أَعَايَنُ

ومضمّر أي خفي عند الغافلين، يستدلّون بالأشياء عليه، وفي الحكم: «شأن بين من يستدلّ به أو يستدلّ عليه، المستدلّ به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه».

والخير الذي ظهر للعيان من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قسمان أيضًا: مفرد وهو ما له حات له مادة محصورة، كالملائكة والجنّ، وغير مفرد وهو ما له مادة محصورة، وهو المرثب من جسم ولحم ودم، أو من جواهر راحتيّة، والكلّ منه وإليه، وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

بَابُ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

وتسمى النواسخ لأنها نسخت حكم الابتداء العامل في الخبر، وصار العمل لها، وهي شيخان: أفعال وحروف، فالأفعال كان وأخواتها، وظننت وأخواتها، والحروف إن وأخواتها، ولا ولات وأن المشتبهات بليس.

وهي ثلاث أشياء:

ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر

وهي: كان وأخواتها

وما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر

وهي: إن وأخواتها

وما ينصب الجزئين

وهي: ظننت وأخواتها.

ثم بيّن عملها فقال: فأما كَانَ وأخواتها، فإنها تَرْفَعُ الاسمَ رفعًا جديدًا عند البصريين. وقال الكوفيون: هو مرفوع بما كان مرفوعًا به قبل دخولها ورد باتصال الضمير به في كتته، ولا يتصل إلا بالأفعال.

وتنصب الخبر اتفاقًا، لكن انتصب عند البصريين على أنه خبر لها، وعند الكوفيين على أنه حال، وقد يسمى اسمها فاعلاً مجازًا، وخبرها مفعولاً مجازًا. وهي:

■ كان

نحو: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ذِي الْفَضْلِ﴾ [النساء: الآية 96] وهي لا تُصَافُ الْمَخْبَرُ عنه بالخبر في الماضي، إما مع اللوام كالمثال وإما مع الانقطاع نحو: كان الشيخ شابًا، وهي أم الباب لأن كل شيء داخل تحت الكون، لا ينفك شيء عن معناها، ومن ثم صرفوها تصرفًا تامًا على ما يأتي إن شاء الله، وحذفوا نونها، نحو: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾ [مریم: الآية 9].

■ وأمسى

وهي لاتُصاف المخبر عنه بالخبر في المساء، نحو: أمسى زيد عالمًا.

■ وأصبح

وهي لاتُصاف المخبر عنه بالخبر في الصباح، نحو: أصبح البرد شديدًا.

■ وأضحى

وهي لاتُصاف المخبر عنه بالخبر في الضحى، نحو: أضحى زيد ورعًا.

■ وظل

وهي لاتُصاف المخبر عنه بالخبر في النهار، كقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا﴾ [التحل: الآية 58].

■ ويات

وهي لاتُصاف المخبر عنه بالخبر في الليل، كقوله تعالى: ﴿يَبْسُوتُ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: الآية 64].

■ وصار

وهي للتحويل والانتقال، نحو: صار الطين إبريقًا.

■ وليس

وهي لنفي الحال عند الإطلاق، والتجرد عن القرائن، كقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: الآية 113].

■ وَمَا زَالَ، وَمَا انْفَكَ، وَمَا فَتَى، وَمَا بَرَحَ

وهذه الأفعال تفيد مُلازمة المُخْبَر عنه بِالخَبَر على حَسَب ما يقتضيه الحال، نحو: مَا زَالَ الْجُودُ مُحِبًّا، وَمَا انْفَكَ عَنْهُ جَالِسًا، وَمَا فَتَى الْعِلْمُ نَافِعًا، وَمَا بَرَحَ الْجَهْلُ مُضِرًّا.

■ وَمَا دَامَ

وهي للاستمرار، نحو: لَا رَاحَةَ لِلْعَبْدِ مَا دَامَ مُسْجُونًا بِمَحِيطَاتِهِ، مُحْصُورًا فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ.

وهذه الأفعال المذكورة، منها ما تَعْمَلُ بِلاَ شَرْطٍ وهي ثمانية: كان وليس وما بينهما. ومنها ما تعمل بشرط تقدم نفي أو شبهه وهي زال وفتى وانفك وبرح، والمُرَاد بِشِبْهِ النَّفْيِ: التَّنْهِي والدَّعَاءُ بِلاَ خَاصَّةٍ، مِثَالُهَا بَعْدَ النَّفْيِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: الآية 118]، ﴿لَنْ نَرْجِعَ عَلَيْكَ عَذَابَيْنِ﴾ [طه: الآية 91]، ومنه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَرُونَ تَذَكَّرْ يُوسُفُ﴾ [يوسف: الآية 85] أي لَا تَفْتَرُ. وقول الشاعر:

غَيْرَ مِنْفِكَ أَسِيرٌ هَوَى كَلَّ مَنْ لَهَى وَلَيْسَ يَفْتَرُ
وقال آخر:

لَيْسَ بِنَفِكَ ذَا غِنَى وَاعْتِزَّازٍ كَلَّ ذِي عِفَّةٍ بِقُلْ قَنُوعٍ
وقال آخر:

فَلَمَّا بَرِحَ اللَّيْلِبِ إِلَى مَا يورث المجد ذاعياً ومُجِيباً
ومِثَالُهَا بَعْدَ التَّنْهِي قول الآخر:
صَاحَ شَمِيرٌ وَلَا تَزُلْ ذَاكِرَ الْمَوْتِ فَنِشْيَانُهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ
ومِثَالُهَا بَعْدَ الدَّعَاءِ:

أَلَا يَا مُلْجِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبِلَا وَلَا زَالٍ مَسْهَلًا بِجَرِّ عَانِكَ الْقَطْرِ
ومنها ما يَعْمَلُ بِشَرْطِ تَقَدُّمِ مَا الْمَصْدَرِيَّةُ الظَّرْفِيَّةُ، وهي دَامَ، نحو: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مریم: الآية 31]، أي أَرْضَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَدَّةَ دَوَامِي حَيًّا، فَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهَا مَا، أَوْ كَانَتْ غَيْرَ ظَرْفِيَّةٍ، كَانَتْ تَامَّةً، نحو: دَامَ زَيْدٌ صَحِيحًا، أَوْ يَعْجِبُنِي مَا دَامَ زَيْدٌ صَحِيحًا، أي يَعْجِبُنِي دَوَامُهُ صَحِيحًا، فَمَا مَصْدَرِيَّةٌ، لَكِنَّا غَيْرَ ظَرْفِيَّةٍ، فَصَحِيحًا حَالٌ فِي الْمَثَالِينِ. وقوله:

وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا

يَعْنِي يَعْمَلُ عَمَلَهَا كَالْمَصْدَرِ. واسم الفاعل، واسم المفعول، ثم هي باعتبار التصرّف وعدمه على ثلاثة أقسام، منها ما يتصرّف تصرّفًا تامًّا؛ وهي سبعة، كَانَ وَصَارَ، وَمَا بَيْنَهُمَا. ومنها ما يتصرّف تصرّفًا ناقصًا، وهي زال وأخواتها، فَقَدْ سَمِعَ لَهَا الْمَضَارِعَ، واسم الفاعل، ومنها مَا لَا يَتَصَرَّفُ؛ وهو ليس باتفاق، ودام عند الجمهور. ثم مثل بقوله:

نحو: كَانَ وَيَكُونُ وَكُنْ

قال تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَيِّنًا﴾ [مریم: الآية 20]، ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً﴾ [الإسراء: الآية 50]. وقال الشاعر:

وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَانًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تَلْفِهِ لَكَ مَنْجَدًا

وقال آخر:

يَبْدُلُ وَجَلَّمَ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكَوْنَهُ إِثَاءَ عَلَيْكَ يَسِيرُ
وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَانَتْ لَكُمْ أَجْرًا وَكَانَتْ
لَكُمْ وَزْرًا». وقس على هذا.

تقول: كَانَ زَيْدًا قَائِمًا وليس عمرو شاخصًا أي مسافرًا، وما أشبه ذلك وقد
تستعمل هذه الأفعال تامة، تستغني بالفاعل عن الخبر، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ
عُذْرًا﴾ [البقرة: الآية 280] أي حضر، ﴿فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرؤم: الآية 17] أي تدخلون في الصباح والمساء، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: الآية 107]، أي وجدنا، إِلَّا لَيْسَ وَزَالَ وَفَتَى، فلا تستعمل إلا ناقصة، ثم
شرح في أن وأخواتها فقال: وَأَمَّا إِنَّ وَأَخَوَاتُهَا فَإِنَّهَا تَنْصِبُ الْأَسْمَ وترفع الخبر أي رفعًا
مجددًا وهو مذهب البصريين، وقال الكوفيون: هُوَ بَاقٍ عَلَى رَفْعِهِ السَّابِقِ قَبْلَ دُخُولِهَا،
وإنما عملت هذه الحروف بالحمل على الأفعال لأن أصل الجمل إنما هو للأفعال دون
الأسماء والحروف. فإن وجد عمل للحروف أو الأسماء فليشبهها بالأفعال في اللفظ أو
في المعنى، وهذه الحروف لما أشبهت الماضي في البناء على الفتح، وكونها على ثلاثة
أحرف، ودخول نون الوقاية عليها، وتضمنها معنى الأفعال، فمعنى إِنَّ وَأَنَّ حَقَّقْتُ،
وَكَأَنَّ شَبَّهْتُ، ولكن استدركت، وليت تمنيت، ولعل ترجيت عملت بالحمل عليها،
وهذا في عمل النصب والرفع. وأما الحروف التي تجر فعلها أصلي من غير شبه، كما
قاله ابن جني وغيره. ثم عدها فقال: وهي:

■ إِنَّ

يكسر الهمزة وشد الثون.

■ وَأَنَّ

بفتح الهمزة والشد، والمكسورة هي الأصل والمفتوحة قرعها لأن الجملة مع
المكسورة مستقلة بنفسها، غير مؤولة بالمفرد، والمستقل أصل المؤول وقيل:
المفتوحة أصل، وقيل: كلاهما أصل.

■ وَكَأَنَّ وَلَكِنَّ

بشد الثون.

وليت ولعل. تقول: إِنَّ زَيْدًا قَائِمًا، وليت عمرو شاخص [وما أشبه ذلك]:

وَكَأَنَّ زَيْدًا أَسَدًا. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ [الحجرات: الآية 7]،

﴿يَكَلِّتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: الآية 73]، و﴿لَمَلَكَكُمْ فُلُجُوتٌ﴾ [البقرة: الآية 189]. وعَمَلُ هذه الحروف مَقِيدٌ بِمَا إِذَا لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا مَا الزَّائِدَةُ، فَإِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَطُلَ عَمَلُهَا، لِزَوَالِ اخْتِصَاصِهَا بِالْأَسْمَاءِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: الآية 171]، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: الآية 6]، إِلَّا لَيْتَ فَيَجُوزُ فِيهَا الرَّجْهَانِ، الْعَمَلُ وَعَدَمُهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصَفَهُ فَقَدْ

رُويَ بِنَصْبِ الْحَمَامِ وَرَفْعِهِ، وَقِيلَ: يَجُوزُ الْإِعْمَالُ فِي جَمِيعِهَا بِقَلَّةٍ. فَمَا الزَّائِدَةُ قَدْ تُبْطَلُ الْعَمَلُ كَمَا هُنَا، وَقَدْ تُوجِبُهُ كَمَا تَقْدِّمُ فِي حَيْثُمَا، وَإِذَا مَا، وَالْغَزَّ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:

أَلَا أَيُّهَا النَّحْوِيُّ إِنْ كُنْتُ بَارِعًا وَأَنْتِ لِأَقْوَالِ الشُّحَاةِ تُفْصِّلُ
وَأَخَكَمْتَ أَبْوَابَ الْأَحَايِي بِأَمْرَهَا أَبْنُ لَيْ عَنْ حَرْفٍ يُؤَلِّي وَيَعزِلُ

فَإِنْ قُلْتَ لِمَ أَبْطَلْتَ الْعَمَلُ فِي إِنْ وَأَخَوَاتِهَا، وَلَمْ تَبْطُلْهُ فِي حُرُوفِ الْجَرِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنْ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: الآية 159]، ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ يَشْتَقُّهُمْ﴾ [النساء: الآية 155]. قُلْتُ: لِأَنَّ حُرُوفَ الْجَرِّ عَمَلُهَا بِالْأَصَالَةِ كَمَا تَقْدِّمُ بِخِلَافِ إِنْ وَأَخَوَاتِهَا، فَبِالْحَمَلِ عَلَى الْفِعْلِ كَمَا قَدَّمْنَا، فَضَعُفَ أَمْرُهَا، فَأَقْلَبْتُ شَيْءَ يُبْطَلُ عَمَلُهَا.

وَمَعْنَى إِنْ وَأَنَّ لِلتَّوَكِيدِ

أَيَّ تَوْكِيدِ النُّسْبَةِ وَنَفْيِ الشَّكِّ عَنْهَا، إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مَرْدُودًا شَاكًّا، فَإِنْ كَانَ جَاحِذًا زِيدَ التَّوَكِيدُ بِالْقَسَمِ. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا كَانَ خَالِي الذَّهْنِ أَلْقَى إِلَيْهِ الْكَلَامَ غَيْرَ مُؤَكَّدٍ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ مَرْدُودًا أُكِّدَ لَهُ الْكَلَامَ بِإِنَّ. وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا أُكِّدَ لَهُ بِأَنَّ وَالْقَسَمِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ رُسُلِ عِيسَى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية 14] فَالْقَوْلُ إِلَيْهِمُ الْكَلَامَ غَيْرَ مُؤَكَّدٍ بِاللَّامِ، فَلَمَّا أَنْكَرُوا وَجَحَدُوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا يُفَلِّئُ إِلَيْنَا إِلَيْكُمْ لَمَرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية 16] فَرَبَّنَا يَغْلَمُ بِمَنْزِلَةِ الْقَسَمِ. فَالتَّوَكِيدُ لِنَفْيِ الشَّكِّ مُسْتَحْسَنٌ وَلِنَفْيِ الْإِنْكَارِ وَاجِبٌ، وَلِغَيْرِهِمَا لَا وَلَا.

وَكَأَنَّ لِلتَّشْبِيهِ

الْمُؤَكَّدُ لِتَرْكِيبِهِ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ وَإِنَّ الْمَفِيدَةَ لِلتَّوَكِيدِ، نَحْوُ: كَأَنَّ زَيْدًا أَسَدًا، أَوْ حِمَارًا. مِمَّا الْخَبَرُ فِيهِ أَرْفَعُ مِنَ الْأَسْمِ أَوْ أَخْفَضُ.

وَلَكِنْ لِلْإِسْتِزْرَاكِ

وَهُوَ تَعْقِيبُ الْكَلَامِ بِرَفْعِ مَا يَتَوَهَّمُ ثُبُوتُهُ أَوْ نَفْيُهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ شَجَاعٌ لَكِنَّهُ بَخِيلٌ؛

لأن إثبات الشجاعة ثوبهم ثبوت السخاء؛ لأن من سخي بنفسه، فيماله أولى، فرفع بذلك الإيهام بالاستدراك. وتقول: زيد بخيل لكته شجاع، لأن ثبوت البخل، يوهم نفي الشجاعة فأثبت بالاستدراك.

وليت للتمني

وهو طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر، فالأول كقول الشيخ: ليت الشباب يعود يوماً، والثاني: كقول الفقير المنقطع الرجاء: ليت لي مالا فأحج به.

ولعل للترجي

ويكون في المخبوب، نحو: لعل الحبيب قادم.

والتوقع

أي الانتظار، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُنْتُمْ بَنِيَّ نَسَكَ﴾ [الكهف: الآية 6]، ويكون في المحبوب والمكروه غير أن المحبوب يقال فيه الترجي والمكروه يقال فيه الإشفاق، والتوقع يصدق عليهما معاً، فلو اقتصر على التوقع أو قال للترجي والإشفاق لكان أقرب. وفي لعل لغات تركنا ذكرها إذ ليس فيها غرض نحوي.

وقول المؤلف: ومعنى إن وأن للتوكيد، الصواب إسقاط اللام فيقول: ومعنى إن وأن التوكيد الخ.

■ تنمات:

الأولى: إذا خُفِّت إن المكسورة قل عملها، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِعَ﴾ [يس: الآية 32]، ومن اغمالها قراءة نافع ﴿وَإِنْ كُلًّا لَمَّا يَوْمِيَّتُمْ رَبِّكَ أَعْمَلْتُمْ﴾ [هود: الآية 111]، وإذا أهملت فالأكثر أن يليها فعل ناقص لينى أثرها في الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ بَكَدَ إِلَهِكَ كَفَرًا﴾ [القلم: الآية 51]، ﴿وَإِنْ طَلْتُكَ لَيِّنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: الآية 186]، ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَحْسَنَهُمُ لَتَسْوِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية 102]، وإذا خُفِّت المفتوحة لم تُهمل ويكون اسمها ضمير شأني، ويفصل خبرها إن بديء بفعل متصرف غير دعاء بقذ، نحو ﴿وَقَلَّمْ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَّا﴾ [المائدة: الآية 113]، أو نفي، نحو ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْشَوْهُ﴾ [المزمل: الآية 20]، أو تنفيس، نحو: ﴿مَلِمَ أَنْ سَبَّكَ مِنْكَ مَرْفُوقٌ﴾ [المزمل: الآية 20]، أو لو، نحو: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْتُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: الآية 16]، وإنما قُصِّلَتْ بهذه الأشياء لثلاث تلييس بأن المصدرية لأن المصدرية لا تدخل على هذه الأشياء أبداً. وإذا خُفِّت كان أعملت مَحذُوفَةٌ الإسم والجملة بعدما خُبر، ويجوز إظهاره كقول الشاعر:

وَيَوْمَ تَوَافَيْنَا بِوَجْهِهِ مَقْسَمٌ كَانَ ظَبِيَّةٌ تَعْطُوا إِلَى وَرَقِ السَّلَمِ

رُوي برفع ظبية ونصبها وجزها على زيادة أن، أي كظبية. وتفصل بقَدْ إن بُدِئت بماض، نحو: كَانَ قد قام زيد. وبلَمْ إن بُدِئت بمضارع، كقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَقْرَأْ بِالْأَمْرِ﴾ [يونس: الآية 24]. وتُخَفَّفُ لِكِنْ فَتُهْمَلُ وتكون حَرْفُ عطف، نحو: مَا قَامَ زيدٌ لَكِنْ هَمَزُوا. وعن يونس والأخفش جواز إعمالها.

الثانية: يجوز تقديم خبر هذه الحروف على اسمها، إذا كان مجروراً أو ظرفاً، نحو: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [يونس: الآية 67]، ونحو: ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَوعِظٌ﴾ [آل عمران: الآية 13]، و﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَكْثَالَ وَحَيْثُ﴾ [المزمل: الآية 12]. وأما تقديم خبرها عليها فلا يجوز، بخلاف كَانَ وأخواتها فيقَدَّمُ، ويتوسط. ويكون ذلك جائزاً أو واجباً، إِنْ كَانَ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ، نحو: كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الثالثة: يجوز حذف اسمها إذا عَلِمَ. قال في التسهيل: وَلَا يَخْتَصُّ حَذْفُ الْأَسْمِ المفهوم معناه بالشعر. وقلما يكون إلا ضمير الشأن وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُضَوَّرُونَ». أي إنه من أَشَدِّ النَّاسِ. لَا عَلَى زِيَادَةٍ مِنْ خِلَافًا لِلْكَسَائِيِّ. وإذا علم الخبر جاز حذفه مطلقاً، خلافاً لِمَنْ اشترط تنكير الاسم. وقد يستد مسده واو المصاحبة والحال، والتزم الحذف في لَيْتَ شعري، مردفاً باستفهام. ومن حذف الخبر قول الشاعر:

أَلَا إِنَّ نَاسًا مِنْ قُرَيْشٍ تَفْضَلُوا عَلَى النَّاسِ وَإِنَّ الْمَكَارِمَ نَهَشَلَا

أي تفضلوا على الناس، وقد تنصب الجزئين معاً، كقول القائل: إِنَّ حُرَّاسَنَا أَشَدُّ، قال في التسهيل: ويجوز نصبهما بليت عند الفراء وبالخمسنة عند بعض أصحابه. وما استشهد به محمول على الحال أو على إضمار فعل وَهُوَ رَأْيُ الْكَسَائِيِّ.

ثم شرع في القسم الثالث فقال:

وَأَمَّا ظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا فَلِئَلَّا تَنْصِبَ الْمَبْتَدَأَ وَالْخَبَرَ، على أنهما مفعولان لَهَا أي عند البصريين. وقال الكوفيون: الثاني حال. ونازع السهيلي⁽¹⁾ في دخولها على المبتدأ والخبر. وهي: قَسَمَانِ، فعل قَلْبَ، وفعل حَاشَةَ. الثاني سمعت والأول ما سواها؛ وهي ثلاثة أقسام: قسم يدل على اليقين، وقسم يدل على الرجحان، وقسم يدل على التحويل، فيمَّا يدل على الرجحان:

(1) عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي: حافظ وعالم باللغة والسير. ضريحه. ولد بمالقة سنة 508 وعمره 18 سنة. وتبع فانصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمته، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة 581. نسبته إلى سهيل من قرى مالقة. من كتبه: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، نتائج الفكر.

■ ظَنَنْتُ

نحو: ظننتُ زيداً صديقاً، وقد تدلّ على اليقين كقوله تعالى: ﴿يُظَنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: الآية 46] إذ لا يكفي الظنّ في اعتقاد البعث، وإنما عبر الحق تعالى بالظنّ اغتفاراً للخواطر ولطفاً بالضعفاء. قال الورتجبي⁽¹⁾: «وإنما أقام الظنّ مقام اليقين لأن في الظنّ طرفاً من اليقين وإنما ذكر الظنّ إبقاء على المذنبين وتوفراً على العاصين الذين ليس لهم صفاء اليقين، ولو ذكر اليقين صرفاً لخرجوا من الجملة»⁽²⁾.

■ وَحَسِبْتُ

نحو قول الشاعر:

حَسِبْتُ التَّقَى وَالْجُودَ خَيْرَ تَجَارَةٍ رِبَاحاً إِذَا مَا الْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلاً

■ وَخِلْتُ

ماض يخال بمعنى ظنّ كقول الشاعر:

ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءُهُ يَخِلُ الْفَرَارَ يُرَاجِي الْأَجَلَ

■ وَزَعَمْتُ

بمعنى ظننتُ نحو:

زَعَمَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَذُبُّ ذَبِيبًا

وَمَا يَدُلُّ عَلَى الْيَقِينِ:

■ رَأَيْتُ

بمعنى علم وهو الكثير، وبمعنى ظنّ وهو القليل، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَيبًا ۖ وَرَأَوْنَهُ قَرِيًّا ۖ﴾ [المعارج: الآيتان 6 و7] أي يظنونونه ونعلمه، ومنه كقول الشاعر:

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودًا

(1) أبو محمد بن أبي نصر رُوِّبَهُانَ الْبَقْلِيُّ الْفَسَائِيُّ الشِّيرَازِيُّ، المزداد بفناء سنة 522 و المتوفى سنة 606، من مشاهير أئمة التصوف، من أهل شیراز الإيرانية حيث ضريحه. له عدة مؤلفات في الفقه والتصوف بالفارسية والعربية، وخاصة كتابه في التفسير على طريقة أهل التصوف: عرائس البيان في حقائق القرآن الذي كثيراً ما يذكره سيدي أحمد بن عجيبة، خاصة في كتابه: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.

(2) عرائس البيان: المجلد الأول، ص 23.

■ وَعَلِمْتُ

وهي كَرَأَيْتَ قد تُفِيدُ اليقين، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: الآية 259]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية 19]. وقد تُفِيدُ الظن، كقوله تعالى: ﴿إِن يَنْتَهِبُوا مَالَكُمْ﴾ [الممتحنة: الآية 10] وَقَدْ تُفِيدُ العِرْقَان، فتتعدى إلى واحد فقط. نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْلُوبُوا كُتُبَكُمْ﴾ [النحل: الآية 78]، أي لا تغيرفون.

■ وَوَجَدْتُ

وقد تفيد اليقين، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَنُفْسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية 102].

وما يدل على التحويل:

اتَّخَذْتُ نحو: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: الآية 125].

■ وَجَعَلْتُ

نحو: ﴿فَجَعَلْنَاهُ نَبَاً مُنْشُوراً﴾ [الفرقان: الآية 23].

وذكر المصنف جعلْتُ إثر اتَّخَذْتُ يدلُّ على أنه أراد التحويلية وقد تكون كَاغْتَبَدْتُ، نحو: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: الآية 19].

■ وَأَمَّا سَمِعْتُ

فَعِنْدَ الْجُمْهُورِ تتعدى إلى مفعول واحد، نحو: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ص) يَقُولُ، النَّبِيُّ مفعول بِهِ ويقول حال، وعند أبي علي⁽¹⁾ تنصب مفعولين وعليه ذهب المصنف. فجملة يقول مفعول ثانٍ، وهذا الخلاف إنما هو إذا دَخَلْتُ على ما لا يصح أن يُسْمَعَ كَسَمِعْتُ زَيْدًا يَتَكَلَّمُ، وَأَمَّا إِنْ دَخَلْتُ على ما يصح أن يُسْمَعَ كَسَمِعْتُ كَلَامَ زَيْدٍ، فَلَا تتعدى إِلَّا لواحد فقط اتفاقاً.

ثم مثل بقوله: نَحْوُ: ظَنَنْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، وَجَلْتُ عَمْرًا شَاخِصًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ

قلت: بقي على المصنف أفعال من أفعال القلوب تتعدى إلى مفعولين، منها ما تفيد اليقين، ومنها ما تفيد الرجحان. وقد نظمها بعضهم فقال:

أَلْفَى ذَرَأًا كَذَا تَعْلَمُ وَ وَجَدْتُ كُلُّ مَفِيدٍ لِلْيَقِينِ إِنْ وَرَدَ

(1) أبو علي الفارسي: سبقت الإشارة إليه.

ولليقين غالياً رأى علم وظن حال وحسب عكس علم
أصار للتصير صير وتخذ وجعل رد وهب ثم اتخذ

وقد تتعدى رأى العلمية إلى مفعولين كعلم، لكونها مثلها، في كونها إدراكاً بالحق الباطني، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْسِلُ أَعْيُنِي عَنْكَ خَيْرًا﴾ [يوسف: الآية 36] فالباء مفعول أول وأعصر في محل الثاني. وقول الشاعر:

أراهم رفقتني حتى إذا ما تجافى الليل وانخزل انخزالا

■ تنبيه:

قد تلتقى هذه الأفعال إذا تقدم عليها معمولاً أو توسطت، وقد تعلق إذا فصل بينها وبين معموليها ما له صدر الكلام، نحو: ظننت ما زيد قائم أو ظننت زيدا ما هو قائم. قال تعالى: ﴿وَعَلُّوا مَا لَكُمْ مِنْ حِجَابٍ﴾ [فصلت: الآية 48]. وقد تسد أن المفتوحة مسد مفعوليها، نحو: ظننت أن زيدا عالم، ومنه: ﴿يُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: الآية 46] وقد يُحذف المفعولان أو أحدهما للدليل، كقول الشاعر في شأن أهل البيت:

بأي كتاب أو بآية سئى ترى حبهم عارا عليّ وتحسب
أي: وتحسب حبهم عارا عليّ. قال في الألفية:

وَلَا تُجِزُ مَنْ بِلَا دَلِيلٍ سُقُوطَ مَفْعُولَيْنِ أَوْ مَفْعُولٍ
والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

نؤاخذ بالابتداء إشارة إلى نواسخ الأحكام الذاتية التي تتعلق بالذات القديمة التي هي مبتدأ الأشياء ومتنهاها، ويكون النسخ في الأحكام الشرعية، ومعناه انتهاء الحكم إلى وقت معلوم، ثم يُستأنف حكماً آخر على سابق الإرادة، ويكون في شرائع الملل وفي الشريعة الواحدة، ينسخ بعضها بقضاً كما هو مقرر في محله، ويكون في الأقضية البارزة إلى عالم الشهادة، فيظهر الله تعالى للملائكة أموراً يعلقها على أسباب وشروط علم أنها لا توجد، فإذا أراد الملك الموكل بذلك الفعل إبرازة، أظهر الله خلاف ذلك ليظهر اختصاصه تعالى بالعلم الحقيقي الذي لا يتبدل ولا يتغير وهو أم الكتاب، فيقع النسخ بهذا المعنى في السعادة والشقاوة والأعمار وغيرها من القضايا التي تبرز من عند الحق تعالى، ولذلك كان سبتنا عمر وبن مسعود يقولان: «اللهم إن كنت كتبتني من أهل الشقاء فامحني واكتبني من أهل السعادة».

وَأَمَّا الْعِلْمُ الْأَصْلِيُّ الَّذِي هُوَ الْأَمُّ فَلَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَلَا يَصْحُ النُّسخُ فِي الْأَخْبَارِ لِأَنَّهُ يُلْزَمُ عَلَيْهِ الْكُذْبُ. وَيَقَعُ النُّسخُ أَيْضًا فِي وَارِدَاتِ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ فَيَتَجَلَّى فِي قَلْبِ الْوَلِيِّ أَمْرًا، فَيُخْبِرُ بِهِ، ثُمَّ يَنْسَخُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُظْهِرُ خِلَافَهُ، وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي وِلَايَتِهِ. وَقَدْ يُشَارُ هُنَا بِالنُّسخِ إِلَى تَلْوِينِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ بِالْفُرُوعِ التَّكْوِينِيَّةِ.

فَكَانَ تُشِيرُ إِلَى: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، حَيْثُ لَا شَكْلَ وَلَا رَسْمَ.

وَأُنْسَى وَأَصْبَحَ وَأَضْحَى إِلَى تَلْوِينِهَا بِمُرُورِ الْفَلَكَ بِالصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَالضُّحَى.

وَيَقْظَلُ وَبَاتَ إِلَى تَلْوِينِهَا بِمُرُورِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَيَصَارُ إِلَى تَحْوِيلِهَا بِالظُّهُورِ وَالْبَطُونِ.

وَبَلِيسَ إِلَى تَنْزِيهِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

وَبِمَا زَالَ وَأَخَوَاتُهَا إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَا زَالَ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، فَالْتَغَيَّرُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ.

وَيَدَامُ إِلَى دَوَامِ رُبُوبِيَّتِهِ أَرْزَلاً وَأَبَدًا.

وَمِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ أَنْ تَرْفَعَ الْأَسْمَ وَتُعْظِمَهُ وَتُجِلَّهُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ مُبْتَدَأَ الْأَشْيَاءِ وَأَضْلَ ظُهُورَهَا، وَرَفَعَهَا لَهُ دَلَالَتُهَا عَلَى تَلْوِينِ الْأَثَارِ وَتَنْقِلَاتِ الْأَطْوَارِ، فَتَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَثْرِ لِجَرَيَانِ أَحْكَامِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَأَمَّا إِنْ وَأَخَوَاتُهَا، فَتُشِيرُ إِلَى أَحْوَالِ الْخَلْقِ الْبَارِزَةِ مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ مَا يَغْتَرِبُهَا مِنْ تَأْكِيدِ الْأُمُورِ وَالْعَزْمِ عَلَيْهَا لِإِدْرَاكِ نَتَائِجِهَا، إِمَّا دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً، إِذْ لَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ إِلَّا بِالْعَزْمِ وَالْجَدِّ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي بَابِ التَّوَكُّيدِ، وَتُشِيرُ أَيْضًا إِلَى مَا يَنْزِلُ بِهَا مِنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، أَوْ التَّمَنِّيِ وَالطَّمَعِ الْفَارِغِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: ﴿تَتَمَنَّوْنَ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: الآية 32]، وَالْمَأْمُورُ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكْفِي شَيْئًا عَلَيْهِمُ﴾ [النساء: الآية 32].

وَأَمَّا ظَلَمْتُ وَأَخَوَاتُهَا فَتُشِيرُ إِلَى أَحْوَالِ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا الْيَقِينُ الْكَبِيرُ النَّاشِئُ عَنِ الشُّهُودِ وَالْعَيَانِ، وَهُوَ مَقَامُ عَيْنِ الْيَقِينِ، أَوْ حَقِّ الْيَقِينِ، وَهُوَ مَقَامُ الْعَارِفِينَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا بِصُحْبَةِ شَيْخِ التَّرْبِيَةِ وَالذَّخُولِ تَحْتَ تَرْبِيَتِهِ. وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُهَا الظَّنُّ الْقَوِيُّ الرَّاجِحُ وَهِيَ قُلُوبُ أَهْلِ الْبُرْهَانِ وَالِاسْتِدْلَالِ، فَتَارَةٌ يَقْوَى عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ، فَيَسْتَشْرَفُونَ عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، وَتَارَةٌ تَكِيرُ عَلَيْهِمُ الْخَوَاطِرَ الرَّدِيئَةَ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ إِلَّا الظَّنُّ الْقَوِيُّ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَلْعَبُ بِهِمُ الشُّكُوكُ وَالْأَوْهَامُ فَيَمُوتُونَ عَلَى الشُّكِّ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ولقد نقل عن الرازي أنه كان يقول عند الموت: اللهم إيمانًا كإيمان العجائز. وكتب إليه ابن عربي الحاتمي⁽¹⁾ فقال له: «ليتني نَعَرْتُكَ بالله قبل أن تموت جاهلاً به فتكره فيمن أنكره حين يتجلى لخلقه».

وقال بعضهم: إيمانُ عُلَمَاءِ الكلام كالخيط المعلق بالهواء يميل مع كل ريح، والعباد بالله من الفتن وسوء الميخن. وما رأيت أحدًا حصل على اليقين الكبير الذي هو عين اليقين أو حق اليقين الناشئ عن الشهود والعيان في زماننا هذا إلا شيخ شيخنا قطب دائرة التريية النبوية، مولاي العربي الدرقاوي الحسني، وشيخنا البوزيدي الحسني، وخواص أصحابهما رضي الله عنهم. وأما الباقي فكلهم في سجن الأكوان، يستدلون بها على المكون. فتارة يقوى يقينهم ويتنور دليلهم فيحصلون على علم اليقين. وتارة يضعف يقينهم فتكره عليهم الخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية، فيحصلون على الظن القوي، عالمًا كان أو صالحًا أو عابدًا أو زاهدًا، وبالله التوفيق.

(1) محمد بن علي ابن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائفي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: من أئمة الصوفية. ولد بمرسية بالأندلس سنة 560 وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة فزار المغرب و الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، واستقر بدمشق، فتوفي فيها سنة 638. قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو 400 كتاب ورسالة، منها: الفتوحات المكية، فصوص الحکم، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، ديوان شعر، فتح الدخائر والأغلاق في شرح ترجمان الأشواق، الخ.

بَابُ النَّعْتِ

قلت: النُّعْتُ عبارة الكوفيين، والوصف عبارة البصريين، وهل هما مترادفان؟ المشهور كذلك. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: النُّعْتُ يَتَغَيَّرُ، وَالْوَصْفُ لَا يَتَغَيَّرُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: أَوْصَافُ اللَّهِ، وَلَا يُقَالُ نَعَوْتُهُ. وبدأ بِالنُّعْتِ، ثُمَّ بِالنَّسَقِ، ثُمَّ بِالتَّوَكِيدِ ثُمَّ بِالْبَدَلِ، وَعَكْسُ غَيْرِهِ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي كَلَامٍ وَاجِدَ قُدِّمَ النَّعْتُ، ثُمَّ الْبَيَانُ، ثُمَّ التَّوَكِيدُ، ثُمَّ الْبَدَلُ، ثُمَّ النَّسَقُ. وَرَمَزَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ:

نَبَتْ دُقٌّ، فَالتُّونُ لِلنُّعْتِ، وَالْبَاءُ لِلْبَيَانِ، وَالثَّاءُ لِلتَّوَكِيدِ، وَالذَّالُ لِلْبَدَلِ، وَالْقَافُ لِلنَّسَقِ. تقول: جاء زيد العاقل برهان الدين نفسه أخوك وعمرو.

وحقيقة النُّعْتُ هو التابع لما قبله بعلامة فيه أو فيما تعلق به وهو على ثلاثة أقسام: حقيقي ومجازي ومبني.

فالحقيقي: هو الجاري على ما قبله مع رفعه لضميره، نحو: جاء زيد العاقل. والمجازي: هو الجاري على ما بعده مع رفعه لضمير ما قبله، نحو: جاء زيد الكريم الأب أو الحسن الوجه.

والسببي: هو الجاري على ما بعده مع رفعه لظاهر متلبس بضمير الموصوف، نحو: جاء زيد العاقل أمه أو زيد العاقل أبوه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: الآية 75]. فإذا علمت هذا فالنُّعْتُ حقيقيًا أو مجازيًا تَابِعَ لِلْمَنْعُوتِ فِي رَفْعِهِ، وَنَضْبِهِ، وَخَفْضِهِ، وَتَعْرِيفِهِ، وَتَنْكِيرِهِ، ثُمَّ إِنْ رَفَعَ ضَمِيرَ الْمَوْصُوفِ وَكَانَ حَقِيقِيًّا أَوْ مَجَازِيًّا تَبِعَهُ أَيْضًا فِي تَذْكِيرِهِ وَتَأْنِيثِهِ، وَفِي إِفْرَادِهِ وَتَشْنِيثِهِ وَجَمْعِهِ. نَحْوُ: جَاءَ زَيْدُ الْعَاقِلِ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا الْعَاقِلَ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدِ الْعَاقِلِ.

وفي المجازي: جاء زيد الكريم الأب، ورأيت زيدًا الكريم الأب، ومررت بزيد الكريم الأب. وَإِنْ رَفَعَ ظَاهِرًا مُتَلَبِّسًا بِضَمِيرِ الْمَوْصُوفِ فَهُوَ كَالْفِعْلِ، فَيَلْزَمُ إِفْرَادَهُ، كَمَا يَجْرَدُ الْفِعْلُ مِنْ عِلَامَةِ التَّشْنِيثِ وَالْجَمْعِ، وَيَتَّبِعُ مَنْعُوتَهُ فِي الْإِعْرَابِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّكْنِيزِ فَقَطْ. فتقول: جاء الزَّيْدَانِ الْعَاقِلَةُ أُمُّهُمَا، وَجَاءَ الْهِنْدَانِ الْعَاقِلُ أَبُوهُمَا، وَجَاءَ الزَّيْدُونَ الْعَاقِلُ آبَاؤُهُمْ. فتحصل أن النُّعْتُ الحقيقي يتبع مَنْعُوتَهُ فِي أَرْبَعَةٍ مِنْ عَشْرَةِ الْقَابِ الْإِعْرَابِ الثَّلَاثِ، وَالتَّعْرِيفِ، وَالتَّكْنِيزِ، وَالتَّذْكِيرِ، وَالتَّأْنِيثِ، وَالْإِفْرَادِ،

والثنائية، والجمع، وكذلك المجازي. وأما السببي، فيتبعه في اثنين من خمسة القاب الإعراب والتعريف والتنكير، وأمثلة ذلك ظاهرة، والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

الوصف تابع للموصوف لا يفتقران أبداً، ويعبارة أخرى، الصفة لا تفارق الموصوف، فمهما ظهرت الصفات ظهرت معها الذات، ومهما تجلّت الذات تجلّت الصفات، فامتحن حينئذ وجود الأثر بظهور المؤثر إذ الأثر لا يظهر إلا بالقدرة، وهي لا تفارق الذات، فأفهمهم وإلا فسلم. ومنهم من يعبر عن هذا بقولهم: الذات عين الصفات، وإنما أراد بالعين التلازم في الظهور، وإلا فالذات حسية لطيفة لا تدرك، والصفات معنى قائم بها. وإن شئت قلت نعت الذات تابع لها في الكمالات وعدم النهايات. فكما أن الذات لا نهاية لها ولا حصر كذلك الصفات لا نهاية لها ولا حصر، فأسرار الذات وكمالاتها خارجة عن مدارك العقول، كذلك الصفات. أو تقول: نعت الذات في مظاهر التجليات يتبع المنعوت في تلوناته، فقد سئل الجنيّد رضي الله عنه عن التوحيد فقال: «لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ إِنَانِهِ» يعني أن أسرار المعاني حين تجلّت في قوالب الألوان تلوّنت بتلوّن القوالب بين أبيض وأسود وأحمر وأصفر وأخضر، إلى غير ذلك من ألوان الخمرة الأزلية في حال التجلي. وأما قبل التجلي فهو سرّ لطيف نوراني، له قدرة على التجلي كيف شاء، وإنما اختلفت ألوانه بعد التجلي. قال الجيلي رضي الله عنه في عينته:

تجلّى حبيبي في مرآتي جماله ففني كلّ مرآى لِلْحَبِيبِ طلائع

ثم قال:

وكلُّ أسودٍ إذ في تصايف طرّة وكلُّ أخمرٍ إذ في الطلائع ناصع

ثم قال:

وأطلّق جنّان الحقّ في كلّ ما ترى فتلك تجليات من هو صانع

ويدخل في بعض هذه التلونات قول المصنّف: التثنت تابع للمنعوت في رفيعه، إن تجلّى بمظهر رفيع، وخفضه، إن تجلّى بمظهر مخفوض، فظاهرة خفض وباطنه رفع وعزّ، ونضبه إن تجلّى بمظهر منصوب لسهام الأقدار، فظاهرة منصوب لقهرية العبودية، وباطنه مخض عزّ الربوبية، وتعريفه إن تجلّى فيه باسمه الظاهر، فأظهره للانتفاع به حتى عرفه الخاصّ والعامّ، وتنكيره إن تجلّى فيه باسمه الباطن، فأنكره جُلُّ الخلق وهو في مقام عليّ عند الملك الحقّ.

وقد أشار شيخ شيوخوا ومادة طريقتنا، رئيس البحرية، وإمام أهل الخمرة

الأزلية، سيدي علي العمراني المكنى بالجمل⁽¹⁾ رضي الله عنه إلى هذا المعنى في كتابه، فقال ما نصه: «انظر يا أخي وتأمل هذه الخمرة كيف كملت فيها الأوصاف، وتوفرت فيها الشروط، وكيف كمل نقصانها، كما كمل كمالها، فسبحان من أظهرها بالكمال في النقص والكمال، حتى صار الكل كمالاً ولا نقص. فانظر يا أخي ما أقربها في بُعدها، وما أبعداها في قربها، وما أرفعها في أسفلها، وما أوضعها في علوها، وما أكبرها في صغرها، وما أصغرها في كبرها، وما أقواها في ضعفها، وما أضعفها في قوتها، وما أغناها في فقرها، وما أفقرها في غناها، وما أعزها في ذلها، وما أذلها في عزها» إلى آخر كلامه. فقد اجتمعت الضدان بل الأضداد في مظهر واحد وإلى ذلك أشار الجيلي أيضاً بقوله:

تَجَمَّعَتِ الْأَضْدَادُ فِي وَاحِدِ الْبَهَا وَفِيهِ تَلَاشَتْ فَهَوَ عَنْهُمْ سَاطِعُ

وَلَا يَفْهَمُ هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ مَنْ خَاضَ بَحْرَ الشُّهُودِ وَالْعَيَانِ وَحَسِبُ مَنْ لَمْ يَتْلُغْ هَذَا التَّسْلِيمَ، وبالله التوفيق.

■ تَبْيِيهِ:

قول أهل الحقيقة إنَّ الضَّدَّيْنِ أَوْ الْأَضْدَادَ تَجْتَمِعُ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مع اختلاف الحيثية والجهة، ثم إنَّ الأضداد على قسمين: أضداد عقلية، وأضداد عادية. فالأضداد العقلية مثالها العدم والوجود، والقيام والقعود، والبياض والسواد، والربوبية والعبودية، واليقدم والحدوث، وشبه ذلك مما لا يتصور في العقل اجتماعهما.

والأضداد العادية مثالها النار والماء، والحر والبرد، والنهار والليل، وغير ذلك مما يمكن اجتماعهما عقلاً ويستحيل عادة.

أما الأضداد العقلية فلا تجتمع أبداً في محل واحد إلا مع اختلاف الحيثية كما تقدم، فالربوبية والعبودية قد يجتمعان في محل واحد كالآدمي مثلاً، فالعبودية من حيث القالب الحسي والربوبية من حيث المظهر المعنوي، العبودية مرتبة على الحسن

(1) علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني، أبو الحسن، الملقب بالجمل: من أكابر مشايخ التصوف بالمغرب. أستاذ الشيخ مولاي العربي الدراوي. كان أولاً بقاس متصلاً بالقصر الملكي ثم خرج منها إلى تونس حيث التقى بـمشايخ انتفع بهم وبعثوه إلى وازان عند الشيخ مولاي الطيب الوازاني، فلقبه ثم بعثه إلى قاس حيث صاحب المعارف بالله سيدي العربي بن أحمد معن الأندلسي. توفي سنة 1194 عن 106 أعوام. له كتاب شُني بالبراقبت الحسان في تصرف معاني الإنسان، جمع فيه ما كان يرد عليه من الجحكم وأسرار الطريق إلى الله.

البشري والربوبية مُرتبة عَلَى المظهر المعنوي، العبودية ظاهرة والربوبية كائنة. وكذلك القِدَم والحدوث، القِدَم من جِهَة مَعْنَاهُ، والحدوث من جِهَة حِسِّهِ العارض ظهوره. وكذلك العِزُّ والذَلُّ والغِنَى والفقر. فالعِزُّ والغِنَى محلُّهما البَوَاطِن، والذَلُّ والفقر، مَحَلُّهُمَا الظواهر. وقد تجتمع في وَقت واحد، لَكِنْ مَعَ اختلاف الجِهَة كَمَا قُلْنَا، ومن يقل إنَّ الضَّدين أو الأضداد تجتمع في محلٍّ واحد مع اتِّحاد الجِهَة والوقت فَجَاهِلٌ لأنَّ القدرة لا تتعلق بالمحال، ولو تعلَّقت بالمُحَالِ لَزِمَ تعلُّقها بإعدام الذاتِ العَلِيَّةِ وإثبات الشريك لله تعالى، وَهُوَ هُوَسٌّ عَظِيمٌ لَا يَقُولُ بِهِ عَاقِلٌ.

وأما الضَّدانِ العادِيان أو الأضداد العادية فيجوز اجتماعهما في محلٍّ واحد وفي وقت واحد، إذ القدرة صالحة لذلك ولم تقع في عالم الحكمة إِلَّا معجزة، كمنار إبراهيم عليه السلام، وإنما وقع اجتماعها مفترقة المحلِّ مع اتِّحاد الوجود عند أهل الباطن، فالماء في محلٍّ والنَّار في محلٍّ، وكذلك الحرُّ والبرْد، والموت والحياة، والجَنَّة والنَّار. ولو جَمَعَ الله ذلك في محلٍّ واحد لَكَانَ جائِزًا. وقول الجيلي رضي الله عنه: تجمعت الأضداد الخ، مراده الأضداد العقلية مع اختلاف الحيثية كما تقدم، أو الأضداد العادية مع افتراق الجِهَة في عالم الحكمة أو مطلقًا في عَالَمِ القُدرة. والوجود كُلُّهُ متحد، ذات واحدة ومظهر واحد، كما قال الشاعر:

هَذَا الوجود وإن تعدَّد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وقد اجتمعت فيه أضداد كثيرة عقلية وعادية لكن مع اختلاف الحيثية أو الجِهَة. فتحصل أن الأحكام العقلية، الواجب والمستحيل والجائز، لا تنخرم عِنْدَ أهل الباطن وإنما بعض الممكنات عند أهل الظاهر تصير وَاجِبَةً عند أهل الباطن لجمعها بأصلها وشهود الحق فيها، والجائز عند أهل الباطن هو تلوين الحُمْرة على سابق المشيئة، والله تعالى أعلم.

والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المُضْمَرُ نحو: أنا وأنت، والاسم العَلَمُ، نحو: زيد ومكة. والاسم المُبْنِي، نحو: هذا وهذه وهؤلاء. والاسم الَّذِي فِيهِ الألف واللام، نحو: الرجل والغلام. وما أُضِيفَ إلى واحدٍ من هذه الأربعة. والنكرة: كل اسم شائع في جنسٍ لا يَحْتَضِرُ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ، وتَقْرِيْبُهُ كُلُّ مَا صَلَحَ دُخُولُ الألف واللام عَلَيْهِ، نَحْوُ: الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ.

قلت: حَصَرَ المعرفة بالعدِّ ولم يحصرها بالحدِّ، لأنَّ حدَّها يَحْدُ جَامِعٌ قد يتعلَّقُ، لأنَّ من الأسماء ما هو معرفة لفظًا، نكرة معنًى، كإسماء وتعاله. ومنها ما هو نكرة لفظًا، معرفة معنًى، نحو: كَانَ ذلك عام أوَّل. ومنها ما يُسْتَعْمَلُ بِالْوَجْهَيْنِ، نحو: واحد أمه، وفريد عُضْرَه، وعبد بطنه، فمَنهم مَن يستعملها معرفة بالإضافة،

ومنهم من ينصبها على الحال، فتكون نكرة، ومثلها ذو اللام الجنسية. ولذلك يوصف بالمعرفة اعتباراً بلفظه، وبالنكرة اعتباراً بمعناه. وإذا كان كذلك، فأحسن ما تُعرف به المعرفة ذكر أقسامها ثم تقول وما سوى ذلك نكرة. وبعضهم عرّف النكرة وقال: وما سوى ذلك معرفة، كائن مآل وغيره. ومنهم من عرّفهما معاً فقال: المعرفة ما وُضِعَ ليعمل في مُعَيَّن والنكرة ما شاع في جنس موجود أو مقدر. فالأول كرجل وفرس، والثاني كشمس وقمر، فالشمس كوكب نهارى، والقمر كوكب ليلي؛ وهما صالحان للتعديد، لكن لم يوجد في الخارج إلا واحد. وعدّ بعضهم المعارف سبعة، الخمسة التي ذكر المؤلف، والمُنَادَى المُعَيَّن، وأمثلة التأكيد، كاجمع وجمعاً، فإنَّهُمَا عَلِمَ عَلَى جنس التوكيد. وَالْجُمْهُورُ أَنَّ المعارف متفاوتة في التعريف، فأعرفها عند سيويه اسم الجلالة الله، ثم الضمير العائد عليه، نحو: هو. وقد رُئِيَ في النوم فقال: «غفر الله لي بقولي: أعرف المعارف الله». وقال غيره: أعرفها الضمير، ثم العلم، ثم الإشارة، ثم الموصول. وقد نظم ذلك السيوطي في ألفيته فقال:

فَمُضْمَرٌ أَعْرَفَهَا ثُمَّ الْعِلْمُ وَاسْمُ الْإِشَارَةِ وَمَوْصُولٌ مِنْهُمْ
وَذُو أَدَاةٍ وَمُنَادَى عَيْنًا وَذُو إِضَافَةٍ بِهَا تَقْيِينًا

والمضاف في طبقة ما أضيف إليه، إلا المضاف للضمير، فإنه في درجة العلم. وثمرة هذا تظهر إذا كان المبتدأ والخبر معرفتان، واسم كان وخبرها. فالأعرف يكون مبتدأ والأدنى منه يكون الخبر. وتظهر أيضاً إذا نصب الفعل ضميرين، فإن تقدّم الأخص وهو الأعرف، جاز في الثاني الاتصال والانفصال، كقوله تعالى: ﴿أَتْلَوْكُمُوهَا﴾ [هود: الآية 28]، ﴿تَنبِيْهُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 137]. والوصل أرجح. ومن الفضل قول القطب سيدي عبد السلام بن مشيش في توضيحه: وعرفني إياه، فارتكب غير الراجح أدباً معاً عليه السلام لتأني ياتي بضميره عليه السلام متصلاً بضمير نفسه، فانظر ما أدق نظره وأكمل أدبه رضي الله عنه. ولو تقدّم غير الأخص وجب الفصل، كقوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ مَلَكُهُمْ إِيَّاكُمْ، وَلَوْ شَاءَ لَمَلَكَكُمْ إِيَّاهُمْ».

■ تنبيه:

قال الجمهور: المعارف كليات وضعاً، جزئيات استعمالاً. فزيد مثلاً كلي يصلح لكل شخص، فإذا وضع له صار معيناً وكذلك الضمير كأننا مثلاً كلي يصلح لكل متكلم، فإذا نطق به ناطق صار معيناً، وهكذا سائر المعارف، وبدأ المصنّف بالمعرفة لأنها أشرف، إذ يجوز الابتداء بها، والحكم عليها بالحال وغيره، وأيضاً التعريف وجودي والتكبير عذمي، ومعرفة الملكات مقدمة على الإعدام، وعكس غيره؛ لأنَّ

مُسَمَّى التَّكْرَةَ أَسْبَقَ لِلَّذِينَ مِنْ مُسَمَّى الْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ طَائِرٌ عَلَى التَّنْكِيرِ، وَمَا سَلَكَ الْمُصَنِّفَ أَحْسَنَ. وَعِذَاهَا خَمْسَةٌ مَعَ أَنَّهَا سَبْعَةٌ، لِأَنَّهُ أَذْرَجَ الْمَوْصُولَ فِي الْمُتَّبِعِ، وَأَمَّا الْمُتَادَى الْمُعَيَّنُ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَسَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي بَابِ الْمُنَادَى.

وَبَدَأَ بِالضَّمِيرِ لِأَنَّهُ أَعْرَفَهَا بَعْدَ اسْمِ الْجَلَالَةِ، وَيُسَمَّى عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ بِالْمُضْمَرِ، وَالضَّمِيرِ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ أَضْمَرْتَهُ إِذَا أَخْفَيْتَهُ، وَإِطْلَاقُهُ عَلَى الْبَارِزِ تَوَشُّعٌ، وَالْكُوفِيُّونَ يَسَمُّونَهُ الْكِنَايَةَ وَالْمَكْنَى لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاسْمٍ صَرِيحٍ، وَالْكِنَايَةُ تَقَابُلُ الصَّرِيحِ. قَالَ ابْنُ هَانِي⁽¹⁾:

فَصْرَحَ بِمَنْ تَهَوَّى وَدَغِيهِ مِنَ الْكِتَا فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا يَسْتُرُ
وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ:

أَلَا فَاسْتَقْنِي خُمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخُمُرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا امْكَنَ الْجَهْرُ

وَاللِّصُوفِيَّةُ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ شَرْبُ غَزِيرٍ وَشُكْرٌ كَبِيرٌ. وَحَقِيقَةُ الضَّمِيرِ عِنْدَ النَّحَاةِ مَا وُضِعَ لِتَعْيِينِ مَسْمُومٍ مُشْعِرًا بِتَكْلَمِهِ أَوْ خُطَابِهِ أَوْ غَيْبَتِهِ؛ وَهُوَ عَلَى قَسْمَيْنِ، بَارِزٌ وَمُسْتَرٌ. فَالْبَارِزُ مَا لَهُ صُورَةٌ فِي الَّلَفْظِ، وَالْمُسْتَرُ ضِدُّهُ، وَهُوَ عَلَى قَسْمَيْنِ: مَا يَجِبُ اسْتِتَارُهُ، وَهُوَ مَا لَا يَخْلُقُهُ الظَّاهِرُ، وَذَلِكَ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ، أَشَارَ إِلَيْهَا الشُّوْطِي فِي الْفَيْتَةِ فَقَالَ:

وَسْتَرُ مَرْفُوعٌ بِأَمْرٍ حَيِّمًا وَدُونَ يَا مُضَارِعٍ وَاسْمَيْنِهِمَا
وَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ وَالتَّعْجُبِ وَفَعْلُ الاسْتِثْنَاءِ قَانَهُمْ تُصِيبُ

وَدَخَلَ فِي الْأَمْرِ الْمَصْدَرُ الثَّالِثُ عَنْ فَعْلِهِ، نَحْوُ: «فَضَرَبَ الرَّقَابَ» [مَحْمَدُ: الْآيَةُ 4] وَمَا يَسْتَرُ جَوَازًا وَهُوَ مَا يَخْلُقُهُ الظَّاهِرُ وَهُوَ مَا سِوَى مَا تَقَدَّمَ، وَالْبَارِزُ قِسْمَانِ: مُتَّصِلٌ وَهُوَ مَا لَا يُبْتَدَأُ بِهِ وَلَا يَقَعُ بَعْدَ إِلَّا فِي الْإِخْتِيَارِ، وَمُنْفَصِلٌ وَهُوَ مَا يُبْتَدَأُ بِهِ وَيَقَعُ بَعْدَ إِلَّا فِي الْإِخْتِيَارِ. وَالْمُتَّصِلُ إِمَّا مَرْفُوعٌ أَوْ مَنْصُوبٌ أَوْ مَجْرُورٌ. وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ إِمَّا لِمَتَكَلَّمَ أَوْ مَخَاطَبَ أَوْ غَائِبَ. فَالْمَرْفُوعُ لِلْمَتَكَلِّمِ: فَعَلْتُ وَفَعَلْنَا. وَلِلْمَخَاطَبِ: فَعَلْتَ وَفَعَلْتِ، وَفَعَلْتُمَا، وَفَعَلْتُمْ وَفَعَلْتُنَّ. وَلِلْغَائِبِ: فَعَلَ وَفَعَلْتَ، وَفَعَلَا وَفَعَلْتَا، وَفَعَلُوا وَفَعَلْنَا. وَالْمَنْصُوبُ لِلْمَتَكَلِّمِ: أَكْرَمَنِي وَأَكْرَمْنَا. وَلِلْمَخَاطَبِ: أَكْرَمَكَ أَكْرَمَكِ،

(1) مُحَمَّدُ بْنُ هَانِي الْأَزْدِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ: شَاهِرُ الْمَغَارِبَةِ كَالْمَعْتَنِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ. وَلَدَ بِإِسْبِيلَةَ سَنَةَ 326. اتَّهَمَهُ أَهْلُهَا بِمَذْهَبِ الْفَلَّاسَةِ وَفِي شَعْرِهِ نَزْعَةُ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ. قُتِلَ فِي بَرَقَةِ غَيْلَةَ سَنَةَ 362. لَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٍ.

أَكْرَمَكُمَا، أَكْرَمَكُمُ، أَكْرَمَكُنَّ. وللغائب: أَكْرَمُهُ، أَكْرَمَهَا، أَكْرَمَهُمَا، أَكْرَمَهُمْ، أَكْرَمَهُنَّ. والمجرور للمتكلم: مَرُّ بِي، مَرُّ بِنَا. وللمخاطب: مَرُّ بِكَ مَرُّ بِكَ، مَرُّ بِكُمَا، مَرُّ بِكُمُ، مَرُّ بِكُنَّ. وللغائب: مَرُّ بِو، مَرُّ بِهَا، مَرُّ بِهِمَا، مَرُّ بِهِمْ، مَرُّ بِهِنَّ، فهذه سبعة وثلاثون ضميراً، والثامن والثلاثون ياء المخاطبة، نحو: قومي. والتحرير أن الضمائر تبلغ إحدى وستين ضميراً، فالمرفوع المتصل اثنا عشر، والمنفصل كذلك، فهذه أربعة وعشرون، والمنصوب المتصل اثنا عشر، والمنفصل كذلك فهذه ثمانية وأربعون، والمجرور ولا يكون إلا متصلاً: اثنا عشر، فهذه ستون و ياء المخاطبة ولا تكون إلا مرفوعة واحترز بقيد الاختيار في المتصل من وقوعه بعد إلا في الاضطرار، كقول الشاعر:

وما نبالي إذا ما كنت جارِنا ألا يجاورنا إلاك ديار
وقول الآخر:

أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَرْشِ مِنْ فِتْنَةٍ بَعَثَ عَلَيَّ قَمَالِي عِرْضُ إِلَّا هُوَ نَاصِرُ
والثاني من المعارف، الاسم العلم: وهو مشتق من العلم لأنه يُعَلِّمُ به مَسْمَاءً، وَيُطْلَقُ الْعِلْمُ عَلَى الْجَبَلِ. وقال الشاعر:

رُبَّمَا أَلْفَيْتَ فِي عِلْمٍ تَرُبَّمَا ثَوْبِي شِمَلَاتِ

و حقيقته ما وُضِعَ لِمَعْنٍ خَارِجاً أَوْ دُخِنَا لَا يَتَنَاوَلُ غَيْرُهُ، فَالَّذِي وُضِعَ لِمَعْنٍ فِي الْخَارِجِ يَسْمَى عِلْمٌ شَخْصِي، وَالَّذِي وُضِعَ لِمَعْنٍ فِي الدِّهْنِ يَسْمَى عِلْمٌ جِنْسِي، فَالْأَوَّلُ لِلْعَاقِلِ، كَزَيْدٍ وَعَمْرُو وَزَيْنَبَ، وَلِغَيْرِ عَاقِلٍ، كَسَابِقِ عِلْمًا لِقَرَسٍ وَشَذْقَمِ عِلْمًا لَجَمَلٍ، وَهَبْلَةٍ لَشَاةٍ، وَوَاشِقِ لِكَلْبٍ، وَيَكُونُ لِلْبُلْدَانِ كَمَكَّةَ، وَدِمَشْقَ، وَفَاسَ وَمَرَّاكَشَ. وَأَمَّا عِلْمُ الْجِنْسِ فَهُوَ الَّذِي وُضِعَ لِلْحَقِيقَةِ بَعْدَ تَعْيِينِهَا وَتَشْخِصِهَا فِي الدِّهْنِ كَأَسَامَةِ لِلْأَسَدِ، وَثَعَالَةِ لِلثَّعْلَبِ، وَأَمَّ عَرِيطَ لِلْعَرِيبِ، وَيَكُونُ لِلْمَعْنَى كِبَرَةَ عِلْمٌ عَلَى جِنْسِ الْبَرِّ، وَفَجَارَ عِلْمٌ عَلَى جِنْسِ الْفَجُورِ. قال الشاعر:

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خَطَتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بُرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارَ

والفرق بين النكرة وعلم الجنس أن النكرة تدل على الحقيقة الشائعة من غير تعيين لها في الدِّهْنِ، كَأَسَدٍ وَثَعْلَبٍ، فَيَدُلُّ الْأَوَّلُ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَ مَفْتَرَسٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاحَظَةٍ تَعَيَّنَ فِي الدِّهْنِ، وَعِلْمُ الْجِنْسِ وُضِعَ لِلْحَقِيقَةِ بَعْدَ تَعْيِينِهَا وَتَشْخِصِهَا فِي الدِّهْنِ، فَلِذَلِكَ يَبْدَأُ بِهَا وَيَأْتِي الْحَالُ مِنْهَا، فَتَقُولُ: أَسَامَةُ أَجْرًا مِنْ ثَعَالَةٍ، وَهَذَا أَسَامَةُ مُقْبِلًا، وَلَا تَقُولُ: هَذَا أَسَدٌ مُقْبِلًا، إِذْ لَا يَكُونُ صَاحِبَ الْحَالِ إِلَّا مَعْرِفَةً، وَيَكُونُ الْعِلْمُ اسْمًا كَمَا تَقْدَمُ وَكُنْيَةً؛ وَهُوَ مَا صُدِّرَ بِأَبٍ أَوْ أُمٍّ، كَأَبِي الْقَاسِمِ، وَأَبِي

بكر، وأم الخير، وأم كلثوم. ولقباء إما لمدح، كزَيْن العابدِينَ، أو دَم كقفة، وبطة، وأنف الناقة، ولم يُسَمَّع من العرب تلقيب النساء، وإذا اجتمع الاسم واللقب قُدِّم الاسم كزيد زين العابدِينَ. ولا ترتيب بين الكنية وغيرها.

والثالث من المعارف، الاسم المُنْهَم وشمل الإشارة والموصول، فأما الإشارة فقال في التسهيل: مَا وُضِعَ لِمُسْتَى وَإِشَارَةٌ إِلَيْهِ، ثم إن المشار إليه إما مذكَّرًا أو مؤنَّثًا، وكلُّ مِنْهُمَا إما مُفْرَدًا أو مثنًى أو مَجْمُوعًا، فللمذكر المفرد ذَا، وللمؤنث ذِي، أو ذُو، أو تِي، أو يَه، أو ذِهِي، أو يَهِي، أو تَا، وللمثنى المذكر، ذَانِ رَفْعًا، وَذَيْنِ نَصْبًا وَجَرًّا، وللمؤنث تَانِ رَفْعًا، وَتَيْنِ جَرًّا وَنَصْبًا، ولجمعهما أولى مقصورًا في لُغَةٍ تَمِيم مَمْدُودًا في لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ، فإن كَانَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بَعِيدًا قَرْنَ بِالْكَافِ حَرْفًا مُطَابِقَةً لِلْمُخَاطَبِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، وَالْأَفْرَادِ وَضَدَهُ مَجْرَدَةً مِنَ اللَّامِ أَوْ مَقْرُونَةً بِهَا إِلَّا فِي الْمثنى وَالْجَمْعِ فِي لُغَةٍ مَن مَدَّ، وَفِيهَا سَبَقَتْ هَاءُ التَّنْبِيهِ، وَيُشَارُ بِهِمَا لِلْمَكَانِ الْقَرِيبِ، وَبِهُنَاكَ أَوْ هُنَاكَ، أَوْ ثَمَّ أَوْ هِنَا بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ.

وَأَمَّا الْمَوْصُولُ فَحَقِيقَتُهُ مَا افْتَقَرَ أَبَدًا إِلَى هَائِدٍ أَوْ خَلْفِهِ، وَجُمْلَةٌ صَرِيحَةٌ أَوْ مُؤَوَّلَةٌ وَهُوَ الَّذِي لِلْمُفْرَدِ الْمَذْكَرِ، وَالتِّي لِلْمُفْرَدِ الْمُؤنَّثِ، وَاللَّذَانِ لِتَثْنِيَّةِ الْمَذْكَرِ، وَالتَّلَتَانِ لِتَثْنِيَّةِ الْمُؤنَّثِ رَفْعًا، وَاللَّذَيْنِ وَالتَّلَتَيْنِ نَصْبًا وَجَرًّا، وَالتَّلَيْنِ لَجَمْعِ الْمَذْكَرِ مُطْلَقًا، وَالتَّلَتَيْنِ وَالتَّلَتَيْنِ لَجَمْعِ الْمُؤنَّثِ، وَمَنْ لِمَنْ يَعْقِلُ مُفْرَدًا أَوْ مثنًى أَوْ مَجْمُوعًا، وَمَا لِمَا لَا يَعْقِلُ، إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَا لَا يَعْقِلُ بِمَنْزِلَةِ مَا يَعْقِلُ، فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِمَنْ، وَكَذَلِكَ إِذَا نُزِلَ مَنْ يَعْقِلُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَعْقِلُ لِخِفَةِ عَقْلِهِ فَيُعْبَرُ عَنْهُ بِمَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: الآية 3]، وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعَاقِلُ مَعَ غَيْرِهِ خَيْرُ النَّاطِقِ بَيْنَ مَنْ وَمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الرعد: الآية 15]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: الآية 1]، وَمِنْ الْمَوْصُولَاتِ أَلْ وَدُو، فِي لُغَةٍ طَبِيعِيٍّ، وَذَا بَعْدَ مَنْ وَمَا الْإِسْتِفْهَامِيَّتَيْنِ، تَقُولُ مِنْ ذَا صَنَعَ كَذَا، وَمَاذَا صَنَعْتَ، أَيْ مَا الَّذِي صَنَعْتَ، وَكَذَلِكَ أَيْ، تَقُولُ: أَحَبَّنِي أَتَيْهِمْ قَامَ، أَيْ الَّذِي قَامَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَوْصُولَاتٍ لِأَنَّهَا لَا تَفِيدُ إِلَّا إِذَا وُصِّلَتْ بِشَيْءٍ تَصِيرُ بِهِ ذَالَةً عَلَى مَعْنَى، وَاشْتَمَلَتْ تِلْكَ الصَّلَةُ عَلَى رَابِطٍ يَرْبُطُهَا بِالْمَوْصُولِ، حَتَّى لَا تَكُونَ أَجْنَبِيَّةً. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَكُلُّهَا يَلْتَزِمُ بَعْدَهُ جِلَّةٌ عَلَى ضَمِيرٍ لَا يَنْبِي مُشْتَمِلَةٌ

وَتَقْدَمُ أَنْ مَنْ تَقَعُ عَلَى الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ، وَالْمُفْرَدِ وَالْمثنى وَالْجَمْعِ، فَلَفْظُهَا مُفْرَدٌ وَمَعْنَاهَا يَقَعُ عَلَى مَا تَقْدَمُ، فَالضَّمِيرُ إِنْ عَادَ عَلَيْهَا يَصَحُّ فِيهِ مِرَاعَاةُ لَفْظِهَا لِأَنَّ لَفْظُهَا مُفْرَدٌ مَذْكَرٌ، فَيُفْرَدُ وَيُذَكَّرُ دَائِمًا. وَمِرَاعَاةُ مَعْنَاهَا، فَيُطَابِقُ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَمِنْ

مُراعاة لفظها قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجِلُكَ﴾ [الأنعام: الآية 25] و من مراعاة معناها ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجُونَكَ﴾ [يونس: الآية 42]، فإن راعيت اللفظ قلّك أن تراعي المعنى بعد ذلك، تقول: جاءني من عرفته فأحسنت إليهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجِلُكَ﴾ [محمّد: الآية 16]. وإن راعيت المعنى أولاً فلا يجوز أن تراعي اللفظ بعد ذلك، فلا يجوز أن تقول: جاءني من عرفتهم فأحسنت إليه. وذكر في التسهيل أنه يجوز على قلّة، قال: «ويعتبر المعنى بعد اعتبار اللفظ كثيراً وقد يعتبر اللفظ بعد ذلك».

■ فرع:

يجوز حذف الموصول وإبقاء صلته إذا علم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: الآية 60]، أي ومن عبد الطاغوت، ويجوز حذف الصلة في مقام التهويل والتفخيم، تقول: ما فعلت كذا إلا بعد التي، والتي أي بعد المشقة التي يكمل اللسان عن التعبير عنها، والتي تفوت التعبير، والله تعالى أعلم.

والرابع من المعارف، الاسم الذي فيه الألف واللام نحو: الرجل والغلام، وهو المعروف بأداة التعريف. وقيل الأداة ال برمتها؛ وهو مذهب الخليل، فهي عنده كهل، وقد والهمزة همزة قطع عوملت معاملة همزة الوصل لكثرة الاستعمال، أو اللام فقط. والهمزة همزة وصل، اجتنبت للابتداء بالساكن وهو مذهب سيوني. ودليله أن حرف التنكير حرف واحد، وهو التنوين، فكذلك دليل نقيضه وهو التعريف. ولذلك كانت ساكنة كالتنوين؛ وهي إمّا لبيان الحقيقة من حيث هي؛ وهي التي لا يخلّفها كل، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: الآية 30]. وإمّا لشمول أفراد الجنس؛ وهي التي يخلّفها كل، إمّا حقيقة، نحو: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مَعْيِفًا﴾ [النساء: الآية 28]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ﴾ [العصر: الآية 2]، أو مجازًا، نحو: أنت الرجل علماً، أي اجتمع فيك ما افرق في الرجال. وإمّا عهدية، والعهد إمّا ذكري، نحو: ﴿فَقَعْنِ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: الآية 16]، أو ذهني، نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُقَدِّسِينَ طُوبَى﴾ [طه: الآية 12]، ﴿إِذْ مَكَا فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: الآية 40]. وحضوري، نحو: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية 3]. وبلغها بعضهم إلى عشرين، ست معارف وأربع موصولات، وعشر زائدات، ونظم ذلك القاضي شعبان فقال:

عَرَفَ بِأَلْ أَوْ لَامِهِ وَصِلَ وَزِدَ	وَأَقْسِمَ عَلَى عِشْرِينَ قِسْمًا تَسْتَفِيدَ
عَرَفَ بِسِتِّ نَصْفِهَا لِلْعَهْدِ	وَنَصْفِهَا جَنْسِيَّةٍ فِي الْعَدِّ

وصل بأربع مع اسم الفاعل وصنوه والوصف والمماثل
وزد بمنسر والتزيم بأربعة وغير لازم ترى سئاً مفع

وانظر التوضيح والتصريح، تستخرج ذلك إن شاء الله. والله تعالى أعلم.

الخامس من المعارف: ما أضيف إلى واحد من هذه الأربعة، نحو: غلامك، وغلام زيد، وغلام هذه، وغلام الذي قام أبوه، وغلام الرجل، ثم ذكر النكرة فقال: **وَالنَّكْرَةُ كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ فِي جَنْبِهِ لَا يَخْتَصُّ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ.**

فإذا قلت: رجل أو امرأة، صدق ذلك على جنس الرجال أو النساء. وكذلك أسد بخلاف أسامة، فإنه وضع للحقيقة بعد تعيينها في الذهن، وإن صدقت على كثير، فإن العلم قد يعرض له الاشتراك والعموم في اللفظ بعد التعيين. وقوله: لا يختص به واحد، أدخل الباء على المقصور دون المقصور عليه، والأكثر دخولها على المقصور عليه. تقول: خصصت العطاء بزيد، أحسن من قولك: خصصت زيدا بالعطاء، ونظمه بعضهم فقال:

والباء بعد الاختصاص يكثر دخولها على الذي قد قصروا
وعكسه مستعمل وجيد ذكرها الخبر الهمام السيد

ولو قال: لا يختص بواحد لسلك طريق الأكثر. ثم ذكر ضابطاً آخر فقال: **وَتَقْرِيْبُهُ كُلُّ مَا صَلَحَ دُخُولُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ عَلَيْهِ.**

يريد أو يقع موقع ما يقبلها، نحو ذو، بمعنى صاحب، فإنه لا يقبل ال، ولكن وقع موضع صاحب. فتقول: **الصاحب.** وكذلك مَنْ وَمَا في الاستفهام والشرط، فإنهما لا يقبلانها، ولكنهما واقعا في موقع ما يقبلها، وهو شيء.

وتقول: مررت بمن معجب لك أي مررت بإنسان وبما معجب لك، أي بشيء. وقال الجزولي: «علامة الاسم النكرة إذا كان مُفْرَداً قبول الألف واللام، أو أداؤه معنى ما لا يكون إلا نكرة، وإن كان مُضَافاً، فقبول ما أضيف إليه الألف واللام مباشراً أو بواسطة، أو جواز جزئه نعتاً على النكرة». وكل ما دخل عليه رُبٌّ فهو نكرة.

■ تنبيه:

أنكر النكرات شيء، ثم موجود، ثم محدث، ثم جسم، ثم نام، ثم حيوان، ثم إنسان، ثم بالغ، ثم ذكر، ثم رجل. والأصح أن المعدوم ليس بشيء وعليه فليس شيء أعلى من موجود. وقوله: **تَعْنُو الرَّجُلُ وَالْفَرَسُ.**

هو تمثيل لما يصلح دخول ال عليه مع دخولها بالفعل، والفرس يقع على الذكر

والأنثى وتتميز بالوصف، تقول: فرس أنثى، وقيل: يُقال للأنثى فرسه بالهاء، والجمع لهما أفراس وفروس، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

والمعرفة بالله تظهر في خمسة أشياء، فَمَنْ عَرَفَ الله فيها فهو عارف، ومن جهلها أو أثبتها مع الله فهو تالف:

أولها: الكائنات، نحو: أنا وأنت، فما دمت تقول أنا فَعَلْتُ أو أنت فَعَلْتَ، فأنت جاهلٌ مُشْرِكٌ، وإن غيبت عنك وعن غيرك فأنت مُوَحِّد عارف.

ثانيها: أسماء الأشخاص والأماكن، فإن عَرَفْتَ اللهَ فيها فأنت عارف، وإن أثبتتها مع الله فأنت جاهلٌ، «الأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِتْبَائِهِ، مَمْحُوءَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ، مَا نُصِبَتْ لَكَ الْعَوَالِمُ لِتَرَاهَا بَلْ لَتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا» [الحكم العطائية].

ثالثها: المُبْهَمَاتُ مِنَ الْكَائِنَاتِ، كَهَذَا فَعَلَ كَذَا وَهَذَا فَعَلْتَ كَذَا، فما دام العبد ينسب التأثير للتغير ويتوقع منه ضرراً أو نفعاً فهو جاهلٌ بالله.

رابعها: المُتَعَرِّفُ عِنْدَ النَّاسِ بِالرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ، كَالسُّلَاطِينِ وَالْقَوَادِ، وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاسَةِ الْبَاطِنِيَّةِ، كَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَمَنْ عَرَفَ الله فيهم، ورأى أنهم مُصَرِّفُونَ تَحْتَ قَهْرِيَّةِ الْحَقِّ يَتَصَرَّفُونَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، لَيْسَ يَبْدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْءً، بَلْ لَا وَجُودَ لَهُمْ مَعَ الْحَقِّ فَهُوَ عارف. وَمَنْ أَثْبَتَ لَهُمْ ضَرراً أَوْ نَفْعاً وَدَخَلَ قَلْبُهُ مِنْهُمْ جَزَعٌ أَوْ خَوْفٌ فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللَّهِ، دَعَاؤُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَدَمِهِ.

خامسها: مَا أَضِيفَ لِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، كَالْأَصْحَابِ وَالْعَشَائِرِ فَهُمْ يَمْتَزِلَتِهِمْ، لَا وَجْوهَ لَهُمْ وَلَا تَأْثِيرَ، كَأَنَّ اللَّهَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. نَعَمْ الإِضَافَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الْمُضَافِ، فَمَنْ انْصَافَ إِلَى أَهْلِ الْعِزِّ بِاللَّهِ تَعَزَّزَ وَدَامَ عِزُّهُ، وَمَنْ انْصَافَ إِلَى أَهْلِ الْعِزِّ بِالْخَلْقِ أَوْ بِالْمَالِ، مَاتَ عِزُّهُ وَأَغْبَى الدَّلَالَةُ. وَلِلَّهِ دَرُ الْقَاتِلِ حَيْثُ قَالَ:

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ عَدَا مُضَافًا لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
وَلَيْتَكَ أَنْ تَرْضَى بِمُضْحَبَةِ سَاقِطٍ فَتُنَحِّطَ قَلْبًا مِنْ عِلَاكَ وَتُحَقَّرَا

وَأَرْبَابُ الصُّدُورِ هُمُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ الَّذِينَ صَدَّرَهُمُ اللَّهُ لِنَفْعِ عِبَادِهِ وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ (ص). وَالسَّاقِطُ: هُوَ الْجَاهِلُ بِاللَّهِ وَبِأَحْكَامِهِ كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ. وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرًا مَا يَنْشُدُ هَذَا الْيَتِي:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالسُّقَارِ مُقْتَدٍ

وبالله التوفيق.

بَابُ الْعَظْفِ

العطفُ في اللُّغة الرَّجُوعُ وَالتَّنْثِي، يُقال: عطف الفارس على قرنه إذا رَجَعَ. وعطفت هذا الثوب على هذا، إذا أثبته عليه، وأما في الاصطلاح، فقسمان: عطف بَيَانٍ وعطف نَسْقٍ، ولم يتكلم المؤلف على عطف البيان لقلته، ولإمكان إدراجه في البَدَل، لأنه موافق له غالبًا. والفرق بينهما: أنَّ البَدَل على نية تكرار العامل، وعطف البيان العامل فيه هو العامل فيما قبله. فلذلك قيل كل موضع يصلح للبيان يصلح للبَدَل، إلَّا إذا كان العامل في الأول لا يصلح لمباشرة الثاني، نحو: يا زيد الحارث، فيتعين فيه البيان، إذ لا يصح أن تقول: يا الحارث. وكذلك قول الشاعر:

أنا ابن التارك البكري بَشْرٍ عليه الطير ترقبه وقوعا

فبشر: عطف بيان، وَلَا يصح فيه البَدَلِ، إذ لَا تقول: أنا ابن التارك بشر، إذ لَا يصح المقرون بأن إلى المجرّد مِنهَا. وعطف البَيَان هو كما قال ابن الحاجب: تابع غير صفة، يُوضح متبوعه. قال في الألفية:

قَدْوَ البَيَانِ تَابِعٌ شَبَهُ الصِّفَةِ حَقِيقَةُ الْقَصْدِ بِهِ مُنْكَشِفَةٌ

فالتَّعْتُ يُوضح ما قبله بِصِفَتِهِ، والبيان يُوضح ما قبله لَبَيَانِ ذَاتِهِ، ويكون في المعارف والنكرات، فمثاله في المعارف قول الشاعر:

أَنَسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبَرٍ

فَعمر عطف بيان لأبي حَفْصٍ. ومثاله في النُّكَرَاتِ، قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: الآية 35]، فزيتونة بيان لشجرة. وَلَا التفات لَمَنْ مَنَعَهُ في النكرات، قال ابن مالك:

قَدْوَ يَكُونَانِ مُنْكَرَيْنِ كَمَا يَكُونَانِ مُعَرَّفَيْنِ

وهو في مطابقتها لما قبله كالتَّعْتُ الحقيقي، فيتبعه في أربعة من عشرة، وقد بُنِيَ في التَّعْتُ.

وأما عطف النُّسْقِ فهو الَّذِي ذكره المصنِّف، والنُّسْقُ بفتح الميم اسم مُضَدَّرٍ، ونسقت الكلام أنسقه نسقًا بالتسكين أي عطفت بعضه على بَعْضٍ. والمراد به المَنَسُوق. وأما في الاصطلاح، فهو تابع لما قبله بواسطة حرفٍ متبع، فتابع جنس

يشمل جميع التوابيع، ويؤاسطته خرج سائر التوابيع لأنها بغير واسطة، ويقول ما بعد، أي التفسيرية في نحو قولك: مَرَزْتُ بِغَضَنِّكَ، أي أسد، فأي حرف تفسير، وأسد عطف بيان.

ثم عد حروف العطف فقال: وحروف العطف عشرة أي عند الجمهور، واسقط بعضهم لكن، وبعضهم إنما . وهي:

■ الواو:

وهي لمطلق الجمع، فيعطف بها اللاحق على السابق، نحو: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحديد: الآية 26]، والسابق على اللاحق، نحو: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر: الآية 65]. والمصاحب في الحكم، نحو: ﴿فَأَيُّبَئِنَّهُ وَأَصْحَبَ السِّفِينَةِ﴾ [التكوير: الآية 15]، وإذا قلت: جاء زيد وعمرو، يحتمل المعاني الثلاث. قال ابن مالك: وكونها للمعية أرجح، وللترتيب كثير، وللعكس قليل، وقال كثير من النحويين إنها تفيد الترتيب، وأخذ به الشافعي، فأوجب الترتيب في الوضوء، ونقله الرضي⁽¹⁾ عن الكسائي وابن درست⁽²⁾، يعني إفادتها الترتيب.

■ والفاء:

وهي للترتيب والتعقيب، تقول: جاء زيد فعمرو، أي متصلاً به، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَاهُ غُلًّا فَقَتَلَهُ﴾ [الكهف: الآية 74]، أي كان قتله عقب اللقاء، والتعقيب في كل شيء بحسبه، تقول: تزوج فلان فولد له إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، وتقول: دخلت البصرة فيغدأ إذا لم يكن بينه وبين دخولها إلا ثلاثة أيام. وقد تفيد السببية إذا عطفت جملة أو صفة، فالأول كقوله تعالى: ﴿مَرْكَزُهُ مَوْحَىٰ مَقْصُودَ عَلَيْهِ﴾ [القصاص: الآية 15]، ﴿فَلَقَدْ آدَمُ مِنْ زَوْجِكُنَّ كَانَتْ ثَمَرًا عَلَىٰ﴾ [البقرة: الآية 37]. والثاني: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِلُونَ وَمِنَ الْبَطُونَ﴾ [الصافات: الآية 66]. ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفَرٍ﴾ [الأنعام: الآية ٦٦] ﴿فَأَيُّبَئِنَّهُ وَأَصْحَبَ السِّفِينَةِ﴾ [التكوير: الآية ١٥] ﴿فَلَقَدْ آدَمُ مِنْ زَوْجِكُنَّ كَانَتْ ثَمَرًا عَلَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٣٧].

(1) محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي، نجم الدين: عالم بالعربية، من أهل أستراباذ من أعمال طبرستان، توفي نحو 686. اشتهر بكتابه: الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب، في النحو، وشرح مقدمة ابن الحاجب المسماة بالشافعية، في الصرف.

(2) عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه، ابن المزيان، أبو محمد: من علماء اللغة، فارسي الأصل، ازداد سنة 258. اشتهر ببغداد وتوفي بها سنة 347. له تصانيف كثيرة منها: تصحيح الفصح يعرف بشرح الفصح ثعلب، والإرشاد في النحو، ومعاني الشعر، وأخبار النحويين، ونقص كتاب العين.

[الواقعة: الآيات 52 إلى 54]. وقد تجيء في ذلك بمجرّد الترتيب، نحو: ﴿وَرَأَى الْآلُفَ﴾ [الذاريات: الآية 26] أي مال فجاء يعجل سمين فقرّبه إليهم ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي ضَلَالٍ مِّنْ هَذَا كَكُنْفَرًا عَلَىٰ أَهْلِكَ﴾ [ق: الآية 22]. وقد تكون بمعنى ثم كما في التسهيل، كقوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمَلَكَةَ مِصْكَةَ﴾ [المؤمنون: الآية 14].

■ وثم:

وهي للترتيب مع المهلة وقد تقع موقع الفاء كقول الشاعر:
 كَهْرُ الرديني تحت العجاج جَرَى في الأنابيب ثم اضطرب
 أي جَرَى فاضطرب. وقد تُبدل ثاؤها فاء فيقال: فَمَ، ويقال: ثَمْتُ بِاسْكَانِ الثاء
 وفتحها.

■ وأو:

وهي موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، ولها ست معان:
 أحدها التخيير، نحو: تزوج هذا أو أختها.
 الثاني: الإباحة، نحو: جالس الأولياء أو العلماء، والفرق بينهما أن التخيير لا
 يَجُوزُ الْجَمْعُ بينهما، بخلاف الإباحة.
 الثالث: التقسيم، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف.
 الرابع: الإبهام، نحو: ﴿وَلَيْتَ أَوْ لِيَأْكُم لَمَلٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا:
 الآية 24].

الخامس: الشك، نحو: ﴿لَيْتَا يَوْمًا أَوْ بَحْرٌ يَوْمٍ﴾ [الكهف: الآية 19] والفرق
 بين الإبهام والشك أن الإبهام المتكلم عالم بالحكم، وأبهم على السامع، والشك لا
 علم عنده وإنما هو شاك.

السادس: الإضراب، بمعنى بَلْ، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِنَّا فِتْنَةُ آلِيفٍ أَوْ
 يَرْبُودِكِ﴾ [الصافات: الآية 147]، أثبت ابن مالك، ونوزع فيه، وقد ترد بمعنى
 الواو، كقول الشاعر:

جاء الخلافة أو كانت على قدر كما أتى موسى ربه على قدر

والمراد به حُر بن عبد العزيز، أي جاء الخلافة، وكانت له على قدر سابق، لم
 يتشوّق إليها ولم يطلبها، وقد ترد بمعنى التقريب، نحو: لا أدري أسلم أو ودع،
 وترد بمعنى إن الشرطية، نحو: لأضربنه عاش أو مات، أي إن عاش بعد الضرب أو
 مات، قاله السوداني. وفيه نظر، فإن أو في المثال لا يصلح موضعها إن فتأمله.

■ وَأَمَ:

لطلب التعيين، وتقع بعد هَمْزة دَاخِلَةٍ عَلَى أَحَدِ الْمَتَاوَيْنِ، نحو: أَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرُو؟ إِذَا كُنْتَ قَاطِعًا بِأَنْ أَحَدَهُمَا عِنْدَهُ، وَلَكِنَّكَ تَشْكُكُ فِي عَيْنِهِ، أَوْ بَعْدَ هَمْزَةِ التَّسْوِيَةِ وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ لِسَوَاءٍ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ [البقرة: الآية 6]، وكقولك لَا جَنَاحَ عَلَيْكَ أَوْ لَا خَرَجَ فَعَلْتَ أَمْ لَمْ تَفْعَلْ. وَهَذِهِ الْهَمْزَةُ تَسْبِكُ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِالمصدر، والتقدير: الإنذار وعدمه سواء في حقهم، وهذه أَمْ المتصلة، وَأَمَّا المنقطعة فهي الخالية من هذه القيود، وتكون بمعنى بَلِ الإضرابية، كقوله تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: الآية 35]. وَكُلُّ مَا بَعْدَهَا فِي الْآيَةِ فَهُوَ لِلإِضْرَابِ، وكذا قوله تَعَالَى: ﴿أَمْ هَلْ نَسْتَوِي أَطْلَعْتُمْ وَانْزَرْتُمْ﴾ [الرعد: الآية 16] وَسُمِّيَتْ مُنْقَطِعَةً لِانْقِطَاعِ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا عَمَّا قَبْلَهَا.

■ وَإِمَّا:

وهي مِثْلُ أَوْ فِي مَعَانِيهَا، بِشَرَطِ تَقَدُّمِ إِمَّا أُخْرَى قَبْلَهَا. تقول: خُذْ مِنْ مَالِي إِمَّا دِرْهَمًا وَإِمَّا دِينَارًا، أَوْ جَالِسْ إِمَّا الْعُلَمَاءَ وَإِمَّا الْأَوْلِيَاءَ، وَهَكَذَا. وَقِيلَ: لَيْسَتْ بِعَاطِفَةٍ، وَإِنَّمَا الْعَاطِفُ الْوَاوُ قَبْلَهَا، وهي تفصيلية.

■ وَبَلِ:

لِلإِضْرَابِ وَالرَّدِّ عَلَى الْخَطَا فِي الْحُكْمِ بَعْدَ نَفْيٍ، نحو: مَا قَامَ زَيْدٌ بَلِ عَمْرُو. وَلِضَرْفِ الْحُكْمِ إِلَى مَا بَعْدَهَا بَعْدَ الْإِيجَابِ، نحو: قَامَ زَيْدٌ بَلِ عَمْرُو.

■ وَلَا:

وهي نَافِيَةٌ لِلرَّدِّ عَلَى الْخَطَا فِي الْحُكْمِ بَعْدَ الْإِيجَابِ، تقول: جَاءَ زَيْدٌ لَا عَمْرُو، رَدًّا عَلَى مَنْ اغْتَقَدَ مَجِيءَ عَمْرُو. وَيُعْطَفُ بِهَا أَيْضًا بَعْدَ الْأَمْرِ، نحو: اضْرِبْ زَيْدًا لَا عَمْرُو. وَبَعْدَ التَّنَادِي، نحو: يَا زَيْدٌ لَا عَمْرُو. قَالَ فِي الْإِتْقَانِ: لَمْ تَقَعْ لَا عَاطِفَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

■ وَلَكِنْ:

وهي لِلإِسْتِدْرَاكِ، وَلَا تُعْطَفُ إِلَّا الْمَفْرَدَاتُ وَيَشْتَرِطُ خُلُوقُهَا مِنَ الْوَاوِ وَمَعَ تَقَدُّمِ نَفْيٍ أَوْ نَهْيٍ، نحو: مَا قَامَ زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو. وَلَا تُضْرَبُ زَيْدًا لَكِنْ عَمْرُو. فَإِنْ قُرِنَتْ بِالْوَاوِ وَكَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولٌ أَنَا﴾ [الأحزاب: الآية 40]

فرسول الله خير كان محذوفة، أي ولكن كان رسول الله.

■ وحتى في بعض المواضع:

اعلم أن حتى تستعمل على ثلاثة أوجه:

أحدها أن تكون حرف جر، نحو: ﴿حَتَّى تَطْلُعَ الْفَجْرُ﴾ [القدر: الآية 5]، وهي التي يتصب المضارع بعدها بأن مضمرة.

ثانيها: أن تكون ابتدائية، وهي الداخلة على الجمل الاسمية، كقول الشاعر:

فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا يَدْجُلَةٌ حَتَّى مَاءِ دَجْلَةٍ أَشْكَلُ

أو فعلية التي فعلها ماضٍ، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى عَقَوْا﴾ [الأعراف: الآية 95] أي كثروا.

ثالثها: أن تكون حرف عطف وهو قليل، ولا يكون إلا بغضاً ممّا قبله أو كالبعض، تقول: قَدِمَ الْحُجَّاجُ حَتَّى الْمَشَاةِ، و أعجبتني الجارية حتى كلامها، فإنّ الكلام ليس بغضاً لكنّه كالبعض، وقد يكون المعطوف مُبَايِنًا لِمَا قبله، فيقدّر بغضيتُه كقول الشاعر:

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَنِي يُخَفِّفَ رِجْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلِهِ الْقَاهَا

أي ألقى ما يثقله حتى نعله، ولا يكون المعطوف بها أيضًا إلا غاية لما قبله في شرف أو في خسة، تقول: مات الناس حتى الأنبياء، وجاء الناس حتى الحجاجمون، وقد اجتمعاً معاً في قول الشاعر:

قَهْرُنَاكُمْ حَتَّى الْكَمَاءِ فَأَنْتُمْ تَهَابُونَا حَتَّى بَنِينَا الْأَصَاغِرَا

واختلّف في حتى هل هي لمطلق الجمع كالواو، أو للترتيب كالفاء، أو بين الفاء، وثمّ خلاف.

فإن عطفك بها أي بهذه الحروف العشرة عَلَى مَرْفُوعٍ رَفَعْتَ، أَوْ عَلَى مَنْصُوبٍ نَضَبْتَ، أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ خَفَضْتَ، أَوْ عَلَى مُجْزُومٍ جَزَمْتَ. تقول: في العطف على المرفوع: قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرُو.

وفي عطف المنصوب: رَأَيْتُ زَيْدًا وَعَمَرُوا.

وفي عطف المخفوض: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمَرُو.

وفي عطف المجزوم: زَيْدٌ لَمْ يَذْهَبْ وَلَمْ يَقَمْ.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَذَّ فِيهِ﴾ [الفرقان: الآية

69]، ومثاله في النصب في الفعل قوله تعالى: ﴿لَتَحْيِيَنَّ بِهِ بَلَدَهُ مَبْنًى وَتُحْيِيَنَّ﴾

[الفرقان: الآية 49]، وفي الرفع ﴿وَلَا يُؤْنَسُ لَكُمْ فَيَمْنُزُونَهُ﴾ [المُرسَلات: الآية 36]، ولا يشترط اتحاد الفعلين فيجوز عطف المضارع على الماضي مع اتحاد الزمان، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ [الفرقان: الآية 10]، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُقُورًا﴾، [الفرقان: الآية 10] فيجعل على قراءة الجزم معطوف على جعل ويجوز عطف الاسم الشبيه بالفعل على الفعل كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ﴾ [الأنعام: الآية 95]، وقيل: معطوف على فالق فلا دليل فيه ويجوز العكس وهو عطف الفعل على الاسم الشبيه به، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظُّلُمِ فَوَقَّهُمْ مَنَافِقُ وَيَقِينُ﴾ [المُلْك: الآية 19]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا﴾ [الحديد: الآية 18] وإنما صحَّ العطف مع اختلاف الجنس لصيرورة أحدهما إلى الآخر بالتأويل، فيؤول قوله تعالى: ﴿وَيَقِينُ﴾ بقايضات، و﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالذين تَصَدَّقُوا وأقرضوا واللائي تصدقن وأقرضن ﴿وَيُخْرِجُ﴾ يؤول يخرج، وهكذا، وتعطف الجملة الاسمية على الاسمية والفعلية على الفعلية والعكس فيهما، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

عَلَامَةُ الْعُظْفِ مِنَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ عَشْرَةٌ: هِدَايَتُهُ، وَتَوْفِيقُهُ، وَحِفْظُهُ، وَتَوَلِّيَّتُهُ، وَتَقْرِيبُهُ مِنْ خَضْرَايِهِ، وَكَشْفُ حِجَابِهِ، وَانْتِقَامُهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَقِيَامُهُ بِشُؤْنِهِ بِلا تَعَبٍ، وَقَدْفُ مَحَبَّتِهِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنِهَاضُ الْقُلُوبِ بِهِتِهِ وَحَالِهِ وَكَلَامِهِ.

وَعَلَامَةُ الْعُظْفِ مِنَ الْعَبْدِ عَلَى مَوْلَاهُ: امْتِنَالُ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ، وَالْإِكْتِسَادُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِقَهْرِهِ، وَمَحَبَّةُ كَلَامِهِ، وَمَحَبَّةُ رَسُولِهِ (ص)، وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَمَحَبَّةُ أَوْلِيَائِهِ وَصَحْبَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ، وَالثِّقَةُ بِرَبِّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَعَدَمُ التَّدْبِيرِ وَالِاخْتِيَارِ مَعَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ لِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ الْجَلَالِيَةِ وَالْجَمَالِيَةِ، وَتَحْقِيقُ مَعْرِفَتِهِ، وَدَوَامُ شُهُودِهِ، وَالْحَضُورُ مَعَهُ فِي جُلِّ أَوْقَاتِهِ.

فَهَذِهِ عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

وقال الشيخ من جهة الإشارة: وحروف العطف عشرة، أي أسبابها وهي:

وَأَوُّ الْجَمْعِ أَيِ جَمْعِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَالْجَمْعُ مَعَ أَهْلِ اللَّهِ.

وَقَاءُ التَّرْتِيبِ وَهِيَ تَرْتِيبُ وَظَائِفِ الْعِبَادَةِ فِي الظَّاهِرِ عَلَى تَرْتِيبِ الشَّرِيعَةِ، فَلَوْلَا وَرْدُ مَا كَانَ وَارِدًا، لَا يُنْكَرُ الْوَرْدُ إِلَّا جَهْلًا.

وَتَمَّ التي تدل على المهلة وعدم العجلة، فَالْثَّانِي مِنَ اللُّو، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ، وَمَنْ اسْتَعْجَلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وكان الولي المُكَاشَف المَجْدُوب، سيدي أحمد أبو سلهم⁽¹⁾ كثيراً ما يُنْشِدُنِي هذا البيت حين ندخل عليه في حالٍ شبابي:

نَأْنُ وَلَا تَفْجَلْ لِأَمْرِ تُرِيدُهُ وَكُنْ رَاجِعًا بِالْخَلْقِ تُبْلَى بِرَاجِعِ

وَأُوَ الَّتِي تُفِيدُ التَّخْيِيرَ، فإذا خَيْرَ سَيِّدِهِ اختار العبودية على الحرية، فيقدر ما يتحقق بالعبودية في الظاهر تتحقق له الحرية في الباطن، والعبودية هي السفليات دون العلويات.

أَوْ الْإِبَاحَةِ، فيبيع ماله وعرضه لجميع الخلق، كَأَبِي خَمْضَم، فالصوفي مَالُهُ مُبَاحٌ وَدَمُهُ هَدَرٌ.

أَوْ التَّقْسِيمِ، فيقسم ما جعله الله على يَدَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ كَالْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهَا، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِيئَهُمْ﴾ [البقرة: الآية 60] فيخاطب كل واحدٍ على قَدْرِ فَهْمِهِ وَعَقْلِهِ.

أَوْ الْإِثْهَامِ، فِيهِمْ وَيَكْتُمُ سِرَّهُ اِكْتِفَاءً بِعِلْمِ اللَّهِ، استشرافك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك.

أَوْ التَّشْكِيكِ فِي وِلَايَتِهِ بِعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِأَسْبَابِ الظُّهُورِ، وفي ذلك يقول المَجْدُوب رضي الله عنه:

اُخْفَرُ لِسِرِّكَ وَذُكُّ فِي الْأَرْضِ سُبُحِينَ قَامَا

وَحَلَّ الْخَلَائِقُ يَشْكُو إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَا

أَوْ الْإِضْرَابِ وَهُوَ إِضْرَابُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وتوجهه إلى مَوْلَاهُ، فيقدر ما يَغِيبُ عَنْ حَسَنِ الظَّاهِرِ تَشْرِيقٌ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْبَاطِنِ. قال الشيخ أَبُو الْحَسَنِ رضي الله عنه: «غِبْ عَنْ حَسَنِ ظَاهِرِكَ إِنْ أَرَدْتَ فَتْحَ بَاطِنِكَ».

وَأَمَّ الَّتِي يَطْلُبُ بِهَا التَّعْيِينَ وَهُوَ تَعْيِينَ الْحَقِّ فَيَتَّبِعُ مِنَ الْبَاطِلِ فَيُجْتَنَّبُ، أو تَعْيِينَ طَرِيقِ السُّلُوكِ فَيَسْلُكُهَا عَلَى يَدِ أَهْلِهَا، أو التَّسْوِيَةَ فَيَسْتَوِي عَنْدَهُ الذَّهَبُ وَالتَّرَابُ فِي عَدَمِ الرُّغْبَةِ، وَالذَّلِّ وَالْعِزِّ، وَالْفَقْرِ وَالْبَغْيِ، وَالذَّمِّ وَالْمَذْحِ، وَالْمَنْعِ وَالْعَطَا، وهكذا تستوي عنده الْأَحْوَالُ فَيَتَحَقَّقُ بِمَقَامِ الْاِسْتَوَاءِ الَّذِي يَتَأَهَّلُ بِهِ لِلْوِلَايَةِ الْكُبْرَى.

وَلِأَمَّا: مَا جَرَى فِي أَمِّ يَجْرِي فِيهَا.

وَيَلْ تَشِيرُ إِلَى إِضْرَابِ الْمَرِيدِ مِنَ الْكَوْنَيْنِ غَيْبَةً فِي الْمَكُونِ، فَنَاءً وَشُهُودًا.

(1) معاصر لسيدي أحمد بن عجية الذي ذكره كذلك في فهرسته واصفاً إياه بالولي الصالح المَجْدُوب المكَاشَف. ولم نشر له على ترجمة.

وَلَا تُنْفِي السُّوَى وَتُثَبِّتِ الْمَوْلَى، فَتَقُولُ: الْحَقُّ مَوْجُودٌ لَا غَيْرُهُ.

ولكن تشير إلى استدراك ما فات من العُمُرِ في البطالة والتقصير بالجدِّ فيما بقي والاجتهاد والتشمير. قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: «نِعْمَ بَقِيَّةُ عُمُرِ الْمُؤْمِنِ يَدْرِكُ بِهَا الْعِيدَ مَا فَاتَ وَيُخَيِّ مَا أَمَاتَ».

وحتى تشير إلى انتهاء السَّيْرِ بالوصول إلى غَايَةِ الْمَعْرِفَةِ والتمكين من دوام الشهود، فإن عَطَفْتَ بِهَا عَلَى مَرْفُوعِ رَفْعَتِهِ، أَيْ زِدْتَ فِي رَفْعَتِهِ، أَوْ مَنْصُوبٍ لِلتَّوَجُّهِ وَالسَّيْرِ، نَصَبْتَهُ لَهُ حَتَّى وَصَلْتَهُ، أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ لِلْهَوَى وَالتَّنَاسُلِ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ خَفَضْتَهُمَا لَهُ وَأَعْتَنَّهُ عَلَيْهِمَا، أَوْ عَلَى مَجْزُومِ السَّيْرِ طَالِبِ الْوَصُولِ جَزَمْتَهُ وَشَدَّدْتَ عَقْدَهُ حَتَّى يُشَاهِدَ أَشْرَارَ ذَاتِكَ وَأَنْوَارَ صِفَاتِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

بَابُ التَّوَكِيدِ

وهو مصدر وَكَّدَ، ويُقال التأكيد، مصدر أَكَّدَ. والأول أَكْثَرُ وَأَفْصَحُ، وهو لغة القرآن. قال تعالى: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهِمَا﴾ [النحل: الآية 91]. وهو على قَسَمَيْنِ: لفظي وَمَعْنَوِي، فاللفظي إعادة اللفظ بعينه وتقويته بِمُرَادِفِهِ، نحو: انْزِلْ نَزَالًا، ويكون في الأسماء، نحو قول الشاعر:

أَخْبَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَّاحٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ
ويعلمه:

وإن ابن عمَّ المَرْءِ فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناحٍ
ويكون في الأفعال كقول الشاعر:

فَأَيُّنَ إِلَى أَيُّنَ النِّجَاةَ بِبَغْلَتِي أَتَاكَ أَتَاكَ الْلَّاحِقُونَ أَحْبَسَ أَحْبَسَ
وفي الحروف كقول الشاعر:

لَا لَا أَبُوجُ بِحُبِّ بُشَيْنَةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَانِقًا وَعَهْرَدًا
وفي الجمل:

أَيَا مَنْ لَسْتُ أَقْلَاهُ وَلَا فِي الْبَعْدِ أُنْسَاهُ
لك الله على ذلك لك الله

ونحوه:

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا إِنَّكَ لَا تَرْجِعُ إِلَّا سَالِمًا

قال عز الدين بن عبد السلام: «اتفق الأدباء أن التوكيد اللفظي في لسان العرب لا يزيد على ثلاث مرات». وقد يكون اللفظي مَكْرَرًا بِغَيْرِ لَفْظِ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنَّهُ عَيْنُهُ فِي الْمَعْنَى. قالوا: حسن بسن وشيطان ليطان ورجس نجس وجائع نائع، فالثاني تأكيد لفظي لا معنوي لأنه بالفاظ مَعْلُومَةٌ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْهَا. وأما التوكيد المعنوي، فَحَدُّهُ ابْنُ الْحَاجِبِ بقوله: تابعٌ يقرر متبوعه في النسبة والشمول وعرفه المصنّف بقوله:

التَّوَكِيدُ تَابِعٌ لِلْمُؤَكَّدِ فِي رَفْعِهِ وَنَعْيِهِ وَخَفْضِهِ وَتَقْرِيفِهِ

ولم يقل وتنكيره، لأن ملغَّب البصريين منع توكيد النكرة، لأن المجهول لا

يؤكد وجوْزه الكوفيون إن أفاد وهو الصحيح. قال في الألفية:

وَأَنْ يُفِيدَ تَوْكِيدُ مَنْكُورٍ قِيلَ وَعَنْ نَحْوِ الْبَصْرَةِ التَّنْعُ شَمِلَ

وصحة توكيد النكرة بشرطين: كونها مؤقتة محدودة، وكون التوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول، وذلك نحو قولك: ضمت شهرًا كُلهُ، وسنةً كُلهَا. ومنه قول الشاعر:

لَكِنَّهُ شَانَهُ أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبٍ بِمَا لَيْتَ عِدَّةَ حَوْلٍ كُلَّهُ رَجَبٌ

وقول الآخر:

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرَضَّعًا تَحْمِلُنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلًا ائْتَمَّا

إِذَا بَكَيْتُ قَبْلَنِي أَرْبَعًا إِذَا أَظَلُّ أَبْيِي الذُّهْرَ أَجْمَعًا

وَالذَّلْفَاءُ: الْبُكَرُ.

قال المصنف:

وَيَكُونُ بِأَلْفَاظٍ مَعْلُومَةٍ، وَهِيَ: النَّفْسُ وَالْعَيْنُ

قلت: أما النفس والعين فيؤكد بهما ليرفع توهم المجاز، من حذف مضاف أو غيره أو السهو أو النسيان. فإذا قلت: جاء زيد، فيحتمل جاء خبره أو كتابه أو رَحْله، فإذا قلت نفسه، ارتفع ذلك الإيهام وثبت الحقيقة، فإن أَكْدا مثنى أو مجموعًا جميعًا على وَزْنٍ أَفْعَلٍ، تقول: جاء الزَّيْدَانِ أَنْفُسَهُمَا، أو أَعْيُنُهُمَا، وجوْز ابن مالك ولده تثنيتهما، ومنع ذلك أبو حيان. وإن اجتمعا أخرت العين وجوبًا، تقول: جاء زيد نفسه عينه، ويجوز جرهما بالياء الزائدة، وامتنع ذلك في غيرهما.

وأما:

كُلٌّ، وَأَجْمَعٌ، وَتَوَائِجُ أَجْمَعٍ [وَهِيَ أَكْتَعٌ وَابْتَعٌ وَابْتِغٌ]

فيؤكد بهما لإرادة الإحاطة والشمول، وتوهم إطلاق البعض على الكل، ووجب في أجمع وتوابعه أن تكون غير مضافة، فالخلو من الرابطة شرط فيها كما يشترط في الجملة المضاف إليها.

تَقُولُ: قَامَ زَيْدٌ نَفْسُهُ أَوْ عَيْنُهُ، وَرَأَيْتَ زَيْدًا نَفْسَهُ أَوْ عَيْنَهُ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ نَفْسَهُ أَوْ عَيْنَهُ، أَوْ جَاءَ زَيْدٌ بِنَفْسِهِ أَوْ بِعَيْنِهِ، وَجَاءَ الْجَيْشُ كُلُّهُ، وَالْقَبِيلَةُ كُلُّهَا، وَالْقَوْمُ كُلُّهُمْ، وَالْهِنْدَاتُ كُلُّهُنَّ.

وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ كُلَّهُمْ وَجَاءَ الْجَيْشُ أَجْمَعٌ، وَالْقَبِيلَةُ جَمْعَاءُ.

وَمَرَرْتُ بِالْقَوْمِ أَجْمَعِينَ وَالْهِنْدَاتِ أَجْمَعِ.

وأما تَوَابِعُ أَجْمَعَ فَمِنْ أَكْتَعُ وَأَبْصَعُ وَأَبْتَعُ :

فَأَكْتَعُ مُشْتَقٌّ مِنْ ثَوْبٍ كَتَبَ، أَيْ كَامِلٍ، وَتَكْتَعُ الْجِلْدُ إِذَا اجْتَمَعَ وَتَقَبَّضَ، وَأَبْصَعُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْبَصْعُ هُوَ الْجَمْعُ، سَمِعْتُهُ مِنْ بَعْضِ النُّحَوِيِّينَ وَمَا أَذْرِي مَا حِجَّتُهُ، وَأَبْتَعُ مِنَ الْبَتْعِ وَهُوَ طَوِيلُ الْعُنُقِ، يُقَالُ: بَتَعَ الرَّجُلُ فَهُوَ يَتَبَعُ طَوِيلَ الْعُنُقِ، وَالْأُنْثَى يَتَبَعُ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الثَّلَاثَةُ كَانَ الْأَوَّلُ تَوْكِيدًا مَعْنَوِيًّا وَالْبَاقِي لَفْظِيًّا.

وَمِنْ أَلْفَاظِ التَّوْكِيدِ: كِلَا وَكِلْتَا مُتَصِلَتَيْنِ بِضَمِيرِ الْمُؤَكَّدِ، مُسْتَعْنَى بِهِمَا عَنْ تَشْبِيهِ أَجْمَعَ وَجَمْعَاءِ، نَحْوُ: جَاءَ الْجَيْشَانِ كِلَاهُمَا، وَالْقَبِيلَتَانِ كِلْتَاهُمَا، وَلَا يُؤَكَّدُ بِهِمَا وَيَكُلُّ إِلَّا مَا لَهُ أَجْزَاءٌ، فَلَا يُقَالُ: جَاءَ زَيْدٌ كُلَّهُ، إِذْ لَا يَتَوَهَّمُ مَجِيءُ بَعْضِهِ، وَلَا تَقُولُ: جَاءَ الزَّيْدَانِ كِلَاهُمَا، وَلَا الْهِنْدَانِ كِلْتَاهُمَا؛ لَعَدَمِ تَجْزِئَتِهِمَا، هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ أَشْيَاخِنَا، وَبَرَّدَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الْإِسْرَاءُ: الْآيَةُ 23] فَإِنَّهُ تَوْكِيدٌ لَضَمِيرِ الْوَالِدَيْنِ، أَيْ أَوْ هُمَا كِلَاهُمَا، فَتَأَمَّلْهُ.

■ فَرْعٌ :

إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَوْكِدَ الضَّمِيرَ الْمُتَّصِلَ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْعَيْنِ أَوْ بِهِمَا لَمْ يَجْزُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِهِ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ. تَقُولُ هُنَا خَرَجْتُ هِيَ نَفْسُهَا أَوْ عَيْنُهَا، إِذْ لَوْ قُلْتُ خَرَجْتُ نَفْسُهَا، لَاحْتِمَالِ الْمَوْتِ، وَكَذَلِكَ خَرَجْتُ عَيْنُهَا، لَاحْتِمَالِ خُرُوجِ الْعَيْنِ، وَحَمَلُ عَلَى ذَلِكَ مَا سِوَاهُمَا، نَحْوُ: زَيْدٌ قَامَ هُوَ نَفْسُهُ، وَقَمْتُ أَنْتَ نَفْسُكَ، بِخِلَافِ مَا إِذَا أَكَّدْتَ بغيرهما فَلَا يُلْزَمُ ذَلِكَ، تَقُولُ قَامُوا كُلُّهُمْ وَمَرَزَتْ بِهِمْ أَجْمَعِينَ. وَالْكَلَامُ هُنَا يَطُولُ، فَلْيَنْظُرْ فِي مَحَلِّهِ.

■ الْإِشَارَةُ :

التَّوْكِيدُ فِي الْأُمُورِ وَالْعَزْمِ عَلَيْهَا وَالْجِدِّ فِي طَلِبِهَا تَابِعٌ لِلْمُؤَكَّدِ الْمَطْلُوبِ، فَإِنْ كَانَ أَمْرًا رَفِيعًا عَظِيمًا، كَمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْعَيَانِ، فَالتَّوْكِيدُ وَالْعَزْمُ يَكُونُ بَلِيغًا عَظِيمًا، فَالْحَضْرَةُ مَهْرُهَا النَّفُوسُ، فَبَذَلَ الْأَرْوَاحَ وَالْمُهْجَ قَلِيلٌ فِي حَقِّهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى عَزِيزٌ لَا يُتَالُ إِلَّا بِدَفْعِ الْعَزِيزِ عِنْدَكَ، وَهُوَ نَفْسُكَ، فَيَقْدِرُ اتِّعَابُهَا تَكُونُ رَاحَتُهَا، وَيَقْدِرُ بَيْعُهَا وَالنِّيَّةُ عَنْهَا يَعْظُمُ مَقَامُهَا. فَيَقْدِرُ الْكَدُّ وَالْجِدُّ تَدْرِكُ الْمَعَالِي، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَقْدِرُ الْكَدُّ تَحْسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي

أَتَرِيدُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغْوِسُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وَأِنْ كَانَ الْمُؤَكَّدُ أَيْ الْمَطْلُوبُ مُتَوَسِّطًا، كَعِلْمِ الرُّسُومِ وَحُرُوفِ الْقُرْآنِ، فَالتَّوْكِيدُ وَالْعَزْمُ يَكُونُ مُتَوَسِّطًا، فَقَدْ يُدْرِكُهُ أَهْلُ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ، وَأَهْلُ الْأَسْبَابِ وَالشُّوَاعِلِ

القلبية، بخلاف المقام الأول، فلا يُذَرَكُهُ إِلَّا أَفْلَ التَّجْرِيدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَإِنْ كَانَ الْمُؤَكَّدُ أَمْرًا دُنْيَوِيًّا، فَالتَّوَكُّيدُ وَالْحَرَصُ فِيهِ عَلَى قَدْرِ الْهِمَّةِ.

هَذَا إِشَارَةٌ قَوْلُهُ: تَابِعْ لِلْمُؤَكَّدِ فِي رَفْعِهِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَعْضِهِ أَيْ تَوَسُّطِهِ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي مَعَ الْأَبْرَارِ الصَّالِحِينَ، وَخَفْضِهِ فِي الْمَقَامِ الثَّلَاثِ مَعَ الْغَافِلِينَ، وَتَبَعَهُ أَيْضًا فِي تَعْرِيفِهِ، فَبَقْدَرِ كَدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ يَكُونُ تَعْرِيفُهُ وَكَشْفُ الْحِجَابِ عَنْهُ، وَقَدْ يَتَّبَعُهُ فِي تَنْكِيرِهِ إِنْ قَلَّتْ مُجَاهَدَتُهُ وَتَفَرَّغَتْهُ، فَيَتَنَكَّرُ الْحَقُّ لَهُ عَلَى قَدْرِ شُغْلِهِ عَنْهُ، وَيَكُونُ التَّوَكُّيدُ وَالْجَدُّ فِي الطَّلِبِ بِالنَّفْسِ، أَيْ يَتَّبَعُهَا وَيَبْذُلُهَا لِلْحَتُوفِ وَالْمَكَارِهِ أَوَّلًا، وَبِالغَيْبَةِ عَنْهَا ثَانِيًا، وَيَكُونُ بِالْعَيْنِ أَيْ بِالذَّاتِ بِإِتْعَابِهَا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَبِالْكُلِّ، أَيْ بِالنَّفْسِ وَالرُّوحِ، وَكُلِّ مَا تَمْلِكُ، تَهْبُهُ لِلَّهِ وَلَمَنْ يُعْرِفُكَ بِاللَّهِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْبَدَلِ

البَدَلُ عبارة البصريين، ويعبر عنه الكوفيون بالترجمة والتبيين والتكرير، وحده التابع المقصود بالحكم بلا واسطة، فالتابع جنس يشمل الثوابع الخمسة. وخرج بالمقصود بالحكم سائر الثوابع ما عدا العطف بِلْ بعد الإثبات، وبِلا واسطة العطف بِلْ بعد الإثبات. والمراد بالمقصود بالحكم، استقلاله بالقصد، وانظر المحاذي فقد حرر المسألة.

ثم قال المصنف: إِذَا أُبْدِلَ اسْمٌ مِنْ اسْمٍ، أَوْ فِعْلٌ مِنْ فِعْلٍ، تَبِعَهُ فِي جَمِيعِ إِعْرَابِهِ.

فمثال الاسم من الاسم: ﴿إِنَّ صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۖ﴾ [الله] إبراهيم: الآيتان 1، 2 في قراءة الجر، ومثال بدل الفعل من الفعل: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ﴾ [الفرقان: الآيتان 68، 69]. ويكون في الجمل كقوله تعالى: ﴿أَمَذْكُرَ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ﴾ [أنكروا] [الشعراء: الآيتان 132، 133] الخ. وقوله: فِي جَمِيعِ إِعْرَابِهِ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْبَدَلَ لَا يَتَّبِعُ مَا قَبْلَهُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ، وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ، وَالْإِفْرَادِ وَضَدِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ إِلَّا فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ، وَالْإِفْرَادِ وَضَدِهِ، فَتَبْدُلُ التَّنْكَرَةُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَنفَعَنَّا بِالْآيَةِ ۖ﴾ [الصافات: الآيتان 15، 16]، وَالْمَعْرِفَةِ مِنَ التَّنْكَرَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ﴾ [الشورى: الآيتان 52، 53]. وَأَمَّا التَّنْكَرَةُ مِنَ التَّنْكَرَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَتَوَاضِعُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ﴾ [النبا: الآيتان 31، 32]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ﴾ [الصافات: الآيتان 6، 7]. وَأَمَّا التَّذْكِيرُ وَالْإِفْرَادُ وَأَضْدَادُهُمَا فَإِنْ كَانَ بَدَلَ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ فَلَا بَدَلَ مِنَ الْمَطَابَقَةِ إِلَّا لِمَانَعٍ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ﴾ [النبا: الآيتان 31، 32]، فَإِنَّهُ مُنْعٍ مِنْ جَمْعٍ مَفَازٌ كَوْنُهُ مَضْدَرًا، فَإِنَّ الْمَضْدَرَ لَا يُشْتَرِكُ وَلَا يُجْمَعُ. كَمَا أَنَّهُ إِذَا قُصِدَ تَفْصِيلُ الْبَدَلِ لَمْ يَكُنْ مَطَابِقًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَكُنْتُ كَلْبِي وَجَلْتَنِي رَجُلٌ صَحِيحَةٌ وَرَجُلٌ رَمَى بِهَا الزَّمَانُ فَسُلْتُ

وَأَمَّا أَنْوَاعُ الْبَدَلِ الْبَاقِيَةِ، الْمَبْنِيَّةُ فِيمَا يَأْتِي، فَلَا يَلْزَمُ فِيهَا الْمَطَابَقَةُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ

يُنْ أَنْوَاعِ الْبَدَلِ فَقَالَ:

وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَبَدَلُ
الِاشْتِمَالِ، وَبَدَلُ الْغَلَطِ.

يعني أَنَّ الْبَدَلَ يَنْحَصِرُ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ لَهُ بَدَلُ
الْمُطَابَقَةِ، وَبَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ وَالْعَبَارَتَانِ الْأُولَيَانِ أَحْسَنُ لِأَقْنِصَاءِ الثَّالِثَةِ، اخْتِصَاصُهُ
بِمَا لَهُ أَجْزَاءٌ، مَعَ أَنَّهُ يَقَعُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ، كَذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى، كَمَا تَقَدَّمَ فِي
الْآيَةِ: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ﴾، وَمِثَالُهُ: جَاءَ زَيْدٌ أَخْوَكُ.

وَمِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، أَخَذْتُ الْمَالَ نِصْفَهُ. وَحَقِيقَتُهُ مَا كَانَ مَدْلُولُهُ جُزْأَهُ
الْأَوَّلَ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَقْلَ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ نِصْفَهُ.

وَزَادَ بَعْضُهُمْ: بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا
يُظَلُّونَ فِيهَا شَيْئًا ﴿١٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [مريم: الْآيَتَانِ 60، 61]، وَأَجَابَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ مِنْ
بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ لِأَنَّ الْجَنَّةَ عَامٌّ وَجَنَّاتِ عَدْنٍ بَعْضُهَا.

وَمِثَالُ الْبَدَلِ الْإِشْتِمَالِ، أَحْبَبْنِي زَيْدٌ عِلْمَهُ، وَحَقِيقَتُهُ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوَّلِ
مُلَاسَمَةً بِغَيْرِ الْكَلِمَةِ وَالْجُزْئِيَّةِ، وَقِيلَ: مَا يَصْغَحُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُ بِالْأَوَّلِ وَلَيْسَ كُلُّهُ وَلَا
بَعْضُهُ. وَقِيلَ: مَا اشْتَمَلَ الْعَامِلُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَعْنَاهُ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، اِسْتِمَالًا مَعْنَوِيًّا لَا
كَاسْتِمَالِ الظَّرْفِ عَلَى الْمَظْرُوفِ.

■ تَنْبِيْهُ:

اسْتِغْنَاءُ الْمُصَنِّفِ لَفْظَ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ بِالْتَعْرِيفِ، جَائِزٌ عَلَى مَنْ يَرَى تَنْكِيرَهُمَا
لَفْظًا وَمَعْنَى. وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُمَا مُلَازِمَانِ لِلْإِضَافَةِ، وَتَنْوِينُهُمَا لِلْعَوْضِ فَلَا يَجُوزُ، وَبِهِ
جَزَمَ السِّيُوطِيُّ فِي الْفَيْتِيَّةِ:

كُلُّ وَبَعْضٌ لَزِمَاهَا فَاِشْتِغَاغٌ تَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ أَوْ خَالًا يَقَعُ

ثُمَّ مِثْلُ الْمُصَنِّفِ لِلْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ فَقَالَ: تَقُولُ: قَامَ زَيْدٌ أَخْوَكُ.

هَذَا مِثَالُ الْبَدَلِ الْمُطَابَقَةِ.

وَأَكَلْتُ الرُّغِيفَ ثُلُثَهُ.

هَذَا مِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ تَقَدُّمِ الْأَكْثَرِ أَوْ الْأَقْلَ أَوْ

النِّصْفِ.

وَتَقَعَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ.

هذا مثال لبديل الاشتمال، ويشترط في هذين النوعين اشتمالهما على رابط يربطهما بالمبدل منه، إما ضميراً أو ما يقوم مقامه لفظاً أو تقديرًا، فاللفظي ما تقدم والتقدير كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ [آل عمران: الآية 97] فَمَنْ بَدَلُ مِنَ النَّاسِ أَيِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ، ومثال المقدّر في الاشتمال قوله تعالى: ﴿قِيلَ اخْذُوا الْأَخْذَ ۖ أَكْثَرُ﴾ [البروج: الآيتان 4، 5]، فالنار بدل من الأخدود، أي النار فيه. وقال الكوفيون: أل نائبة عن الضمير فلا تقدير.

ثم مثل لبديل الغلط فقال:

وَرَأَيْتَ زَيْدًا الْفَرَسَ، أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ الْفَرَسَ كَقُلْتَ فَأَبْدَلْتَ زَيْدًا مِنْهُ.

يعني أنك أردت أن تقول: رأيت الفرس، فسبقت لسانك لذكر زيد ثم نطقت بما قصدت، فالفرس بدل غلط أي بدل من الشيء الذي ذكر غلطًا، لا أن البدل هو الغلط كما قد يتوهم، فالغلط إنما هو في المبدل منه لا في البدل. وهذا هو أحد الأقسام في بدل الغلط، وبقي عليه نوعان: الأول بدل الإضراب، ويسمى بدل البداء، والثاني بدل النسيان، والفرق بينهما أن بدل الإضراب المقصود هو الأول ثم ظهر فساد ذلك القصد فأضربت عنه إلى الثاني، وأما بدل النسيان فالمقصود هو الثاني ثم نسي ذلك القصد وقصدت الأول ثم تذكرت فساد قصدك. ومثال ذلك: خذ ثوبًا كتابًا، فيصح مثالاً للأقسام الثلاثة، فإن كان القصد الأمر بأخذ الكتاب، لكن سبق اللسان لذكر الثوب، فبدل غلط، وإن كان المقصود الأمر بأخذ الثوب، ثم تبين له فساد ذلك القصد وأن الصواب هو أخذ الكتاب، فبدل الإضراب و يسمى بدل البداء، وإن كان المقصود هو أخذ الكتاب لا غير، إلا أنه عند إرادة الكلام والأمر ذهب من الحافظة ونسي وخطر مكانه الأمر بأخذ الثوب فبعد أن ذكره زال النسيان، وتعين فساد إرادته فذكر الكتاب، فهذا بدل النسيان، فالغلط محله اللسان والنسيان محله الجنان، لكن الأحسن في الأنواع الثلاثة أن يؤتى بيل المفيدة للإضراب. ومثال بدل الاشتمال في الفعل: أن تصلّ تسجد لله يَرْحَمَكَ، ومثاله في الغلط، إن تضرب تكريم زيدًا يعظّمك، و يبدل الظاهر من الظاهر كما تقدم والمضمر من المضمر نحو أكرمك إيتاك وقيل توكيد، وأما المضمر من الظاهر فلم يقع، نحو: أكرمت زيدًا إياه، وأما الظاهر من المضمر فجائز إن كان بعضًا أو اشتمالاً أو دلّ على إحاطة. فالأول: أعجبتني وجهك، والثاني: كقول الشاعر:

فَمَا الْفَيْتِنِي حَلَمِي مَضَاعًا

والثالث: نحو: جثمت كبيركم وصغيركم. ومنه قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: الآية 114]، والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

إذا أُبدِلَ اسم من اسم في مقام الفناء في الذات، فترقى من اسم العبد إلى اسم الرب، حين تستولي عليه أنوار الحقائق، فيغيب العبد في وجود الرب، وهو مقام الإِصال والاتصال، يغطي الحق تعالى وصف عبده بوصفه، ونعته بنعته، فيوصله بما منه إليه، لا بما من العبد إليه، فيغطي وصف العبودية، بوصف الربوبية، ونعت الحدوث بنعت القدم، فيفنى الحادث ويبقى القديم، أو فعل من فعل في مقام الفناء في الأفعال، فلا يرى قاعلاً قط إلا الله. وفي هذا المقام قال الشاعر:

إذا رأيت الله في الكل فاعِلاً رأيت جميع الكائنات سلاحي

وهذا بداية السالكين ونهاية الصالحين، ووسطه الفناء في الصفات للمستشرقين. قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه: «حقيقة الشرب أي شرب خمرة المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأفعال بالأفعال، والأسماء بالأسماء، والأنوار بالأنوار» الخ كلامه. والمراد بالأنوار الدُّوات بالدُّوات. ومعناه: الغيبة في الله عما سواه.

وقال الشيخ أبو العباس المرمي⁽¹⁾ رضي الله عنه: «الله رجال محي أوصافهم بأوصافه، وأفعالهم بأفعاله، وذواتهم بذاته، وحملهم من الأسرار ما تعجز عنه عامة الأولياء». فإذا أبدل اسمه باسمه، وفعله بفعله، تبعه في جميع تجلياته، فإذا تجلّى سبحانه باسمه القابض، انقبض وينقبض الوجود بقبضه، وإذا تجلّى باسمه الباسط، انبسط وينبسط الوجود ببسطه، لأنه خليفة الله في أرضه، فكل ما يتجلّى به تعالى، يتجلّى في قلب العارف الذي هو بدل من الله في ملكه وتصريفه، ثم يتجلّى في الوجود بجلال أو جمال وهو على أربعة أنواع:

إما أن يكون بدلاً من الحق ونائباً عنه في الكل، وهو مقام الغوث الجامع، لأن المدد كله منه للدائرة كلها، جساً ومعنى.

وإما أن يكون بدلاً منه في البعض، كمقام الأقطاب، والأوتاد، والأبدال، والنجباء، والنقباء، والصالحين، فإنهم يتصرفون في بعض المملكة، على حسب ما ملكهم الله التصريف فيه.

وإما أن يكون بدلاً منه لاشتماله على علوم وأنوار وأسرار، لم توجد لغيره،

(1) أحمد بن عمر المرمي، أبو العباس: وارث سر الإمام الشافعي وأستاذ ابن عطاء الله الإسكندري. من أهل الإسكندرية. أصله من مرسية بالأنلس. توفي سنة 686.

وهذا مقام الأفراد، فإن الفرد أكمل من القطب الجامع في العلم بالله. قال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه: «كان الجنيد قطباً في العلوم، وكان البسطامي⁽¹⁾ قطباً في الأحوال، وكان سهل قطباً في المقامات».

وقد يكون ذلك البذل دعوى وغلطاً، فيترامى على مقامات الرجال بالدعوى و الغلط و هو بعيد منها، نعوذ بالله من الدعاوي العريضة من القلوب المريضة، وبالله التوفيق.

(1) طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بإيزيد: من مشاهير المشايخ الصوفية. نسبته إلى بسطام، بلدة بين خراسان والعراق، وأصله منها حيث ازداد سنة 188 ووفاته بها سنة 261. له أخبار كثيرة وشطحات مشهورة.

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ

أي الأسماء المنصوبات، ثم عُدَّهَا فقال:

الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشْرَ، وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمَصْدَرُ، وَظَرْفُ الزَّمَانِ، وَظَرْفُ الْمَكَانِ، وَالْحَالُ، وَالْتَمِيزُ، وَالْمُسْتَلْتَى، وَاسْمُ لَا، وَالْمُنَادَى، وَالْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ، وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ، وَخَبَرُ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، وَاسْمُ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، وَالتَّابِعُ لِلْمَنْصُوبِ، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التَّمَتُّ وَالْعَظْفُ وَالتَّوَكُّيدُ وَالْبَدَلُ.

قلت: ذكر أولاً أنها خَمْسَةٌ عَشْرَ ولم يعد إلا أَرْبَعَةٌ عَشْرَ، وَلَعَلَّ الْخَامِسَ عَشَرَ هُوَ مَفْعُولًا ظَرْفًا وَأَخَوَاتِهَا. وَأَمَّا خَبَرُ مَا الْحِجَازِيَّةُ وَلَا وَلَاَتِ وَأَنَّ الْمَشَبَّهَاتِ بِلَيْسَ فَنَنْدِرُجُ فِي كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، فَمِثَالُ مَا الْحِجَازِيَّةُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يُوسُفُ: 31]. وَمِثَالُ لَا، قَوْلُهُمْ: لَا أَحَدٌ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَافِيَةِ، وَمِثَالُ لَا ﴿وَلَاَتِ جِبْنَ مَكَمٍ﴾ [ص: 3]. أَيِ وَلَيْسَ الْحَيْنَ حِينَ فَرَارَ، وَالْكَلَامُ عَلَيْهَا مَبْسُوطٌ فِي مَحَلِّهِ.

■ الإِشَارَةُ:

الحَقَامَاتُ الْمَنْصُوبَاتُ لِلْمَرِيدِ إِذَا قَطَعَهَا وَصَلَ خَمْسَةٌ عَشْرَ:

التَّوْبَةُ، ثُمَّ التَّقْوَى، ثُمَّ الْإِسْتِقَامَةُ وَهِيَ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْوَالِهِ، ثُمَّ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، ثُمَّ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ أَيِ الصَّبْرُ فِي الْبَلِيَّةِ وَالشُّكْرُ فِي النِّعْمَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ، ثُمَّ الْوَرَعُ، ثُمَّ الزُّهْدُ، ثُمَّ التَّوَكُّلُ، ثُمَّ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ، ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَالصُّدُقُ وَهُوَ التَّبَرُّيُّ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ثُمَّ الْعِظَامَانِيَّةُ، ثُمَّ الْمِرَاقِبَةُ، ثُمَّ الْمَحَبَّةُ، ثُمَّ الْمَشَاهِدَةُ، ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ وَهِيَ الرُّشُوخُ وَالتَّمَكُّينُ مِنْ شَهَادَةِ الْحَقِّ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

ثُمَّ تَرْجَمَ الْمُصَنِّفُ لِكُلِّ وَاحِدٍ فَقَالَ:

بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ

قلتُ المفاعيلُ خَمْسَةٌ: مفعول به، ومفعول فيه، ومفعول له، ومفعول معه، ومفعول مطلق، وحد الجزولي المفعول الأعمّ الشامل للخمسة فقال: المفعول ما تضمّنه الفعل من حَدِّثَ وزمانٍ، والتزمه الحدث من مكانٍ، واستدعاه من محلٍّ وباعثٍ ومصاحبٍ. فالأول: المفعول المطلق، والثاني: ظرف الزمان، والثالث: ظرف المكان، ويشملهما المفعول فيه، والرابع: المفعول به، والخامس: المفعول من أجله، والسادس: المفعول معه.

وَيَبْدَأُ الْمُصَنِّفُ بِالْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَفْعُولِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَكَانَ حَقُّهُ أَيْضًا أَنْ يَصْدُقَ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ لَكِنْ صَارَ وَصْفُ الْإِطْلَاقِ قِيْدًا فِيهِ، فَلَا يُذَكَّرُ إِلَّا مَقِيْدًا بِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ.

أَيُّ فَلَا يَكُونُ فِعْلًا وَلَا حَرْفًا وَكَوْنُهُ مَنْصُوبًا حَكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهِ وَتَقَدُّمُ مَا فِيهِ، وَيُقَيِّدُ نَصْبَهُ بِمَا لَمْ يَنْبُ عَنِ الْفَاعِلِ. وَقَوْلُهُ: الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ.

أَيُّ يَقَعُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ مَحَلًّا لِفِعْلِ الْفَاعِلِ، وَيَكُونُ الْقَعْلُ الْوَاقِعُ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مُتَعَدِّيًا، وَضَدُّهُ الْإِلَازِمُ الَّذِي لَا يَطْلُبُ شَيْئًا، ثُمَّ مَثَلٌ بِمَثَالَيْنِ فَقَالَ: نَحْوُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ.

إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ صِيغَةِ فَعَلَ أَوْ فَعِلَ الْمُتَعَدِّي، فَرِيدَ وَالْفَرَسَ وَقَعَ الْفِعْلُ عَلَيْهِمَا جِسًّا وَقَدْ يَكُونُ الْوَقْعُ مَعْنَوِيًّا، نَحْوُ: فَهِمْتُ الْمَسْأَلَةَ وَكَتَبْتُ الْعِلْمَ.

وَهُوَ قِسْمَانِ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ، فَالظَّاهِرُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

أَيُّ مِنْ ضَرَبْتُ زَيْدًا، الْخ.

وَالْمُضْمَرُ قِسْمَانِ: مُتَّصِلٌ وَمُنْفَصِلٌ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَقِيقَتُهُمَا.

فَالْمُتَّصِلُ اثْنَا عَشَرَ.

اِثْنَانِ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَخَمْسَةٌ لِلْمَخَاطَبِ، وَخَمْسَةٌ لِلْغَائِبِ. فَالْمُتَكَلِّمُ: نَحْوُ قَوْلِكَ:

ضَرَبَنِي لِلْمُتَكَلِّمِ وَحْدَهُ.

وَضَرَبْنَا لِلْمُعْظَمِ نَفْسَهُ أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ وَلِلْمَخَاطَبِ.

وَضَرَبْتُكَ بَفَتْحِ الْكَافِ لِلْمَذْكُورِ

وَضَرَبْتُكَ بِكَسْرِهِ لِلْمَوْثِقِ.

وَضَرَبْتُكُمَا لِلْمَخَاطِبَيْنِ مطلقًا مُذَكَّرَيْنِ أَوْ مَوْثِقَيْنِ أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ.

وَضَرَبْتُكُمْ لِلْمُخَاطَبَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ

وَضَرَبْتُكُمْ لِلْمُخَاطَبَاتِ الْمَوْثِقَاتِ.

وَضَرَبْتُهُ لِلْمَذْكُورِ الْغَائِبِ.

وَضَرَبْتُهَا لِلْغَائِبَةِ

وَضَرَبْتُهُمَا لِلْغَائِبَيْنِ مُذَكَّرَيْنِ أَوْ مَوْثِقَيْنِ أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ

وَضَرَبْتُهُنَّ لِلْغَائِبَاتِ الْمَذْكُورَاتِ

وَضَرَبْتُهُنَّ لِلْغَائِبَاتِ.

وَالْمَنْفَعِلِ

وهو الذي يصح الابتداء به ويقع بعد إلا في الاختيار اثنا عشر، نحو قولك: إِيَّايَ أَكْرَمْتَ لِلْمَنْكَلِمِ وَخَذَهُ.

وَلِيَّانَا لِلْمَنْكَلِمِ عَظِيمًا أَوْ مُشَارِكًا.

وَلِيَّاكَ لِلْمَخَاطَبِ الْمَذْكُورِ.

وَلِيَّاكَ لِلْمُخَاطَبَةِ.

وَلِيَّاكُمَا لِلْمَخَاطِبَيْنِ مُذَكَّرَيْنِ أَوْ مَوْثِقَيْنِ أَوْ مُخْتَلِفَيْنِ.

وَلِيَّاكُمْ لِلْمَخَاطِبَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.

وَلِيَّاكُنَّ لِلْمُخَاطَبَاتِ.

وَلِيَاءُ لِلْغَائِبِ.

وَلِيَاءُهَا لِلْغَائِبَةِ.

وَلِيَاءُهُمَا لِلْغَائِبَتَيْنِ مُذَكَّرَتَيْنِ أَوْ مَوْثِقَتَيْنِ أَوْ مُخْتَلِفَتَيْنِ.

وَلِيَاءُهُنَّ لِلْغَائِبَاتِ الْمَذْكُورَاتِ.

وَلِيَاءُهُنَّ لِلْغَائِبَاتِ.

واختلف في هذه الضمائر المنفصلة، فقيل: إِيَّا هو الضمير ولواحقه حروف تدل

على التكلُّم أو الخطاب أو الغيبة وهو مذهب سيبويه، وذهب الخليل إلى أن إيا ضمير مضاف إلى لواحقه، وهي ضمائر أيضا. وقال الزجاج⁽¹⁾: إنها من قبيل الأسماء الظاهرة ومعناه حقيقة الشيء. قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: الآية 5] أي حقيقتك نعبد، مشتق من الآية بمعنى العلامة، وهو بعيد. وقيل: إيا عماد والضمير ما بعدها، فهي كحرف زائد.

■ قَائِدَةٌ:

مما يُعرف المفعول به أنه يصح أن يُجعل مبتداً ويُخبر عنه باسم مفعول تام، من لفظ فعله، نحو قولك: ضَرَبْتُ زَيْدًا، فتقول: زيد مَضْرُوبٌ، وَيَجُوزُ حَذْفُ المفعول بِهِ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ أَوْ أَفَادَ حَذْفَهُ الْعُمُومُ، وَيَجُوزُ حَذْفُ نَاصِبِهِ إِنْ عَلِمَ. وَقَدْ يَكُونُ حَذْفُهُ مُلْتَزِمًا. واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

المفعول به هو الذي تحقَّق قَنَائِهِ، وَكَمُلَ بَقَاؤُهُ بِاللَّهِ، قَدْ غَابَ عَنْ وُجُودِهِ وَوُجُودِ فَعْلِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَنْتَرِ، لَيْسَ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ إِخْبَارٌ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ، فَعْلُهُ بِاللَّهِ، وَتَرْكُهُ بِاللَّهِ. فَيَمَثِلُ هَذَا لَمْ يَتَّقَ عَلَيْهِ مِيزَانٌ، وَلَا يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ عِتَابٌ، إِذْ هُوَ نَائِبٌ عَنِ اللَّهِ فِي فَعْلِهِ وَهُوَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ وَصَفَهُمُ الْبَشَرِي مَغْطَى عَنْهُمْ، وَمَغْمُورٌ بِنُورِ الْقَدَمِ، وَإِلَى ذَلِكَ يَشِيرُ مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِمْ: الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ عَيْنَ الْأَسْمِ، أَيْ عَيْنَ الْمُسَمَّى. وَقَوْلِهِمْ: أَصَابَتْكَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ.

ومن ذلك قول سيدنا عمر رضي الله عنه لِلرَّجُلِ الَّذِي شَجَّهَ عَلِيَّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَالْدَّمُ يَسِيلُ عَلَى شَجَّتِهِ: أَصَابَتْكَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ الصَّرِيَةِ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ مَفَاوِضًا لِامْرَأَةٍ فَسَاءَنِي مَا سَمِعْتُ مِنْهُ فَضَرَبْتُهُ.

وَوَرَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي قِصَّةٍ أُخْرَى: أَنَا لَا أَقْيَدُ مِنْ وَرْعَةِ اللَّهِ، وَالْوَرْعَةُ كُتْرَاءُ الْجَيْشِ، الَّذِينَ يَمْشُونَ بَيْنَ صُفُوفِ الْحَرْبِ لِقْوِيْمِهَا وَتَمْهِيْدِهَا. وَذَلِكَ إِشَارَةٌ مِنْهُمْ إِلَى رَجَالِ الْقَبْضَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ بِاللَّهِ، الْأَمْنَاءُ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ وَمَمْلَكَتِهِ؛ وَهُمْ الْمَحْبُوبُونَ الَّذِينَ وَرَدَ فِيهِمْ: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ».

(1) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ببغداد سنة 241 وتوفي بها سنة 311. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو. كانت له مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه: معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، والأمال في الأدب واللغة، وإعراب القرآن.

وقال المصنّف: «هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ» لجريان المقادير عليه، لَمْ يَبْقَ لَهُ تَذْيِيرٌ وَلَا اخْتِيَارٌ، الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْفِعْلُ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ آلَةُ لِفَعْلِهِ وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِهِ، يَنْتَقِمُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ إِذَا شَاءَ؛ وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ: ظَاهِرٌ مَعْرُوفٌ، أَظْهَرَ لِنَفْعِ عِبَادِهِ، أَوْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي الْإِنْدَارِ، وَمُضْمَرٌ خَفِيٌّ؛ وَهُوَ كُنُوزٌ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ، ضَمَّنَّ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ، فَهُوَ مَسْتُورٌ نَحَتْ أَسْتَارَ الْبَشَرِيَّةِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَضَدْرِ

الصواب: التَّعْيِيرُ بالمفعول المطلق لأنه هو الذي يُثَبِّبُ ذَاتَهَا. وَأَمَّا الْمَضَدُّ فَقَدْ يَكُونُ مَرْفُوعًا، نَحْوُ: ضَرْبُكَ ضَرْبٌ شَدِيدٌ، وَمَجْرُورًا، نَحْوُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِكَ، بِخِلَافِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ؛ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبًا، وَالْعُدْرَةُ لَهُ إِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْغَالِبُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَضَدًّا غَيْرَ هُنَّ بِالْمَضَدِّ. وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْهُ غَيْرُ مَضَدٍّ، فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ النِّيَابَةِ عَلَى مَا يَأْتِي. وَلِذَلِكَ عَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: الْمَفْعُولُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الْمَصْدَرُ الْفُضْلَةُ، الْمُسَلَّطُ عَلَيْهِ عَامِلٌ مِنْ لَفْظِهِ، أَوْ مِنْ مَعْنَاهُ. فَالْأَوَّلُ، نَحْوُ: ضَرْبَتُهُ ضَرْبًا. وَالثَّانِي: جَلَسْتُ قَعُودًا. وَاحْتَرَزَ بِالْفُضْلَةِ مِنَ الْعُدْوَةِ، نَحْوُ: كَلَامُكَ كَلَامٌ حَسَنٌ، وَطَالَ جُلُوسُكَ، فَإِنَّهُ مَضَدٌ غَيْرُ مَفْعُولٍ مَطْلُوقٍ. وَعَرَفَهُ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: اسْمٌ يُوَكِّدُ عَامِلَهُ، أَوْ يَبَيِّنُ نَوْعَهُ أَوْ عَدَدَهُ. وَلَيْسَ بِخَبَرٍ وَلَا حَالٍ. وَعَرَفَ الْمُصَنِّفُ الْمَصْدَرَ الَّذِي يَكُونُ مَفْعُولًا مَطْلُوقًا فَقَالَ:

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يَجِيءُ ثَالِثًا فِي تَصْرِيفِ الْفِعْلِ، نَحْوُ: قَوْلُهُمْ فِي تَصْرِيفِ ضَرْبٍ ضَرْبٌ يَضْرِبُ ضَرْبًا وَقَامَ يَقُومُ قِيَامًا، وَأَكْرَمَهُ يَكْرُمُهُ إِكْرَامًا. وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: لَفْظِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ، فَإِنْ وَافَقَ لَفْظُهُ لَفْظَ فِعْلِهِ فَهُوَ لَفْظِيٌّ، نَحْوُ: تَنَلَّهَ قَتْلًا.

ومثله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية 164].

وَإِنْ وَافَقَ مَعْنَى فِعْلِهِ دُونَ لَفْظِهِ، فَهُوَ مَعْنَوِيٌّ، نَحْوُ: جَلَسْتُ قُعُودًا، وَقُمْتُ وَقُومًا.

قلت: إنما سُمِّيَ الْأَوَّلُ لَفْظِيًّا لِاتِّفَاقِ الْمَضَدِّ مَعَ عَامِلِهِ فِي اللَّفْظِ الْمُسْتَلَزِمِ لِلْمَعْنَى، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَمَّا اخْتَلَفَا لَفْظًا وَاتَّفَقَا مَعْنَى سُمِّيَ مَعْنَوِيًّا؛ وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الثَّانِي الْفِعْلَ الْمَذْكُورَ، وَجَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ التَّحْوِيلِينَ مَنْصُوبًا بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ مِنْ لَفْظِهِ، فَيَكُونُ لَفْظِيًّا. فَيَسْقُطُ هَذَا الْقِسْمُ الْمَعْنَوِيُّ؛ وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ؛ فَهُوَ مِنْ بَابِ النِّيَابَةِ عَنِ الْأَصْلِ الْمَوَافِقِ لِلْفِعْلِ. فَقَدْ يُحَذَفُ الْمَصْدَرُ الْمَفْعُولُ الْمَطْلُوقُ، وَيَنْتَوِبُ عَنْهُ أَشْيَاءٌ، فَمِنْ ذَلِكَ: كُلٌّ وَبَعْضٌ مُضَافَيْنِ إِلَى الْمَصْدَرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَكْمِلُوا كُلَّ الْبَيْلِ﴾ [النساء: الآية 129]، ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ﴾ [الحاقة: الآية 44]. وَكَذَلِكَ الْعَدَدُ، نَحْوُ: ﴿فَأَجْلِدُوهُ ثَمْتَيْنِ جَلْدَةً﴾ [النور: الآية 4].

وَأَسْمَاءُ الْآلَاتِ، نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ سَوْطًا. وَالصِّفَاتِ، نَحْوُ: «وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا» [آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ 41] أَيْ ذَكَرًا كَثِيرًا. وَمِنْهُ: «وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا» [البقرة: الْآيَةُ 35] أَيْ أَكْلًا رَعْدًا. وَقِيلَ: حَالٌ مِنَ مَضَرِّ الْفِعْلِ الْمَفْهُومِ مِنْهُ، أَيْ فَكَلَّا حَالَهُ كَوْنُ الْأَكْلِ رَعْدًا. وَانْظُرْ شَرْحَ شَيْخِ عَلِيِّ بَرَكَةَ، فَقَدْ اسْتَوْفَى الْمَسْأَلَةَ نَثْرًا وَنَظْمًا.

■ تَنْبِيهَاتٌ:

الْأَوَّلُ: الْمَضَرُّ هُوَ الْأَصْلُ لِلْفِعْلِ وَالْوَضْعِ، فَهُمَا مُشْتَقَانِ مِنْهُ عَلَى الْمُخْتَارِ.

الثَّانِي: النَّاصِبُ لِلْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، إِمَّا فَعْلُهُ أَوْ مَضَرُّهُ مِثْلُهُ، نَحْوُ: «فَاتَتْ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مُوقُورًا» [الْإِسْرَاءُ: الْآيَةُ 63] أَوْ وَصْفٍ، نَحْوُ: «وَالْمَقْتَلَتِ سَفَا» [الصَّافَاتِ: الْآيَةُ 1].

الثَّالِثُ: الْمَفْعُولُ الْمَطْلُوقُ: فَائِدَتُهُ ثَلَاثٌ: إِمَّا أَنْ يُوَكَّدَ عَامِلُهُ، نَحْوُ: ضَرَبَهُ ضَرْبًا، أَوْ يُبَيَّنَّ نَوْعُهُ، نَحْوُ: بَسَرْتُ سَبْرًا حَسَنًا. أَوْ عَدَدُهُ، نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ضَرْبَاتٍ.

الرَّابِعُ: يَجُوزُ حُذْفُ عَامِلِ التَّوْحِي وَالْعَدَدِيِّ دُونَ التَّوَكِيدِيِّ، قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ: وَحُذِفَ عَامِلُ الْمُؤَكَّدِ عَلَيْهِ وَلَدَهُ بَذَرُ الدِّينِ امْتَنَعَ وَفِي سِوَاهُ لِدَلِيلِ مُتَّسَعٍ وَاعْتَرَضَ، بِالْمَضَرِّ الثَّانِبِ عَنْ فِعْلِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَضْرَبَ الرَّقَابَ» [مَحَمَّدُ: الْآيَةُ 4]، فَإِنَّ التَّقْدِيرَ: فَاضْرِبُوهُمْ ضَرْبَ الرَّقَابِ. فَقَدْ حُذِفَ مَعَ كَوْنِهِ مُؤَكَّدًا لِعَامِلِهِ، قَالَ الْمَكُودِيُّ⁽¹⁾ وَاعْتَرَاضُهُ فَتَحَهُ. وَرَدَّهُ أَبُو إِسْحَقَ الشَّاطِئِيُّ⁽²⁾ بِأَنَّ الْمَضَرَّ الثَّانِبَ عَنْ فِعْلِهِ لَيْسَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ لِعَامِلِهِ فِي شَيْءٍ. بَلْ هُوَ نَائِبٌ عَنْهُ وَقَائِمٌ مَقَامَهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى، فَلَا يَلَاظُ ذَلِكَ الْفِعْلُ أَضْلًا، بَلْ صَارَ نَسْبًا مَنْسِيًا. قَالَ ابْنُ غَازِي رَجَعَهُ اللَّهُ: وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فِي طَرَةِ الشَّارِحِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَأَبْنُ السُّبُونِ إِذَا مَا لَرَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةُ الْبَزْلِ الْقَنَاجِيسِ

(1) عبد الرحمان بن علي المكدودي، أبو زيد: عالم بالعربية، نسبته إلى بني مكدود، قبيلة قرب فاس. مولده بفاس ووفاته بها سنة 807. له: شرح ألفية ابن مالك، وشرح مقدمة ابن أجروم، ومنظومة البسط والتعريف في علم التصريف، وشرح المقصور والممدود لابن مالك.

(2) إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطي، أبو إسحاق: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، من أئمة المالكية. توفي سنة 790. من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، الإفادات والإنشادات في الأدب، أصول النحو، الاعتصام في أصول الفقه، شرح الألفية سماه المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، قال فيه التنبكي: لم يؤلف على الألفية مثله بحثاً وتحقيقاً فيما أعلم.

والبزْل: الجمل الكبير الذي بَلَغَ خَمْسَ سِنِينَ أو سِتًّا فأكثر و القَنَاجيس: القوي الغليظ وهو مثالٌ لِعَنٍ يَغْتَرِضُ عَلَى الْأَكَابِرِ ولم يَبْلُغْ مَبْلَغَهُمْ. والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

المصدر ما صَدَرَ عن الحقِّ من أنوار تجلّياته، وأسرار ذاتِهِ وهو الاسم المنسوب، أي ما نُصِبَ من الكائنات لِيُعرفَ بِهَا، ويُشهدَ فِيهَا، فما نُصِبَتِ الكائنات لتراها بل لثرى فيها مَوَلاَهَا. وقال صاحب العينية:

فَأَوْصَافُهُ وَالْإِسْمُ وَالْأَثَرُ الَّذِي هُوَ الْكَوْنُ عَيْنُ الدَّاتِ وَاللَّهُ جَامِعُ

وقال فيها أيضًا:

هُوَ مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ وَجُودُهَا وَعَيْنُ دَوَاتِ الْكُلِّ وَهُوَ الْجَوَامِعُ

ولأنما يجيء هذا ويكشف في تصريف الفعل ثالثًا، في فعل الشريعة، والطريقة، والحقيقة. فتشتغل النفس أولاً بأفعال الشريعة حتى ترناضَ بِهَا وتذوق حَلَاوتَهَا، وتشتغل القلب ثانيًا بأفعال الطريقة، فيتخلّى عَنِ الرَّذَائِلِ، ويتحلّى بِالْفَضَائِلِ، وتشتغل الروح ثالثًا بِالْعُكُوفِ فِي بَحْرِ الْحَقَائِقِ، حتى تَسْتَمِرَّ مَعَهَا وَيَرْسُخَ قَدَمُهَا فِي شُهُودِ أَنْوَارِهَا وَأَسْرَارِهَا.

وهو: أي ما صَدَرَ من الكائنات، على قسمين: قسم غلبَ مَعْنَاهُ عَلَى جِسْمِهِ فصار معنويًا كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعَارِفِينَ من بني آدَمَ، وقسم غلبَ جِسْمُهُ عَلَى مَعْنَاهُ، كَالْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ، ويلحق بهم مَنْ غلبَ جِسْمُهُ عَلَى مَعْنَاهُ وشهوَتُهُ عَلَى عَقْلِهِ من بني آدَمَ، وهم الْمُنْهَمِكُونَ فِي الْعَقْلَةِ، الْمُنْكَبُونَ عَلَى الدُّنْيَا بِالْكَلْبَةِ، فَانْظَمَسَتْ بِصِبْرَتِهِمْ، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ جِسْمِهِمْ، فَهُمْ مَسْجُونُونَ بِمُحِيطَاتِهِمْ، مُحْضَرُونَ فِي هَيْكَلِ دَائِمِهِمْ، عَائِدًا بِاللَّهِ مِنْ خَالِهِمْ.

قال بعض العارفين: الْخَلْقُ ثَلَاثٌ: قسم لهم عَقْلٌ بِلاَ شَهْوَةٍ، وهم الْمَلَائِكَةُ. وقسم لهم شَهْوَةٌ بِلاَ عَقْلٍ، وَهُمْ الْبَهَائِمُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ. وقسم لهم عَقْلٌ وشَهْوَةٌ، وهم بَنُو آدَمَ. فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ عَلَى شَهْوَتِهِ، كَانَ كَالْمَلَائِكَةِ أَوْ أَفْضَلَ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَلَى عَقْلِهِ كَانَ كَالْبَهَائِمِ أَوْ أَضَلَّ، وَمَا شَرَفَ اللَّهُ الْآدَمِيَّ وَكَرَّمَهُ بِهِ إِلَّا بِمُجَاهَدَةِ شَهْوَتِهِ، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَزَجَّرَهَا حَتَّى مَلَكَهَا وَظَفَرَهَا، كَانَ أَشْرَفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِذْ لَا مُجَاهَدَةَ لَهُمْ، فَلَا تَكْمِلُ مُشَاهَدَتُهُمْ كَمَالَ الْآدَمِيِّ. وبالله التوفيق.

بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ

هذا هو الثالث من المفاعيل وهو المفعول فيه، وتُسَمَّى البصريون الظرف، وهو في اللغة: الوجود. وحده بعضهم فقال: «هو ما ذكر فضلة لأمر وقع فيه، من اسم زمان مطلقاً، أو مكان مُبْهَم، أو مادته مادة عاملة». وعرفه المصنف ببعض خواصه فقال: ظَرْفُ الزَّمَانِ هُوَ اسْمُ الزَّمَانِ أَي مُبْهَمًا كَانَ أَوْ مُخْتَصًّا الْمَنْصُوبُ أَي بِفِعْلٍ أَوْ شَيْءٍ يُتَقَدَّرُ فِيهِ أَي بِتَضَمِينِ مَعْنَى فِي الدَّالَّةِ عَلَى الظرفية وليس المراد أن في مقدرة فيه أو كانت هناك وحده، لأن هذا النوع يُقال فيه مَنْصُوبٌ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ، وهو غير مُطَّرَدٍ إِلَّا مَعَ إِنَّ وَأَنْ وَكَيْ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وإنما المراد أن الكلمة تَضَمَّنَتْ وَقُوعَ شَيْءٍ فِيهَا، ثم حدَّ الظروف فقال: نَحْوُ: الْيَوْمَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية 3]. فالיום ظرف لأَكْمَلْتُ، واليوم عند العرب من طلوع الفجر إلى الغروب، ومثله النهار. وَرُويَ عَنِ الشَّعْبِيِّ⁽¹⁾ أَنَّ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ لَيْسَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا مِنَ النَّهَارِ.

وَاللَّيْلَةُ وَهِيَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَهَذُوَّةٌ وَهِيَ مِنْ صَلَاةِ الشُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. وقيل: من طلوع الشمس إلى وقت الضحى. وَيُقَالُ لَهَا الْغَدَاةُ. وَقَدْ مَدَّحَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الصِّفَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: الآية 52]، أَي يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهَا. وفي الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ أَكْثَفُكَ مَا بَيْنَهُمَا». وفي حديث آخر: «ذَكَرَ اللَّهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلَ مِنْ حَطَمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَبُكْرَةٌ وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ؛ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْغَدَاةِ.

وَسَحْرًا بِالتَّنْوِينِ، إِذَا لَمْ تُرَدِّ بِهِ سَحَرٌ يَوْمَ بَعِيْنِهِ. وَإِذَا أُرِدَتْ ذَلِكَ لَمْ تَتَوَّنْ لَا مَتْنَعٍ صُرْفُهُ لِلْعَدْلِ وَالتَّعْرِيفِ؛ وَهُوَ ثَلَاثُ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْفَجْرِ.

وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِي يَوْمَكَ.

(1) عامر بن سراحيل أو عبد الله الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد بالكوفة نحو سنة 19 وتوفي بها سنة 103. من رجال الحديث الثقات، استقضىه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً، شاعراً.

وَعَتَمَةٌ وَهُوَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ مِنْ مَغِيبِ الشَّقَقِ.

وَصَبَاحًا وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ، كَالْغَدَاةِ.

وَمَسَاءً وَهُوَ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ.

وَأَبَدًا وَهُوَ مَا يَسْتَفِرِقُ الزَّمَانُ الْمُسْتَقْبَلُ.

وَأَمَدًا وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الزَّمَانِ مُبَهَمَةٌ.

وَجِينًا وَوَقْتًا وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ؛ وَمَعْنَاهُمَا مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ مُبَهَمَةٌ، فَمَنْ خَلَفَ أَنَّهُ لَا يَكْلَمُ فَلَانًا أَمَدًا أَوْ حِينًا أَوْ وَقْتًا لَرَمَاهُ سَنَةً احْتِيَاطًا. قَالَ خَلِيلٌ: وَسَنَةٌ فِي حِينٍ وَزَمَنٍ وَعَصْرٍ وَدَهْرٍ. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ أَوْ أَضْيَفَ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَمَانًا، كَكُلِّ وَبَعْضٍ، نَحْوُ: سِرْتُ كُلَّ الْيَوْمِ، أَوْ بَعْضُ الْيَوْمِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَوَظَرْتُ الْمَكَانَ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ أَيْ الْمُبْهَمِ؛ وَهُوَ مَا لَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ، وَلَا حُدُودٌ مَخْصُورَةٌ، بِخِلَافِ الْمُخْتَصِّصِ، وَهُوَ مَا لَهُ صُورَةٌ كَالدَّارِ وَالْمَسْجِدِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَلَا تُنْصَبُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَإِنَّمَا تُنْصَبُ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ.

الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرٍ فِي أَيِّ بَتَضْمِينٍ فِي كَمَا تَقَدَّمَ. وَخَرَجَ مَا لَيْسَ عَلَى مَعْنَى فِي، نَحْوُ: رَأَيْتُ مَكَانَ زَيْدٍ، فَإِنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ، فَمِنْ الْمُبْهَمِ الْجِهَاتُ السَّتُّ.

نَحْوُ: أَمَامَ وَخَلْفَ وَقُدَّامَ بِمَعْنَى أَمَامَ.

وَوَرَاءَ بِمَعْنَى خَلْفَ.

وَفَوْقَ وَتَحْتَ وَيَمِينٍ وَيسَارٍ، نَحْوُ: جَلَسْتُ أَمَامَ الْخَطِيبِ، خَلْفَ السَّارِيَّةِ، فَوْقَ الْبَسَاطِ، تَحْتَ السَّقْفِ، يَمِينُ الْمَحْرَابِ، يسَارُ الْبَابِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُفُ: الْآيَةُ 76]، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الْكَهْفُ: الْآيَةُ 82]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ [الْكَهْفُ: الْآيَةُ 79]، ﴿تَرْوَدُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الْكَهْفُ: الْآيَةُ 17].

وَيُلْتَحَقُ بِأَسْمَاءِ الْمَكَانِ مَا أَشْبَهَهُ فِي الْإِبْهَامِ، كَجَبْرِيدٍ وَقَرْسَخٍ وَبَيْلٍ، وَإِنْ كَانَتْ مَحْدُودَةً فَمَكَانَهَا غَيْرُ مَعْيْنٍ.

وَمِنْ الْمُبْهَمِ: حِينَذَ لِمَا قَرُبَ مِنَ الْمَكَانِ، نَحْوُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاقِعُ الْمُنْبِيِّ﴾ [الْأَنْعَامُ: الْآيَةُ 59] فَعِنْدَ مَنْصُوبٌ بِالِاسْتِثْقَارِ لِأَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ.

وَمَعَ لِمَكَانٍ الْاجْتِمَاعِ، وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِلْإِضَافَةِ وَقَدْ تُنَوَّنُ وَتُنْصَبُ عَلَى الْحَالِ، نَحْوُ: جَاءَا مَعًا، وَجَاوَا مَعًا. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَلِكًا لِيَطْلُوعِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبِثْ لَيْلَةً مَعًا

وَلِإِذَا وَجِذَاءَ لِلْمَكَانِ الْمَلَاقِي.

وَتَلْقَاءَ لِلْمَكَانِ الْمَوَاجِه.

وَهُنَا إِشَارَةٌ لِلْمَكَانِ الْقَرِيبِ وَقَدْ تَقَدَّمَهُ هَاهُ النَّبِيهِ، وَإِنْ أُرِيدَ الْبَعِيدُ، أَلْحَقَهُ كَأَنَّ
الْخَطَابَ، أَوْ مَعَ اللَّامِ، نَحْوُ: ﴿هَٰذَاكَ أَبْنَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الْحَزَابُ: الْآيَةُ 11].

وَقَدْ اسْمُ إِشَارَةٍ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْزُقْنَا نَحْنُ الْآخِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ:
الْآيَةُ 64]، ﴿وَلِإِذَا رَأَيْتَ نَحْنُ رَأَيْتَ نَحْنُ﴾ [الْإِنْسَانُ: الْآيَةُ 20]، أَيْ وَإِذَا وَقَعْتَ مِنْكَ رُؤْيَا
وَأَنْتَ نَحْنُ رَأَيْتَ نَحْنُ نَحْنُ وَمُلْكًا كَبِيرًا.

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَكَانِ الْمُبْتَهَمِ، كَجَانِبٍ وَنَاحِيَةٍ، وَيَدْخُلُ
فِيهِ مَا صِيغَ مِنَ الْمَصْدَرِ، وَإِنْ كَانَ مَخْتَصًّا كَمَقْعَدٍ وَمَجْلِسٍ وَمَرْمَى، بِشَرَطِ أَنْ يَعْمَلَ
فِيهِ مِشَارُكَهُ فِي الْمَادَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا كَمَا تَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلشَّجَرِ﴾ [الْجَنُّ: الْآيَةُ
9] وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَصْلُحُ لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، تَقُولُ: قَعَدْتُ مَقْعَدَ زَيْدٍ، أَيْ فِي مَكَانِهِ
أَوْ زَمَانٍ قُعُودِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الظَّرْفَ عَلَى قِسْمَيْنِ، مُتَصَرِّفٌ وَغَيْرُ مُتَصَرِّفٍ، فَالْمُتَصَرِّفُ
هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ إِلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَالْمَفْعُولِيَّةِ، وَالْإِبْتِدَاءُ وَالْخَبَرُ، كَالْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ
وَشَبِيهَهُمَا، تَقُولُ: أَعْجَبَنِي يَوْمُكَ، وَلَيْلَتُكَ لَيْلَةُ مُبَارَكَةٍ، وَأَعْجَبَنِي غَدُوكَ، وَصَبَاحُكَ
حَسَنٌ، وَمَسَاوُكُ مُبَارَكٌ، وَعَتَمَتُكَ مُبَارَكَةٌ، ﴿يَجِيئُهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [الْقَمَرُ: الْآيَةُ 34].

وَالَّذِي لَا يَتَصَرَّفُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ لَا يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ قَطً، نَحْوُ: قَطً، وَعَوَاضٌ،
تَقُولُ: مَا فَعَلْتَهُ قَطً أَيْ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا أَفَعَلَهُ عَوَاضٌ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ
الْوَاوِ، أَيْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقِسْمٌ يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ إِلَى مَا يُشَبِّهُهَا، وَهُوَ الْجَرُّ
بَيْنَ: لِأَنَّ الْجَرَّ بَيْنَ أَخَوِ الظَّرْفِ، وَهُوَ خَمْسَةُ حُرُوفٍ: قَبْلُ، وَبَعْدُ، وَدُونُ، وَعِنْدُ،
وَلَدُنْ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ عِنْدَ وَلَدُنْ أَنَّ لَدُنْ تَدُلُّ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَالْإِنْصَاقِ دُونَ عِنْدَ، وَيَتَقَسَّمُ
الظَّرْفُ أَيْضًا إِلَى مُتَصَرِّفٍ وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّنْوِينُ، وَإِلَى غَيْرِ مُتَصَرِّفٍ وَهُوَ الَّذِي لَا
يَدْخُلُهُ ذَلِكَ، كَسَحَرٍ إِذَا أُرِيدَ سَحَرٌ يَوْمٌ بَعِيْنِهِ. وَقَدْ يَكُونُ الظَّرْفُ مَبْنًى عَلَى الْكَسْرِ
كَأَنْسٍ إِذَا أُرِيدَ الْيَوْمُ الَّذِي قَبْلَ يَوْمِكَ.

■ قَرَعُ:

قَدْ يُحْتَلَفُ الظَّرْفُ وَيَنْوِبُ عَنْهُ الْمَصْدَرُ، تَقُولُ: جَلَسْتُ قَرَبَ زَيْدٍ، أَيْ مَكَانَ
قَرِبِهِ، وَجِئْتُكَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، أَوْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَيْ وَثْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَوَقْتُ
صَلَاةِ الْعَصْرِ. وَفِي الْخُلَاصَةِ:

وَقَدْ يَنْوِبُ عَنِ مَكَانٍ مَصْدَرٌ وَذَلِكَ فِي ظَرْفِ الزَّمَانِ يَكْثُرُ

■ تَنْبِيْهُ:

الظروف كلها مُذَكَّرَةٌ إِلَّا قُدَّامَ، وَوَرَاءَ، قاله ابن عُصفور في شَرْحِ الْجُمْلِيِّ. والله تعالى أَعْلَمُ.

■ الْإِشَارَةُ:

اعْلَمْ أَنَّ الوجودَ المتجَلِّيَ به كُلُّهُ ظروف وأواني لأَسْرَارِ المعاني. ولذلك قال الشَّيْخُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي
لِمَمْلُوكِكَ تَرَائِي

وَالْأَوَانِي عَيْنُ الْمَعَانِي، إِذْ لَا اثْنِيَّةَ فِي الوجودِ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَيْضًا:
إِنَّ نَطْقِي مِنْ خَلْفِ ذَاكَ الْأَوَانِي وَأَنَا دَائِمُ كُلِّ الْأَوَانِي أَوَانِي
قَالَ كَوْنُ كُلِّهِ كَثَلَجَةٌ، وَالثَّلْجَةُ ظَاهِرُهَا ثَلْجَةٌ جَامِدَةٌ، وَبَاطِنُهَا مَاءٌ نَائِجٌ، كَذَلِكَ
الْكُونُ، ظَاهِرُهُ كَوْنٌ كَثِيفٌ، وَبَاطِنُهُ سِرٌّ لَطِيفٌ، ظَاهِرُهُ كَوْنٌ، وَحَقِيقَتُهُ مَكُونٌ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْجِيلِيُّ فِي عَيْنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكُونُ فِي التَّمْثِيلِ إِلَّا كَثَلَجَةٌ وَأَنْتَ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَائِجٌ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرَ مَايِهِ وَغَيْرَ أَنِّي فِي حُكْمِ دَعْوَتِهَا الشَّرَائِعُ

وَقَالَ الْقُطُبُ بْنُ مَشِيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُخَاطِبًا لَوَارِثِهِ أَبِي الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، حَدِّدْ بَصَرَ الْإِيمَانِ تَجِدُ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيبًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ، بِقَرْبٍ هُوَ وَضْعُهُ، وَبِحِيطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعُدْ عَنْ الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب في المسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وامْحَقِ الْكُلَّ بِوَضْعِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَهُوَ هُوَ، كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ.

قَوْلُهُ: وَعُدْ عَنِ الظرفية، أَيِ جَاوِزِ عَنِ الظرفية، فَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّ الْحَقَّ مَظْرُوفٌ لَشَيْءٍ أَوْ مَحْدُودٌ بِشَيْءٍ لِأَنَّ الظرف عَيْنُ المَظْرُوفِ، وَالذَّاتُ الْعَالِيَةُ عَمَّتْ كُلَّ شَيْءٍ وَأَخَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمَحَتْ وَجُودَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفِي الْحِكْمِ: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ تَعَالَى بِشَيْءٍ وَالَّذِي يَحْتَجِبُ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ». وَقَوْلُهُ: وَعَنِ الدَّورِ بِالمَخْلُوقَاتِ، اعْلَمْ أَنَّ الْأَسْرَارَ اللَّطِيفَةَ الْبَاقِيَةَ عَلَى كُنُوزِهَا لَا شَكَّ أَنَّهَا مُحِيطَةٌ بِالْأَنْوَارِ الَّتِي وَقَعَ التَّجَلِّيُّ بِهَا وَدَائِرَةُ بِهَا، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هِيَ عَيْنُهَا وَمَتَدَفِّقَةُ مِنْهَا،

صار الكل بحرًا متصلًا، رتقًا منطبقًا، وصار الدائر عين المدار عليه، ولذلك قال: وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن، إذ لا يخرج شيء عن هذه الأسماء الأربعة؛ فهو أول كل شيء، وآخر كل شيء، والظاهر بكل شيء، والباطن في كل شيء، وقوله: وهو هو هو، الأول يشير إلى الوجود الأول الأزلي قبل التجلي، والثاني إلى حاله بعد التجلي، والثالث إلى حاله بعد طي هذا التجلي وإظهار تجلٍ آخر يدوم وجوده وظهوره وهو المعبر عنه بالآخر.

وقال بعض العارفين في هذا المعنى: «الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان، ولا كم ولا كيف، ولا جسم ولا جوهر ولا عرض، لأنه للظن صار في كل شيء، ولتوريته ظاهر في كل شيء، ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف، غير متقيد بذلك، ومن لم يدق هذا ولم يشهده فهو أغنى البصيرة، محروم من مشاهدة الحق تعالى». ولا يفهم هذه الأسرار وتذوقها إلا من صحب الرجال وخدمهم، وقبل الثراب من تحت أقدامهم ومن لم يقدر على هذا فليسلم للرجال فيما رمزوا له وأشاروا إليه:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهِلَالَ قَسَلَمْ لِأَنَاسٍ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

ولله در ابن الفارض رضي الله عنه حيث قال:

وَلَا تَكْ مِمَّنْ طَيَّبَتْهُ طَرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَحَقَّتْ عَقْلُهُ وَاسْتَفْرَتْ
قَسَمٌ وَرَاءَ النُّقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَةِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ
تَلَقَّبْتَهُ مِنِّي وَعَنِّي أَخَذْتُهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَاءِ مَمْدِي

وإذا تنزلت إلى عالم الحكمة وهو عالم التشريع، وجدت الظروف متفاوتة في الشرف والعلو على حسب مطروفيها، أشباحًا كانت أو أزيمة أو أمكنة.

فالأشباح تعظم بشرف الأرواح، فإن كانت الروح عارفة بالله، مكاشفة لأسرار الذات، كان البدن الذي احتوى عليها عظيمًا شريفًا، يُقْتَبَسُ منه الأنوار والأسرار، ويُتَبَرَّكُ به حيًا وميتًا، وَيَزْدَحِمُ النَّاسُ على قبره، وَيُسْتَشْفَى بِتَرَابِهِ. وإن كانت عالمة بأحكام الله، كان لها شرف دون ذلك. وكذلك إذا كانت حاملة لكتاب الله، كان لها شرف دون ذلك، ثم عامة المؤمنين، وإن كانت لها كان جسدها جيفة لا قدر له ولا قيمة.

وأما الأزيمة فتعظم أيضًا بقدر ما يقع فيها من الطاعة والإحسان، كليلة القدر والليالي العشر، ويوم عرفة، وأيام العشر، ويوم عاشوراء، وليلة المولد لأنه ظهر فيها سيد الوجود. فالظرف تابع لمظروفه في الشرف، وضده. ولذلك كانت أوقات العارفين

كلها ليلة القدر، لأنها كلها عندهم عظيمة، لاشتغالها على العبادة الكبيرة؛ وهو شهود الحبيب، والقرب منه. وفي ذلك يقول الشاعر:

لَوْلَا شُهُودُ جَمَالِهِ فِي ذَاتِي مَا كُنْتُ أَرْضَى سَاعَةَ بِحَيَاتِي
فَمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الْمُعْظَمُ شَأْنُهَا إِلَّا إِذَا هُمِرْتُ بِكُمْ أَوْقَاتِي
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْهَوَى وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَجِ إِلَى مِيقَاتِ

وقال آخر:

وَكُلَّ اللَّيَالِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ إِنْ بَدَا كَمَا كُلُّ أَيَّامِ اللَّقَا يَوْمُ جُمُعَةٍ

وكان الشيخ المرسى رضي الله عنه يقول: «نحن والحمد لله أوقاتنا كلها ليلة القدر، لأن عبادتهم التي يُعْمَرُونَ بِهَا أوقاتهم كلها فكرة واعتبار، وشهود واستبصار وفكرة ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة، كما في الحديث.

وكذلك الأمكنة، تعظم بقدر ما يقع فيها من الطاعات، كجبل عرفة والمساجد الثلاثة ثم المساجد الباقية والزوايا، وخلوات الأولياء ونحو ذلك مما عظمتها الشريعة، وعند العارفين: الأماكن كلها عرفة، لأن الأماكن تشرف بهم، وتطيب بحضورهم، وفي ذلك قال شاعرهم:

وَسَنِّي لِي خَجٌّ بِوَكُلِّ وَقْفَةٍ عَلَى بَابِهِ قَدْ عَادَلْتُ أَلْفَ حَجَّةٍ

أي وسيري إليه حج والوصول إليه والوقوف بباب حضرته وقفة تعدل ألف وقفة بعرفة الحسية، وهذا كما قال الآخر:

كُلُّ وَقْفَةٍ مِنْ حَبِيبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حَجَّةٍ

وينخرط في سبيلك هذا التفضيل آيات القرآن بعضها على بغض وذلك على حسب ما تدل عليه من تعظيم الربوبية، وكشف ججائها.

وكذلك تفضيل الأذكار فبهذا المعنى، وتفضيل بعض الصلاة على رسول الله (ص) على بعض، يحسب ما تدل عليه من تعظيم الرسول وتمجيده (ص). وبالله التوفيق.

بَابُ الْحَالِ

هو الخامس من المنصوبات، والحال في اللغة: هيئة الإنسان، وتطلق على الزمان الذي بين الماضي والمستقبل، وروح الإنسان وما يعتريه من فرح أو ضده، وهو يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ. يقال له: حالٌ حسنٌ وحسنة، وحقيقته: وَصِفٌ فَضْلَةٌ مُتَّصِبٌ مُفْهِمٌ فِي حَالٍ كَذَا. وقال الفاكهي⁽¹⁾ هو الوصف الفضلة المسوق لبيان هيئة صاحبه، وعرفته المصنّف بقوله: الْحَالُ هُوَ الْإِسْمُ أَيُّ فَلَا يَكُونُ فِعْلًا وَحَدًّا وَلَا حَرْفًا وَيَكُونُ جُمْلَةً فِي تَأْوِيلِ الْإِسْمِ.

الْمَنْصُوبُ بفعل أو شبهه، خرج به الوصف المرفوع أو المجرور وسائر التوابع. الْمُفَسِّرُ لِمَا أَنْبَهُمْ أَيُّ جُهْلٍ، خرج به سائر المنصوبات وَمِنْ الْهَيْئَاتِ خَرَجَ التَّمْيِيزُ لَأَنَّهُ يُفَسِّرُ مَا أَنْبَهُمْ مِنَ الدَّوَاتِ، ونقل الراعي عن شيخه: سَمِعْتُ أَنَّهُ قَالَ: قَوْلُ النِّحَاةِ أَنْبَهُمْ فِي حَدِّ الْحَالِ، وَالتَّمْيِيزُ مَنْقُودٌ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالصَّوَابُ: اسْتَبْهَمَ. وَأَيْضًا: لِأَنَّ الْفِعْلَ مُخْتَصِرٌ بِالْعِلَاجِ وَالتَّأْثِيرِ فِي الْعَالِيَةِ، فَقَوْلُ: عَجَنْتِ الدَّقِيقَ قَانَعَجَنَ، وَضَرَبْتَ فَلَانًا قَانَضَرَبَ، وَقَدْ يَكُونُ لِقَبْرِ الْعِلَاجِ كَانَضَرَفَتْ أَهـ. وَيَكُونُ الْحَالُ مِنَ الْفَاعِلِ نَحْوُ: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا وَمِنَ الْمَفْعُولِ، نَحْوُ: رَكِبْتُ الْفَرَسَ مُسْرَجًا.

وَيَحْتَمِلُهُمَا نَحْوُ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ رَاكِبًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

من الأمثلة، ويكون من المجرور بالحرف، نحو: مَرَزَتْ بِهَيْدٍ جَالِسَةً. وَلَا يَكُونُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَمِلَ فِيهِ الْمُضَافُ، نَحْوُ: ﴿إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: الآية 4] أَوْ كَانَ جِزَاءً مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، نَحْوُ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: الآية 47]. أَوْ مِثْلَ جِزْءٍ، نَحْوُ: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: الآية 95]. وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْحَالِ هُوَ الْعَامِلُ فِي صَاحِبِهِ. فَإِنْ كَانَ

(1) عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي، جمال الدين: عالم بالعربية، من فقهاء الشافعية، مولده سنة 899 بمكة ووفاته بها سنة 972. أقام بمصر مدة، من كتبه: الفاكة الجنية على شجرة الأجرومية، ومجيب النداء إلى شرح قطر الندى، كلاهما في النحو. وانتبط حدوداً للنحو جمعها في كراسة ثم شرحها وسماها: الحدود النحوية.

المُضَاف الأول غير حامل في الحَالِ لَزِمَ أَنَّ العامل في الحَالِ غير العامل في صاحبه وهو غير جائز. وأمّا إن كان جزءاً أو مثل الجزء، فلَمَّا كَانَ يصح إسقاط الأول صار كأنه حامل فيهما، ألا ترى أنك تقول: وَنَزَعْنَا مَا فِيهِمْ مِنْ عِلٍّ وَاتَّبِعُوا إِبْرَاهِيمَ، فيصح الكلام ويأتي الحال من المبتدأ أو من الخبر إلا أن مجيئه من المبتدأ ضعیف. قاله الشيخ السنوسي⁽¹⁾ في شرح عقيدة الجزائري⁽²⁾.

وَلَا يَكُونُ الْحَالُ إِلَّا نَكْرَةً.

فَإِنْ عُرِفَ لَفْظًا فَاعْتَقِدْ تَنْكِيرَهُ مَعْنَى، نَحْوُ: وَحَذَّكَ اجْتَهِدْ، أَي مَفْرَدًا، وَادْخُلُوا الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، أَي مَتَرْتَبِينَ.

وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ أَي بَعْدَ اخْتِذِ الْفَاعِلِ فَضْلُهُ وَالْمَبْتَدَأُ خَبْرُهُ لِأَنَّهُ تَفْضِيلٌ. وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنَ الْمَبْتَدَأِ.

وَلَا يَكُونُ صَاحِبُهَا إِلَّا مَعْرِفَةٌ أَوْ غَالِبًا لِأَنَّهُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ بِالْحَالِ. وَلَا يَصَحُّ الْحُكْمُ عَلَى الْمَجْهُولِ إِلَّا بِمَسْوُوعٍ مِنْهَا تَأَخَّرَ عَنِ الْحَالِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَمِيَّةٌ مَوْحِشًا طَلَلٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَلٌ

أَي لَمِيَّةٌ طَلَلٌ مَوْحِشًا وَالطَّلَلُ مَا شَخَّصَ مِنَ الدِّيَارِ بَعْدَ خَرَابِهَا وَانْتِفَالِ أَهْلِهَا عَنْهَا. وَمِنْهَا تَخْصِيصُهُ بِالْوَصْفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ﴿[الدخان: الآيتان 4، 5] أَوْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ نَفْيٌ، نَحْوُ: ﴿وَمَا أَفْلَكُنَا مِنْ قَرْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝﴾ [الحجر: الآية 4] أَوْ نَهْيٌ نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَا يَرْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الرَّغَى مُتَحَوِّفًا لِجَمَامِ
وَالْإِحْجَامِ: التَّأَخُّرُ، وَالرَّغَى: الْحَرْبُ. وَالْجَمَامُ: بَغْشَرُ الْحَاءِ: الْمَوْتُ، أَوْ اسْتِفْهَامُ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا صَاحِبَ هَلْ حَمَّ عَيْنٌ بَاقِيًا فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ فِي إِبْعَادِهَا الْأَمَلَا

(1) محمد بن يوسف السنوسي الحسني من جهة الأم، أبو عبد الله: عالم تلمسان في عصره وصالحها. ازداد بتلمسان سنة 838 وتوفي بها سنة 894. له تصانيف كثيرة منها: شرح صحيح البخاري وشرح صحيح مسلم، وعقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى وأم البراهين ويسمى العقيدة الصغرى، وشرح الأجرومية، والعقيدة الوسطى، ومجربات في الطب، وشرح لامية الجزائري المذكورة هنا.

(2) أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي: فاضل مالكي من قبيلة زواوة. ازداد سنة 800 وتوفي سنة 884. كانت إقامته بالجزائر. له: اللامية في علم الكلام، تسمى الجزائرية في العقائد الإيمانية شرحها الشيخ السنوسي.

أَيَّ صَاحِبِي هَلْ قَدَرْتُ عَيْشَ يَدُومٍ فَتُعْذَّرُ فِي تَأْخِيرِ الْأَمَلِ، بَلْ لَا عَيْشَ يَدُومٍ فَشَمَّرُ وَتَزَوَّدُ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ نَضْبَ عَيْنِكَ، يُضْبَحُ أَوْ يُنْسِي عَيْنَكَ. وَمِنْ غَيْرِ الْغَالِبِ، وَهُوَ إِثْبَانُ الْحَالِ مِنَ التَّكْوِينِ بِلَا مُسَوِّغٍ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَاعِدًا، وَصَلَّى وَرَاءَهُ رِجَالٌ قِيَامًا. وَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ الْآخِرُ مِنْ فَعْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَجْلِسُونَ مَعَهُ أَخَذًا بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «لَأَنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ» ثُمَّ قَالَ: «فَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»، الْحَدِيثُ، وَأَمَّا مَا لَكَ فَلَمَّا رَأَى تَعَارُضَ الْحَدِيثَيْنِ لَمْ يَأْخُذْ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ يَسْتَوْفُوا فِي الْعُذْرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

الْحَالُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ وَارِدٌ يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ الذَّاتِ وَأَنْوَارِهَا، فَتَدْمِشُ الرُّوحَ وَتَهِيمُ وَتَسْكُرُ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ عَلَى الْجَوَارِحِ فَيَهْتَرُ الرَّأْسُ وَيَشْطَحُ الْبَدَنُ، وَيُقَالُ فِيهَا الْوَجْدُ، وَرَبِمَا وَقَعَ صَاحِبُهُ فِي الْمَهَالِكِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ الشُّبْلِيَّ أَخَذَهُ حَالٌ فِي مَوْضِعٍ مَقْصَبَةٍ فِيهِ بَقِيَّةُ قَصَبٍ قَطَعَ فَقَامَ عَلَيْهَا فَدَخَلَتْ فِي رِجْلِهِ فَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ مَاتَ كَثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْحَالِ. وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو مَدِينٍ⁽¹⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

فَقُلْ لِلَّذِي يَنْهَى عَنِ الْوَجْدِ أَهْلَهُ
إِذَا اهْتَرَّتِ الْأَرْوَاحُ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا
أَمَّا تَنْظُرِ الطَّيْرِ الْمُقْقَصِ يَا قَتَى
يُفَرِّجُ بِالشَّغْرِ بِمَا بِفُرَادِيهِ
وَيَرْقُصُ فِي الْأَقْصَاصِ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا
كَذَلِكَ أَرْوَاحُ الْمُجْتَبِينَ يَا قَتَى
أَنْلَزُهَا بِالضُّبْرِ وَهِيَ مُشَوِّقَةٌ
إِلَى أَنْ قَالَ:

قُلْنَا إِذَا طِينًا وَطَابَتْ قُلُوبُنَا
وَحَامَرْنَا خَمْرُ الْغَرَامِ تَهْتَكُنَا

(1) شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين: من مشاهير المشايخ الصوفية الكبار، المعروف بابي مدين الغوث، ازداد قرب إشبيلية نحو سنة 509، أقام بفاس وسكن بجاية وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور. وتوفي قرب تلمسان سنة 594. له استغفار، والعقيدة المباركة، وبداية المريد، والحكم المسماة أنس الوحيد ونزهة المريد، وقصائد.

فَلَا تَلَمَّ السُّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا
وَبَعْدَ الْحَالِ الْمَقَامِ وَهُوَ السُّكُونُ وَالطَّمَانِينَةُ بِالْخُرُوجِ مِنَ السُّكْرِ إِلَى الصُّخْرِ،
فَتَطْمَئِنُّ الرُّوحُ وَتَسْكُنُ فِي مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ (٥٥) . وَفِي
هَذَا الْمَقَامِ، قِيلَ لِلْجَنِّيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَتَحَرَّكُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَتَرْقُصُ،
وَالْيَوْمَ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَقَرَأَ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَقْسِبًا جَائِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ
السَّحَابِ﴾ [النمل: الآية 88].

وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى فِي الْحَالِ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ الشَّهَوَدِ، فَيَكُونُ قَطْبَ الْأَحْوَالِ كَمَا
تَقْدُمُ عَنِ الْبِسْطَامِيِّ، إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الْمَقَامِ يُوْهَلُ لِلْإِفْتِدَاءِ وَالْإِفْتِدَاءُ بِخِلَافِ صَاحِبِ
الْأَحْوَالِ، فَلَا يُقْتَدَى بِهِ فِي حَالِ سُكْرِهِ، وَقُلٌّ مَنْ يَنْجَحُ عَلَى يَدِهِ، لِصُعُوبَةِ تَرْبِيَتِهِ
كَحَالِ أَبِي الشَّتَاءِ^(١). فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ يعلَقُ الْمَرِيدَ رَأْسَهُ أَسْفَلَ وَرِجْلَهُ فَوْقَ وَيُوقِدُ
النَّارَ تَحْتَهُ.

فَأَوَّلُ السَّيْرِ عِلْمٌ، ثُمَّ عَمَلٌ، ثُمَّ حَالٌ وَهُوَ الذُّوقُ، ثُمَّ الشُّرْبُ وَالسُّكْرُ، ثُمَّ الْمَقَامُ
وَهُوَ الصُّخْرُ. وَيُقَالُ: الْأَحْوَالُ مَوَاهِبٌ، وَالْمَقَامَاتُ مَكَاسِبٌ. وَكَسْبُهَا هُوَ تَقْدَمُ
الْأَحْوَالُ عَلَيْهَا، كَأَنَّهَا نَتَائِجُهَا، وَكَوْنُ الْأَحْوَالِ مَوَاهِبًا يَغْنِي بَعْدَ التَّحَرُّكِ فِي جَلِبِهَا،
كَخَرْقِ الْعَوَائِدِ وَحُضُورِ جَلْقِ الذِّكْرِ أَوْ السَّمَاعِ مَعَ تَفَرُّغِ الْبَاطِنِ مِنَ الْعَلَائِقِ. وَقَدْ تَكُونُ
الْأَحْوَالُ ظَلَمَانِيَّةً، إِمَّا نَفْسَانِيَّةً أَوْ شَيْطَانِيَّةً، فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهْوِ قَدْ يَنْجَذِبُونَ فِي لَهْوِهِمْ،
فَيَقْطَعُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَاقْفَيْنَ فِي لَهْوِهِمْ غَائِبِينَ عَنْهُمْ.

وَالْأَحْوَالُ الرِّثَانِيَّةُ هِيَ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَنِ سَمَاعِ
مَا يُخْرَكُ إِلَى الْحَضَرَةِ وَقَدْ تَنْشَأُ عَنِ سَمَاعِ اللَّهْوِ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِضَرْفِهِ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى
الْحَقِّ كَمَا وَقَعَ لِلرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ الْقَائِلَ يَقُولُ:

إِذَا الْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَّتْ قَوَاصِلُ شُرْبٍ لَيْلِكَ بِالنَّهَارِ

وَلَا تَشْرَبُ بِأَفْدَاحِ صَفَارٍ فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الصُّغَارِ

فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ فَبَقِيَ بِهَا مُجَاوِرًا حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
فَقِيَهُمْ أَنَّ الْعُمَرَ إِذَا ذَهَبَ جُلَّهْ فَقَدْ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الْعِبَادَةِ الصُّغْرَى،

(١) محمد بن موسى أبو الشتاء المعروف بالخمار: من كبار أهل الأحوال الرثانية والجذب ودوام
الغيبية. أخذ عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني دفين مراكش، لكنه لم تطل صحبته له ويقال إنه ما
لقبه إلا مرة واحدة بقيلته الشاروية فأمدته من حينه وهام على وجهه. كان كثير التلاميذ وخرج منه
كثير من البهاليل. يذكر شائعاً أنه كُتِبَ بِأَبِي الشَّتَاءِ بِسَبَبِ أَنَّ النَّاسَ احْتَاَجُوا إِلَى الشَّتَاءِ فَلَجَنُوا إِلَيْهِ
فَأَمَطُوا فِي الْحَالِ. تَوَفَّى سَنَةَ 997.

نُطْلَبُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْعِبَادَةُ كُنُبِي، فَتَضَاعَفَ فِيهَا الْأَعْمَالُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْعَارِفِينَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذَهَابٍ إِلَى مَكَّةَ بِلْ عِبَادَةِ الْقُلُوبِ مُضَاعَفَةً بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَتْ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: «الذُّرَّةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ أَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ». وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رُكْعَةٌ مِنْ عَالَمٍ بِاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رُكْعَةٍ مِنْ جَاهِلٍ بِاللَّهِ». ذَكَرَهُ فِي الْجَامِعِ. وَلَنَرْجِعَ إِلَى مَا كُنَّا بِصَدِّهِ مِنَ الْإِشَارَةِ فَقُولُ:

الْحَالُ هُوَ الْأَسْمُ، أَيِ التَّوْصِفِ الْفُضْلَةِ، لِأَنَّهُ مُؤَبِّةٌ وَمَخْصُ فَضْلٍ، الْمُتَّصِبُ لِلْمُرِيدِينَ السَّائِرِينَ، يُرْقِيهِمْ مِنْ خَالٍ إِلَى خَالٍ، وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ. فَأَوَّلُ الْأَحْوَالِ وَارِدِ الْأَنْبِيَاءِ فَيَنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِ الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ إِلَى حَالِ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ.

ثُمَّ وَارِدِ الْيَقَظَةِ، فَيَنْتَبِهَ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ إِلَى حَالِ الذِّكْرِ الدَّائِمِ. ثُمَّ وَارِدِ السَّيْرِ، فَيَتَجَرَّدُ مِنَ الْعَلَائِقِ لِتَشْرِقَ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ. ثُمَّ وَارِدِ الْوَصَالِ، فَيُخْرَجُ مِنْ سِجْنِ الْأَكْوَانِ إِلَى شُهُودِ الْمُكُونِ. وَقَدْ أَشَارَ فِي الْحِكْمِ إِلَى بَعْضِ هَذَا فَقَالَ: «أُورَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَارِدًا، أُورَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِكَيْسَلِمَكَ مِنْ يَدِ الْأَغْيَارِ وَيُخَرِّكَ مِنْ رِقِّ الْأَثَارِ، أُورَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِيُخْرِجَكَ مِنْ سِجْنِ وَجُودِكَ إِلَى فُضَاءِ شُهُودِكَ».

الْمُقَسَّرُ لِمَا أَنْبَهَهُمْ مِنْ هَيْئَاتِ الرُّجَالِ وَمَا كَمُنَ فِي سَرَائِرِهِمْ، فَمَا كَمُنَ فِي السَّرَائِرِ ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الظَّوَاهِرِ، تَنَوَّعَتْ أَجْناسُ الْأَعْمَالِ لِنُتُوعِ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ، فَمَنْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ صَافِيَةً، مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ، عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ صَافٍ لَا تَخْلِيطَ فِيهِ. وَمَنْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ ظَلَمَانِيَّةً، مُخَالِفَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ، عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ ظَلَمَانِي لَا صَفَاءَ فِيهِ، فَصَفَاءُ الظَّاهِرِ مِنْ صَفَاءِ الْبَاطِنِ، وَتَخْلِيطُ الظَّاهِرِ مِنْ تَخْلِيطِ الْبَاطِنِ، لَا تَنْطِقُ الْأَوَانِي إِلَّا بِمَا سَكَنَ، وَالْأَحْوَالُ الصَّافِيَّةُ تَظْهَرُ نَتَائِجُهَا عَلَى صَاحِبِهَا. فَأَلْوَارِدِ الرَّبَّانِي يُثْمِرُ أَحْوَالَ سَيِّئَةٍ، فَيَعْقِبُهُ الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْهَيْبَةُ وَالرَّزَانَةُ وَالطَّمَانِينَةُ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَالتَّوَاضُعُ وَالسَّخَاءُ وَالْكَرَمُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ.

وَالْوَارِدِ النَّفْسَانِي أَوِ الشَّيْطَانِي تَعَقُّبُهُ الْقَسَاوَةُ وَالْفُظَاظَةُ وَالتَّكَبُّرُ وَالصُّوْلَةُ عَلَى النَّاسِ وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْجَاهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ. وَفِي الْحِكْمِ: «لَا تَزْكِيَنَّ وَارِدًا لَا تَعْلَمُ ثَمَرَتَهُ؛ فَلَيْسَ الْمَرَادُ مِنَ السَّحَابَةِ الْأَمْطَارُ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ مِنْهَا وَجُودُ الْأَثْمَارِ».

وزاد في الخلاصة في أوصاف الحال النحوية الانتقال والاشتقاق فقال:
وَكَوْنُهُ مُنْقَبِلًا مُشْتَقًّا يَغْلِبُ لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَجِيقًا

وقالت الصوفية: إنما سُمِّيَ الْحَالُ حَالًا لِتَحَوُّلِهِ وَانْتِقَالِهِ، فَالْحَالُ لَا يَدُومُ لِمَصَاحِبِهِ، وَأَمَّا هُوَ عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ عَلَى الْقُلُوبِ، غَيْثُ الْمَعَارِفِ، وَعِلْمُ الْغُيُوبِ وَالْأَسْرَارِ وَالْكَشُوفَاتِ وَالْأَنْوَارِ. فَإِذَا أَوْدَعَ مَا فِيهِ أَقْلَعَتْ فَلَا تَطْمَعُنْ فِي دَوَامِهِ، بَلْ اسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. وَفِي الْحِكْمِ: «لَا تَطْلُبِينَ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا، وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا، فَلَكَ فِي اللَّهِ غِنًى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ». فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ بِلا عِلَّةٍ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْحَالِ، فَالْفَانِي لَا يُغْنِي. وَمَعْنَى اشْتِقَاقِهِ عَنْدَهُمْ: طَلْبُهُ وَاسْتِجْلَابُهُ بِسَبَبِ يُحْرِكُهُ كَمَا تَقْدَمُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ التَّمْيِيزِ

هذا هو السادس من المنصوبات ويُقال فيه التمييز والمميز، والتفسير والمفسر، والتبيين والمبين، وهو في اللغة: مصدر ميّزت الشيء إذا فسّرتَه وبَيّنتَه. وفي الاصطلاح ما قاله المصنّف.

التَّمْيِيزُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسَّرُ لِمَا انْتَبَهَمَ مِنَ الدُّوَاتِ أَيْ أَوْ مِنَ النَّسَبِ، فخرج الحال. قال ابن مالك: التمييز كل نكرة فيها معنى من الجنسية رافعة لإبهام عن جملة أو مفرد تام بإضافة أو تنوين ظاهر أو مقلد أو نون تسقط للإضافة. اهـ ثم ذكر مثال تمييز النسبة وهو الذي يقع بعد الجملة وهو على أربعة أقسام: إمّا مُحَوَّلٌ عن الفاعل، نَحْوُ قَوْلِكَ: تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقًا أَيْ انْحَدَرَ، وَالْأَصْلُ: تَصَبَّبَ عَرَقٌ زَيْدٌ.

وَتَقَعًا بِكَرٍّ شَخْمًا أَيْ اِفْتَلًا. وقيل: تشقق. يُقال تَقَعَّتِ السَّمَاءُ عَنْ مَائِهَا، أَيْ تَشَقَّقَتْ، وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ. وَالْأَصْلُ: تَقَعَّ شَخْمٌ بِكَرٍّ.

وَكَلَّابٌ مُحَمَّدٌ نَفْسًا (ص) وَالْأَصْلُ: طَابَتْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ (ص) أَيْ صَارَتْ طَيِّبَةً. يُقال طاب الشيء يطيب طيبًا وتطيايًا، وإنما عدل عن الأصل إلى التمييز لأنّ البيان بعد الإجمال من مقاصد العقلاء؛ لأنّ النَّفْسَ إِذَا سَمِعَتْ شَيْئًا مُجْمَلًا تَشَوَّفَتْ إِلَى بَيَانِهِ فَإِذَا فَسَّرَهَا وَقَعَ مِنْهَا أَيْ مَوْعٍ. فإذا قلت: تَصَبَّبَ زَيْدٌ بِقَيْتِ النَّفْسِ مُسْتَشْرِفَةً مَا الَّذِي تَصَبَّبَ مِنْهُ، فَإِذَا قُلْتَ عَرَقًا عَرَقَتُهُ، وَهَكَذَا الْبَاقِي. وَإِمَّا مُحَوَّلٌ عَنِ الْمَفْعُولِ، نَحْوُ: غَرَسْتُ الْأَرْضَ شَجَرًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: الآية 12] وَالْأَصْلُ: غَرَسْتُ شَجَرَ الْأَرْضِ وَفَجَّرْنَا عِيُونَ الْأَرْضِ. وَإِمَّا مُحَوَّلٌ عَنِ الْمَبْتَدَأِ نَحْوُ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف: الآية 34] وَالْأَصْلُ: مَالِي أَكْثَرُ. وَإِمَّا غَيْرُ مُحَوَّلٍ عَنْ شَيْءٍ، نَحْوُ: زَيْدٌ أَكْرَمُ النَّاسِ رَجُلًا. وَرَدَّ بَعْضُهُمْ تَمْيِيزَ النَّسَبِ إِلَى تَمْيِيزِ الدُّوَاتِ وَهُوَ تَمْيِيزُ الْمَفْرَدِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمَصْنُفِ، وَوَجْهُهُ: أَنَّ قَوْلَكَ طَابَ زَيْدٌ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ طَابَ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: نَفْسًا. وَإِذَا قُلْتَ: غَرَسْتُ الْأَرْضَ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ شَيْئًا غَرَسَ فِيهَا وَهُوَ مُبْهَمٌ، فَفَسَّرْتَهُ بِالتَّمْيِيزِ، وَكَذَلِكَ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ شَيْئًا كَثُرَ مِنْهُ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِالْمَالِ، وَهَكَذَا. فِيرْجِعُ التَّمْيِيزُ كُلَّهُ لَتَمْيِيزِ الدُّوَاتِ كَمَا قَالَ الْمَصْنُفُ، انْظُرْ شَرْحَ الشَّيْخِ عَلِيِّ بَرَكَةَ (١).

(١) أبو الحسن علي بن محمد الملقب الحاج بركة، الأندلسي التطاوني: من العلماء والصلحاء، له =

ثم ذكر تمييز العدد، وهو من قبيل تمييز المفرد اتفاقاً، فقال: **وَأَشْرَيْتُ حَشِيرِينَ هَلَامًا، وَمَلَكَتُ يَسْعِينَ نَعْجَةً.**

ومنه **«أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا»** [يوسف: الآية 4]، ويلحق به تمييز المساحة، نحو **مَلَكَتُ شَبْرًا أَرْضًا وَجَرِيدًا نَخْلًا**، وتمييز المقادير كـ **طَلَيْنَ حَسَلًا، وَمَنَوَيْنَ تَمْرًا، وَارْدَبَ تَمْحًا، وَزَقَى زَيْتًا**، ومنه قوله تعالى: **«يُثْقَلُونَ ذَرَّةً حَبِيرًا بِرَمْلٍ»** [الزلزلة: الآية 7].

وأما قول المصنف: **وَزَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبَا، وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا.**

فهو من تمييز النسبة المحوّل عن الفاعل، والأصل **زَيْدٌ كَرَمٌ أَبُوهُ**، وجمل وجهه. وقد تقدم الجواب عن المصنف أن الجميع يرجع لتمييز المفرد. ثم قال: **وَلَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ إِلَّا نِكْرَةً** يعني أن التمييز لا يكون إلا نكرة لأن لفظ التأكيد يؤيد المقصود فلا يتكلف التعريف. وأما قول الشاعر:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وَجُوهَنَا صَدَدَتْ وَطَبَتْ النَّفْسُ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرٍو

فإن فيه زائدة للضرورة وليست معرفة. وقال الكوفيتون: يكون التمييز معرفة محتجين بقوله تعالى: **«وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ»** [البقرة: الآية 130] أي **سَفِهَ نَفْسًا**. وأجيب بأن نفسه مفعول **سَفِهَ** لتضمينه معنى جهل أو أهلك، أو لأن التضمين فيه معنى الشئوع الذي في من فلم يكسب التعريف، أو على إسقاط الجار وإيصال الفعل إليه، كقولهم: **ضَرَبَ فُلَانٌ الظُّهْرَ وَالْبَطْنَ.**

■ تنبيه:

قال في المعني: الحال أو التمييز اجتماعاً في خمسة أمور، واختلفوا في سبعة. فأوجه الاتفاق أنهما اسمان، نكرتان، فصلتان، منصوبتان، رافعتان لإبهام. وأوجه الافتراق أن الحال تكون جملة، والتمييز لا يكون إلا مفرداً، وأن الحال تتعدّد، نقول: **جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا فَرَحًا مَسْرُورًا** بخلاف التمييز، وأن الحال تتقدّم على هامليها إذا كان متصرفاً، نحو: **«حُشًّا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ»** [الفر: الآية 7]، بخلاف التمييز على المشهور. وقال في الألفية:

وَهَامِلُ التَّمْيِيزِ قَدَّمَ مُظْلَقًا وَالْفِعْلُ دُوَ التَّضَرُّفِ نَزَرًا مُبَيَّنًا

مزارة كبيرة شهيرة بمدينة تطاون، قرأ العلم بفاس على مشايخها، منهم سيدي عبد القادر الفاسي وأخذ طريق التصوف عن أبي عبد الله بن ناصر. له أنظام في أنواع من المسائل النفسية، وأجرية عن أسئلة، وشرح الأجرومية المذكور هنا. توفي عام 1120.

ومن تقديمه قول الشاعر:

أَنْفَسًا تَطِيبُ بَنِيْلَ الْمُنَى وَدَاعِي الْمَنُونِ بِنَادِي جِهَارًا
وإنَّ حَقَّ الْحَالِ الْإِشْتِقَاقُ، وَحَقُّ التَّمْيِيزِ الْجُمُودُ، وَقَدْ يَتَعَاكَسَانِ، وَإِنَّ الْحَالِ
تَكُونُ مُؤَكَّدَةً، نَحْوُ: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ﴾ [النمل: الآية: 10]، ﴿فَنَبَّأَهُمْ مُنَاجَاةً﴾ [النمل:
الآية 19]، وَلَا يَقَعُ التَّمْيِيزُ كَذَلِكَ. اهـ. وَجُزِمَ فِي الْقَطْرِ بِأَنَّ التَّمْيِيزَ قَدْ يُوَكَّدُ كَقَوْلِ
الشاعر:

تَرْوُدُ مِثْلَ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادَ أَبِيكَ زَادًا
قلت: وبقي عليه من الفروقات أنَّ التَّمْيِيزَ قَدْ يُجَرَّ بِمِنْ، بِخِلَافِ الْحَالِ. قَالَ فِي
الْأَلْفِيَةِ:

وَأَجْرُزُ بِمِنْ إِنْ لَيْسَتْ غَيْرَ ذِي الْعَدَّةِ وَالْفَاعِلِ الْمَعْنَى كَطَبِ نَفْسًا تُفَدِّ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الْإِشَارَةُ:

لَا يَكُونُ الْعَارِيفُ عَارِفًا حَتَّى يَخْصَلَ لَهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضَّدَّتَيْنِ اللَّذَيْنِ وَقَعَ بَيْنَهُمَا
التَّجَلِّي، فَيَمَيِّزُ بَيْنَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فِي مَظْهَرٍ وَاحِدٍ، وَبَيْنَ الرُّوحَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَبَيْنَ
الْحَسَنِ وَالْمَعْنَى، وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَبَيْنَ الْأَمْرِ وَالخَلْقِ، وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ
وَالْحَقِيقَةِ، وَبَيْنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ، وَبَيْنَ السُّكْرِ وَالصُّخْرِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الضَّدَّتَيْنِ الْمَوْجُودَتَيْنِ
فِي الْكَوْنِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ التَّجَلِّي.

أَمَّا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الرَّبُّوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ: فَالرَّبُّوبِيَّةُ مَحَلُّهَا الْبَوَاطِنُ، وَالْعُبُودِيَّةُ الظُّوَاهِرُ،
فَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ أَسْرَارِ الرَّبُّوبِيَّةِ إِنْ فَتْهَرَتْ فِي قَوَالِبِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَ صَاحِبُ
الْحِكْمِ الْعَقْلَانِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ: «سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ مِيرَ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ وَضْفِ الْبَشَرِيَّةِ»،
وظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ، وَقَالَ الْحَلَّاجُ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا
الْمَعْنَى:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوئَهُ سُرَّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْأَكْلِ وَالشَّارِبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ كَلْحَظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

(١) الْحَسَنِ بْنُ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ، أَبُو مَعْيُثٍ: أَسْلَمَهُ مِنْ بَيْضَاءِ فَارَسَ، أَزْدَادُ بَطُورٍ نَحْوَ 244 وَفَتَلَ
بَيْغَدَادَ سَنَةَ 309. لَهُ كِتَابُ الطَّرَاسِينِ، وَأَشْعَارُ جُمِعَتْ فِي دِيْوَانٍ، وَرَوَايَاتُ جُمِعَتْهَا تَلَامِيذُهُ.

وَلَعَدَمَ فَهَمٍ كَلَامِهِ قَتَلَهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ وَوَاقَفَهُمْ أَهْلُ الْبَاطِنِ لِإِفْسَائِهِ السِّرَّ وَهُوَ وَلِيُّ
اللَّهِ حَقًّا.

وَأَمَّا الرُّوحَانِيَّةُ وَالْبَشَرِيَّةُ، فَالرُّوحَانِيَّةُ قَائِمَةٌ بِالْبَشَرِيَّةِ قِيَامَ الْمَاءِ بِالْعُودِ الْأَرْطَبِ،
مَنْسُوبَةٌ إِلَى الرُّوحِ، فَالْبَشَرِيَّةُ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ وَالرُّوحَانِيَّةُ مَحَلُّ التَّعْرِيفِ، الْبَشَرِيَّةُ مَحَلُّ
الْعُبُودِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةُ مَحَلُّ شُهُودِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَإِذَا اسْتَوْلَتِ الرُّوحَانِيَّةُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ وَكَسَتْهَا
اِكْتِسَاءُ النَّارِ لِلْفَحْمَةِ، صَارَ صَاحِبُهَا رُوحَانِيًّا سَمَاوِيًّا، وَعَلَامَتُهُ أَنَّهُ لَا تَجُولُ رُوحُهُ
غَالِبًا إِلَّا فِي أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ، وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ. وَإِذَا اسْتَوْلَتِ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ صَارَ
صَاحِبُهَا بَشَرِيًّا أَرْضِيًّا، وَعَلَامَتُهُ جَوْلَانُ رُوحِهِ غَالِبًا فِي حَسِّ الْكَائِنَاتِ وَكَلَامِهِ غَالِبًا
فِي الْمُرُوقَاتِ.

وَأَمَّا الْحَسُّ وَالْمَعْنَى، فَالْحَسُّ مَا ظَهَرَ لِلْبَصَرِ مِنْ حَسِّ الْأَوَانِي، وَالْمَعْنَى مَا
انْكَشَفَ لِلْبَصِيرَةِ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي، فَمَنْ وَقَفَ مَعَ حَسِّ الْأَوَانِي كَانَ مُحْجُورًا عَنْ
اللَّهِ، وَمَنْ نَقَذَ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي كَانَ عَارِفًا بِاللَّهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِحَرِّ الْمَعَانِي
لَعَلَّكَ تَرَانِي

وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إِنْ نَطَقِي مِنْ خَلْفِ ذَاكَ الْأَوَانِي
وَأَنَا دَائِمٌ كُلُّ الْأَوَانِ أَوَانِي

وَكُمُودُ الْمَعَانِي فِي الْأَوَانِي كُمُودُ الْمَاءِ فِي الثَّلْجَةِ، فَالْمَعَانِي قَدِيمَةٌ، وَظُهُورُ
الْأَوَانِي حَادِثٌ، فَإِذَا اسْتَوْلَتِ الْمَعَانِي عَلَى الْحِسِّيَّاتِ صَارَ الْكُلُّ قَدِيمًا. وَلِذَلِكَ قَالَ
الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلَّذِي قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَمْ يَزِدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ: كَمَلَهَا، فَقَالَ لَهُ:
أَيُّ قَدَرٍ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى تُذَكِّرَ مَعَهُ؟ فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: «كَمَلَهَا يَا أَخِي، فَإِنَّ الْحَادِثَ إِذَا
قُرِنَ بِالْقَدِيمِ تَلَاشَى الْحَادِثُ وَيَبْقَى الْقَدِيمُ».

وَأَمَّا الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ، فَالْقُدْرَةُ مِنْ شَأْنِهَا الْإِبْرَازُ وَالْإِظْهَارُ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ شَأْنِهَا
التَّغْطِيَةُ وَالْإِسْتَارُ، لِأَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ اقْتِرَانُ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ بِمُسَبِّبَاتِهَا، فَإِذَا أُبْرِزَتْ
الْقُدْرَةُ مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدْرُ، جَعَلَتْ الْحِكْمَةَ لِنِزَاجِ الْأَسْبَابِ وَعِلَلَهَا، لِيَقَى السِّرُّ مَضُونًا،
وَالْكَثْرُ مَذْفُونًا، فَالْحِكْمَةُ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْعُلَمَاءُ الْكُسْبَ وَالْاِكْتِسَابَ عِنْدَ أَهْلِ
السُّنَّةِ، فَالْجَبْرِيَّةُ وَقَفُوا مَعَ الْقُدْرَةِ وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَهُوَ جَهْلٌ وَجُمُودٌ،
وَالْمُعْتَزِّلَةُ وَقَفُوا مَعَ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَنْفُذُوا إِلَى شُهُودِ الْقُدْرَةِ، وَهُوَ شِرْكٌ أَوْ كُفْرٌ، وَأَهْلُ

السُّنَّةُ نَظَرُوا إِلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ مُرْتَدِيَةً بِرِدَائِ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ عَيْنُ الْكَمَالِ، إِلَّا أَنَّ الْحِكْمَةَ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ أَعَمُّ مِنَ الْكَسْبِ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَلَا يَفَرِّقُ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى الْكَمَالِ إِلَّا أَهْلُ الشُّهُودِ وَالْعِبَانِ.

وَأَمَّا الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَالْخَلْقُ عِبَارَةٌ عَنِ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ بِالتَّدْرِيجِ حَسَبِهَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ، وَالْأَمْرُ عِبَارَةٌ عَنِ إِبْرَازِهِ فِي لَحْظَةٍ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْقُدْرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنَّهُ لَخَلْقٌ وَآلَأَمْرٌ﴾ [الْأَعْرَافُ: الْآيَةُ 54]، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْخَلْقِ إِلَّا فِي الْمَعْجِزَةِ لِلنَّبِيِّ أَوْ الْكَرَامَةِ لِلْوَلِيِّ، كَمَا لَا تَنْفَكُ الْقُدْرَةُ عَنِ الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ عَالَمَ الْخَلْقِ مِنْ جَمَلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْإِسْتَارُ لِسِرِّ الْقُدْرَةِ.

وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ، فَالشَّرِيعَةُ أَدَبُ الظُّوَاهِرِ، وَالْحَقِيقَةُ مَعْرِفَةُ الْبُاطِنِ. الشَّرِيعَةُ تَغْطِيهِ لِلْحَقِيقَةِ كَالْحِكْمَةِ لِلْقُدْرَةِ، بَلْ هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْحِكْمَةِ.

وَأَمَّا الْفَنَاءُ فَهُوَ الْغَيْبَةُ عَنِ جَسَدِ الْكَائِنَاتِ بِشُهُودِ الْمَعَانِي، وَالْبَقَاءُ شُهُودُهُمَا مَعًا، فَيُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُوفَّى كُلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ.

وَالسُّكْرُ هُوَ عَيْنُ الْفَنَاءِ، وَالصُّحُوحُ عَيْنُ الْبَقَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

فَالْتَمِيزُ هُوَ الْمَفْسَرُ لِمَا أَنْبَهُم مِنَ الذُّنُوبِ مَعَ الْمَعَانِي، فَيَمَيِّزُ بَيْنَهُمَا، وَيَقُومُ بِحَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الاستثناء

الاستثناء لغة إخراج الشيء مما دخل فيه غيره، وإدخال الشيء فيما خرج منه غيره. وفي الاصطلاح: الإخراج بآل أو إحدى أخواتها، تحقيقاً أو تقديرًا، من مذكور أو متروك، بشرط الفائدة. فقوله: تحقيقاً إشارة إلى الاستثناء المتصل، أو تقديرًا إشارة إلى الاستثناء المنقطع، فالمتصل ما كان المستثنى بعض المستثنى منه، والمنقطع ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه نحو: قام القوم إلا حمارًا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: الآية 56]، وقوله: من متروك أو مذكور إشارة إلى التام والناقص وسيأتي، وقوله: بشرط الفائدة، فخرج لنحو: مَا ضَرَبْتُ إِلَّا ضَرْبًا، إذ لا فائدة فيه.

ثم ذَكَرَ الْأَتَوَاتِ قَالَ:

وَحُرُوفُ الاستثناء ثَمَانِيَّةٌ، وَهِيَ: إِلَّا، وَغَيْرُ، وَمِثْلُ، وَمِثْلُ، وَسِوَاءُ، وَخَلَا، وَهَذَا، وَحَاشَا.

قلت: أطلق عليها حروفًا تغليبيًا، وإلا فمناها ما هي حروف باتفاق، وهي: إِلَّا. ومنها ما هي اسم باتفاق، وهو: غير ومِثْلُ كرضى، ومِثْلُ كهدى، وسِوَاءُ كسماء، ويقال: سِوَاءُ كبناء. ومنها ما هي مترددة بين الفعلية والحرفية، وهي: خلا وعدا وحاشا، فإن جَرَتْ فهي حروف، وإن نَصَبَتْ فهي أفعال، ما لم تتصل خلا وعدا بما وإلا تعيَّنت فعليتهما.

ثم ذكر حُكْمَ المستثنى فقال: فَالْمُسْتَثْنَى إِلَّا يَنْصَبُ أَيَّ وَجُوبًا كَانَ أَوْ مُتَصِلًا أَوْ مُنْقَطِعًا.

إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُوجِبًا تَامًا، فَاَلْمَوْجِبُ هُوَ الَّذِي لَا يَتَقَدَّمُهُ نَهْيٌ أَوْ شُبْهَةٌ. وَالتَّامُّ هُوَ الَّذِي يَذْكَرُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ قَبْلَ إِلَّا. نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْنًا أَوْ إِلَّا حِمَارًا. وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا حَمَرًا أَوْ إِلَّا حِمَارًا.

وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مَنْفِيًّا أَيْ بَانَ تَقَدَّمَهُ نَهْيٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ اسْتِغْنَامٌ إِنْكَارِي.

تَامًا بَانَ ذَكَرَ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ جَارٍ فِيهِ الْبَدَلُ وَالنَّصْبُ [على الاستثناء] أَيْ إِذَا كَانَ مُتَصِلًا.

نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ بِالرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ أَحَدٍ وَيَجِبُ فِي بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ اتِّصَالُهُ بِضَمِيرِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا وَهُوَ هُنَا مُقَدَّرٌ، أَيِ إِلَّا زَيْدٌ مِنْهُمْ.

وَالْأَزِيدُ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ، وَإِذَا كَانَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا وَجِبَ النَّصْبُ عِنْدَ الْحِجَازِيِّينَ، نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا جِمَارًا، وَيُلْغَتُهُمْ جَاءَ الْقُرْآنُ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ [النِّسَاءُ: الْآيَةُ 157]، وَتَرْجُّعٌ عِنْدَ نَمِيمٍ، وَيَقْرَوْنَ إِلَّا اتِّبَاعٌ بِالرَّفْعِ إِتِبَاعًا لِلْمَحَلِّ. وَفِي الْآلِفِيَّةِ:

وَأَنْصَبَ مَا أَنْقَطَعَ وَعَنْ نَمِيمٍ فِيهِ إِنْدَالٌ وَقَعَ

هَذَا إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَإِلَّا فَالنَّصْبُ عِنْدَ الْجَمِيعِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا لِي إِلَّا آلُ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَشْعَبُ الْحَقِّ مَشْعَبٌ

وَالِإِتِّبَاعُ قَلِيلٌ. ذَكَرَ يُونُسُ: مَا لِي إِلَّا أَخُوكَ نَاصِرٌ.

وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ نَاقِضًا بَانَ لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَيُسَمَّى مُقَرَّرًا.

كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَوَامِلِ، أَيِ كَانَ إِلَّا كَالْعَدَمِ.

نَحْوُ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ وَإِذَا تَعَدَّدَتْ الْمُسْتَثْنَايَاتُ جُعِلَ وَاحِدٌ مِنْهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَنُصِبَ الْبَاقِي وَجُوبًا، نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا إِلَّا خَالِدًا إِلَّا بَشْرًا.

وَالْمُسْتَثْنَى بِغَيْرٍ، وَسَوَى، وَسَوَى، وَسَوَاءٍ مَجْرُورٌ لَا غَيْرَ.

أَيِ بِالإِضَافَةِ، فَلَا يَجُوزُ فِي مَا بَعْدَهَا إِلَّا الْجَزْءُ وَأَمَّا هِيَ فَتُعْرَبُ إِعْرَابَ الْأَسْمِ الَّذِي بَعْدَ إِلَّا. فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مُوجِبًا تَامًا وَجِبَ نَصْبُهَا عَلَى الْحَالِ، وَإِنْ كَانَ مُنْفِيًا تَامًا جَازَ فِيهَا الْبَدَلُ وَالنَّصْبُ نَحْوُ: مَا قَامَ أَحَدٌ غَيْرُ زَيْدٍ وَغَيْرُ زَيْدٍ. وَإِنْ كَانَ نَاقِضًا كَانَتْ عَلَى حَسَبِ الْعَوَامِلِ، نَحْوُ: مَا قَامَ غَيْرُ زَيْدٍ، وَمَا ضَرَبْتُ غَيْرَ زَيْدٍ، وَمَا مَرَرْتُ بِغَيْرِ زَيْدٍ. وَكَذَلِكَ سَوَى وَسَوَى وَيُقَدَّرُ فِيهَا الْإِعْرَابُ.

وَالْمُسْتَثْنَى بِخَلَا، وَهَذَا، وَخَاشَا، يَجُوزُ نَصْبُهُ وَجَرُّهُ.

وَإِنْ نَصَّيْنَا فَأَنْعَالَ، وَإِنْ جَرَرْنَا فَحُرُوفَ.

نَحْوُ: قَامَ الْقَوْمُ خَلَا زَيْدًا وَزَيْدٌ، وَهَذَا عَمَرُوا وَهَمَرُوا، وَخَاشَا بَكْرًا وَبَكْرِي.

فَخَلَا فَعَلَ مَاضٍ جَامِدٌ، وَالْفَاعِلُ مُسْتَرَرٌّ يَعُودُ عَلَى الْبَعْضِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ السَّابِقَةِ، وَزَيْدًا مَفْعُولٌ خَلَا، وَجُمْلَةٌ خَلَا زَيْدًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَوْ مُسْتَأْنَفَةٍ فَلَا مَوْضِعَ لَهَا وَإِنْ جَرَرْتُ مَا بَعْدَهَا فَخَلَا حَرْفُ جَرٍّ، وَزَيْدٌ مَجْرُورٌ بِهَا. وَمَوْضِعُ خَلَا وَ مَجْرُورُهَا نَصْبٌ إِمَّا مِنْ تَمَامِ الْكَلَامِ أَوْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفِعْلِ السَّابِقِ. وَهَذَا وَخَاشَا عَلَى وَزْنِ مَا قَبْلَهُ جُمْلَةٌ وَتَفْصِيلٌ.

ويبقى على المصنف المستثنى بليس ولا يكون، والعذر له أنه اكتفى عنهما بما تقدم في كان وأخواتها، لأنه خبر ليس وكان. تقول: قام القوم ليس زيداً أو لا يكون زيداً، أي ليس بعضهم زيداً أو لا يكون بعضهم زيداً. والله تعالى أعلم.

■ الإشارة:

المستثنى من الفرع الأكبر هو من حصل الإيمان والطاعة، أو مقام الإحسان والمعرفة، وأسباب النجاة منه ثمانية: التقوى ظاهراً وباطناً، واتباع السنة قولاً وفِعْلاً، والصبر على الطاعة وعن المعصية وفي التهمة والبلية، والرضى عن الله في الجلال والجمال، والتوكل عليه في المنع والعطاء، والورع عن المحرم والمكروه، والزهد في الفضول من كل شيء، ومراقبة الله في السر والعلانية.

فَمَنْ حَصَلَ هَذِهِ الْأُمُور كَانَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمْ مَلَأَةً مِمَّا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 103] ويكون من الذين استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَكَاهُ اللَّهُ﴾ [النمل: الآية 87]. ومن غلبه القدر فالتوبة معروضة. وبالله التوفيق.

بَابُ لَا

أي التي لتفي الجنس وتسمى لَا التَّبرية لأنها تنفي الجنس، فكأنها تدل على البراءة من ذلك الجنس، والأصل فيها أَلَا تَعْمَلُ لَعَدَمِ اختصاصها بالأسماء لكن إذا قَصِدَ بِهَا نَفْيُ الجنس على سبيل الاستغراق ونَصَّ العموم عملت بالحمل على أَنَّ المؤكدة في الإثبات وهي مؤكدة في النفي، والشئ يُحْمَلُ على ضِدِّهِ، كما يُحْمَلُ على يَدِّهِ. وَلَمَّا كَانَ عملها بالحمل جعلوا لها شروطاً ستة:

أولها: أن تكون ثابتة لا زائلة.

ثانيها: أن تكون لتفي الجنس، لَا لتفي الوحدة.

ثالثها: أن تكون نصاً في العموم.

رابعها: أن يكون معمولها نكرة اسمها وخبرها.

خامسها: أن تكون متصلة باسمها.

سادسها: أَلَا يَدْخُلُ عليها حرف جرّ. وقد نظمهم بعضهم في بيت فقال:

لَتَفِي جِنْسٌ مَنكَرٌ نَصًّا وَصَلٌ بِلَا وَلَا جَرٌّ شَرْطٌ لَا عَمَلٌ.

زاد بعضهم سابقاً: وهو أن لَا يكون اسمها معمولاً لغيرها كقوله تعالى: ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ [ص: الآية 59] فإنه معمول لمقتدر، أي لَا يُقَالُ لَهُمْ: مرحباً بهم، أي وجدتم مكاناً رخيماً.

فإن توفرت هذه الشروط وجب عملها، تكررّت أم لا، وهو ظاهر كلام صاحب الألفية، حيث قال:

عَمَلٌ إِنْ أَجْعَلَ لِأَلَا فِي نَكْرَةٍ مُفْرَدَةً جَاءَتْكَ أَوْ مُكْرَرَةً

بخلاف ظاهر كلام المصنّف حيث قال:

اعْلَمْ أَنَّ لَا تَنْصِبُ النِّكَرَاتِ بِغَيْرِ تَوْحِينَ إِذَا بَاشَرَتْ النِّكَرَةَ وَلَمْ تَتَكَرَّرْ لَا.

فظاهره أَنَّ عَدَمَ التكرار شرط وليس كذلك، وإنما المَدَارُ على توفّر الشروط، فإن توفرت وجب العمل وهو البناء على الفتح في النكرة المفردة والنصب في غيرها،

وقوله: تنصب النكرة، ظاهرة أنه نصب إعراب؛ وهو مذهب الجرمي⁽¹⁾ والزجاج والسيرافي⁽²⁾ وحذف التنوين عندهم تخفيفاً. ومذهب البصريين أنه مبني معها إن كان نكرة مفردة ونصب إن كان مضافاً أو شبيهاً به. والمراد بالمفرد هنا ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف، فيصدق بالمفرد، نحو: «لَا بَيْعَ فِيهِ» [البقرة: الآية 254]، وبالمثنى كقول الشاعر:

تَعَزَّ قَلًا الْفَيْنَ بِالْعَيْشِ مُتَعًا ولكن لِيُورَّادَ الْمَنُونُ تَتَابِعُ
أي تَصَيَّرَ عَلَى فِرَاقِ الْأَحْبَابِ قَلًا حَيِّينَ مُتَعًا بِالْعَيْشِ الدَّائِمِ ولكن لِشَرَابِ كَأْسِ
الْمَنُونِ تَتَابِعٍ وَتَوَارِدًا، وَالْمَنُونُ بفتح الميم: الموت.
وبالجمع، نحو: لَا رِجَالَ وَلَا مُسْلِمِينَ، فَيُنَى عَلَى الْفَتْحِ أَوْ نَائِبُهُ.
وبالجمع الْمُؤَنَّثِ، كقول الشاعر:

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبَهُ فِيهِ تِلْذُذٌ وَلَا لَذَاتِ الشَّيْبِ
إِلَّا أَنْ جَمَعَ الْمُؤَنَّثَ يَجُوزُ فِيهِ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ، فَيُرْوَى لَا لَذَاتِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ.
وَاخْتَلَفَ فِي عِلَّةِ بَنَائِهِ قَلِيلٌ: لَتَضَمُّنُهُ مَعْنَى مِنَ الْاِسْتِغْرَاقِيَّةِ بِدَلِيلِ ظَهْوَرِهَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:
فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ يَقُولُ أَلَا لَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى هُنْدٍ
وقيل لتركيب لَا مَعَ اسْمِهَا تَرْكِيبُ خَمْسَةِ عَشَرَ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِضَافًا، نَحْوُ: لَا
غَلَامَ سَفَرٍ حَاضِرٍ، أَوْ شَبِيهَا بِالْمِضَافِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَطْلُبُ مَا بَعْدَهُ. نَحْوُ: لَا مَارًا بَزِيدٍ
عِنْدَنَا، وَلَا طَالِعًا جَبَلًا حَاضِرًا، فَيَنْصَبُ اتِّفَاقًا. ثُمَّ مِثْلُ فَقَالَ: نَحْوُ: لَا رَجُلًا فِي الدَّارِ.
ومثله: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا نَافِيَةَ لِلْجِنْسِ وَالْإِلَهَ اسْمُهَا مَبْنِي عَلَى الْفَتْحِ، وَالْأَلِ
إِنْطَالُ لِلنَّفْيِ، وَاللَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِ فِي الْخَبَرِ، أَيْ مَوْجُودًا، وَفِي الْاِسْتِقْرَارِ
أَي فِي الْوُجُودِ، أَوْ مِنْ اسْمٍ لَا بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ قَبْلَ دُخُولِ لَا؛ وَهُوَ الْاِبْتِدَاءُ، وَهُوَ
ضَعِيفٌ. وَقِيلَ: خَبَرٌ لَا كَقَوْلِكَ: لَا عَالِمَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقِيلَ: مَبْتَدَأٌ، وَلَا إِلَهَ خَبَرٌ.

(1) صالح بن إسحاق الجرهمي، أبو عمر: فقيه وعالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة. سكن بغداد. له كتاب في السير، وكتاب الأبتية، وغريب سيويه، وكتاب في العروض. توفي سنة 225.

(2) الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد: نحوي، علم بالأدب. أصله من سيراف من بلاد فارس حيث ولد سنة 284، تفقه في عمان وسكن بغداد وتوفي فيها سنة 368. مارس القضاء نحواً من 50 سنة وكان لغوياً بارعاً متبحراً في القراءات والغريب والنحو والعروض وتاريخ العلماء كما كان على اطلاع بعلوم المتطق والهندسة والحساب والهيئة. من مصنفاته: الإقناع في النحو، وأخبار النحويين البصريين، وصناعة الشعر، وشرح موسوعي على كتاب سيويه يعتبر أكثر الشروح إيضاحاً وتفصيلاً.

وَالْأَضْلُ اللَّهُ إِلَهًا، ثُمَّ قَدَّمَ الْخَيْرَ لِلْخَضِرِ وَبَنَى مَعَ لَا. وَقِيلَ: ثَائِبٌ عَنْ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مَا لَوْهَ أَيُّ مَعْبُودٍ، وَالْمَعْنَى: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ. فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِكَ: لَا مَضْرُوبَ إِلَّا زَيْدًا. وَقِيلَ مَرْفُوعٌ عَلَى الصُّفَةِ لِلَّهِ، بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ، وَإِلَّا بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَلَمَّا كَانَتْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ وَأَضْلَهَا الْحَرْفِيَّةُ انْتَقَلَ إِغْرَابُهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا.

وَالْخَيْرُ حِينَئِذٍ مَحْذُوفٌ، أَيُّ لَا إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ مُوجُودٌ. وَيَجُوزُ فِيهِ التَّنْصِبُ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلَّهِ بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ، بَعْدَ دُخُولِ لَا، وَالْخَيْرُ مَحْذُوفٌ، أَيُّ لَا إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ مُوجُودٌ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَاهَا فِي الْإِشَارَةِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَفْهُومَ الشَّرْطِ فَقَالَ: فَإِنْ لَمْ تَبَايَسِرْهَا.

أَوْ كَانَ مُدْخُولَهَا مَعْرِفَةً وَجَبَ الرُّفْعُ وَوَجَبَ تَكَرُّارُ لَا، نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ.

ومثله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَلُونَ﴾ [الصَّافَات: الآية 47]. ومِثَالُ الْمَعْرِفَةِ، لَا زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَلَا غَيْرُهُ.

■ تنبيه:

قَدْ تَنَكَّرَ الْمَعْرِفَةُ وَيُقَصِّدُ شِبُوعَهَا، فَتَدْخُلُ لَا عَلَيْهَا وَتُبْنَى عَلَى الْفَتْحِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا هَيْثُمَ اللَّيْلَةُ لِلْمُطَيِّ، وَهَيْثُمَ عَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ كَانَ شَجَاعًا، أَيُّ لَا مِثْلَ هَيْثُمَ، وَقَوْلُ: لَا حَاتِمَ عِنْدَنَا. قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: «وَقَدْ يُوَوَّلُ غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِتَكْرَةِ، فَيُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا بَعْدَ نَزْعِ مَا فِيهِ أَوْ مَا أَضِيفَ إِلَيْهِ مِنْ الْإِفِّ وَالْأَمِّ، وَلَا يُعَامَلُ بِهِذِهِ الْمُعَامَلَةُ ضَمِيرٌ وَلَا اسْمٌ إِشَارَةً، خِلَافًا لِلْفَرَاءِ». ثُمَّ قَالَ الْمَصْتَفِ:

فَإِنْ تَكَرَّرَتْ لَا، جَارَ إِهْمَالُهَا وَإِلْقَاؤُهَا، فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ أَيْ بِالْإِهْمَالِ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: لَا رَجُلٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ. أَيْ بِالْإِهْمَالِ. وَتَقَدَّمَ الْبَحْثُ فِيهِ. وَالتَّحْقِيقُ إِنَّهُ إِنْ قَصَدَ النَّفْيَ عَلَى سَبِيلِ التَّنْصِيبِ وَجَبَ الْبِنَاءُ، تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا، وَإِنْ قَصَدَ النَّفْيَ عَلَى سَبِيلِ الظُّهُورِ، وَلَمْ يَرِدِ التَّنْصِيبُ، وَجَبَ إِهْمَالُهَا، أَوْ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ. قَالَ الشَّيْخُ عَلَى بَرَكَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ: وَقَدْ يَغْتَبِرُ الْجَوَازُ بِحَسَبِ إِزَادَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَدَمِهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ التَّنْصِيبَ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى مَقْتَضَى عَمَلِهَا فِي الْبَابِ، وَيَجُوزُ أَلَّا يُرِيدَهُ بَلْ يَبْقَى الْأَمْرُ عَلَى الظُّهُورِ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى الْإِلْغَاءِ، أَوْ عَمَلُ لَيْسَ. قَالَ: وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ أَنْصَفَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

■ تكميم:

يجوز في لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ خُمْسَةُ أَزْجٍ: فَتَحُهُمَا، رَفَعُهُمَا، فَتَحَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ

الثاني ونصبه، رفع الأول، وفتح الثاني، ونُتِنَع رفع الأول ونصب الثاني.

■ قُرْع:

يجوز حذف اسم لا وإبقاء خبرها كقولهم: لا عليك أن تفعل، أو لا بأس، أو لا شيء عليك. وأما حذف خبرها فكثير، إذا دلَّ عليه دليل، كقوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [سَبَا: الآية 51]، ﴿قَالُوا لَا خَيْرَ﴾ [الشُعَرَاء: الآية 50]. ويلتزم حذفه التَّيْمِيُونُ وَالطَّائِيُونُ. وأما إذا جهل يجب ذكره كقوله في الحديث: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ». والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

تنفي الجنس والبعد عن الحسن شرط في دخول حضرة القدس ومحل الأنس، قُرْع قلبك من الأغيار تملأ بالمعارف والأسرار. كيف يُشْرِقُ قلبُ صُورِ الأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً في مِرَاتِيهِ، أم كيف يَرْحَلُ إلى الله وهو مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ، أم كيف يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ اللَّهِ وهو لَمْ يَتَّظَرْ مِنْ جَنَابَاتِ عَفَلَاتِهِ [الحكم العطائية]، ولهذا شرعت كلمة التوحيد وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: وهي تنفي الشُّرَكَ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وتُظَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الشَّوَاعِلِ وَالْعَلَانِي. فالعامة تنفي الشُّرَكَ الْجَلِيِّ، والخاصة تنفي الخَفِيِّ. فالنفي مُسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عِبَدَ غَيْرَ اللَّهِ من صنم أو كَوْكَبٍ أو نار أو غير ذلك، مِمَّنْ اعتقدتِ الْعَرَبُ وَأَهْلُ الضَّلَالَةِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ مع الله. فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا مُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ إِلَّا اللَّهُ؛ فهي تنفي استحقاق العبادة عَنْ غَيْرِ اللَّهِ وتثبتها لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فقول الاستثناء هو الصواب.

وأما نفيها للشُّرَكَ الْخَفِيِّ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَهُوَ عَبْدٌ لَهُ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ تَأَلَّهَ. وكذلك مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ عَبْدُهُ، فإذا قال المؤمن: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ شَيْءٍ مَالٍ إِلَيْهِ قَلْبُهُ، أو خَافَ مِنْهُ، أو طَمَعَ فِيهِ، فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا حَيِّبَ لِي، وَلَا مَعْبُودَ لِي إِلَّا اللَّهُ. أو لَا رُكُونَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَا خَوْفَ لِي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ. فكل واحد ينفي ما في قَلْبِهِ مِنَ الْأَغْيَارِ. فأولها تَخْلِيَةٌ وَآخِرُهَا تَحْلِيَةٌ. ولذلك كَانَ يَغْضَهُمْ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشَارَ بِرَأْسِهِ إِلَى نَاحِيَةِ فَقَاءٍ، كَمَنْ يَرْمِي شَيْئًا، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشَارَ بِرَأْسِهِ إِلَى قَلْبِهِ، لِيَتِمَّ كُنْ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ، هَكَذَا يَسْتَمِرُّ، حَتَّى لَا يَجِدَ مَا يَنْفِي، فَيَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤْخِذُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَيُخْبِرُنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ مِوَاهُ، فَحِينَئِذٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ، ثُمَّ هُوَ هُوَ، ثُمَّ يَغْرُقُ فِي بَحْرِ الْأَحْدِيَّةِ، فَيَضْمَتِ اللِّسَانُ وَثَبَتَ الشَّهَادَةُ وَالْعِيَانُ. وما ذلك على الله بعزيز.

بَابُ الْمُنَادَى

وهو اسم مفعول، من نَادَيْتَهُ نِدَاءً يَكْسِرُ النُّونَ فِي الْأَشْهَرِ وَيَجُوزُ الضَّمُّ، وَهَمْزَتُهُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ، لِقَوْلِهِمْ: نَدَّوْتُ الْقَوْمَ نَدْوًا، أَيْ جَلَسْتُ مَعَهُمْ فِي النَّادِي؛ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُنَادِي فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ قَوْمِ لُوطٍ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرُ﴾ [العنكبوت: الآية 29]، أَيْ فِي مَجْلِسِكُمْ وَمَجْمَعِكُمْ. وَفِي اللُّغَةِ: الدَّعَاءُ لِعَاقِلٍ مُجِيبٍ، أَوْ لَغَيْرِ الْعَاقِلِ عَلَى طَرِيقِ التَّذْكَرِ وَالتَّذْكِيرِ، كِنِدَاءِ الْأَطْلَالِ وَالْدِّيارِ تَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَلَا يَا دَارَ مِيةٍ يَا عَلِيًّا فَالْتَّسُدْ

وَحَيَّاكَ اللَّهُ يَا جَمَلُ:

أَلَا يَا مِرْبَبَ الْقَطَا هَلْ مِّنْ يَعِيرِ جَنَاحِهِ

وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: الدَّعَاءُ بِنَاءٍ أَوْ إِخْدَى أَخَوَاتِهَا. فَإِذَا قُلْتَ: أَذْعُوكَ أَوْ أَقِيلَ عَلَيَّ أَوْ أَخْضُرْ، وَقَصَدْتَ بِذَلِكَ الْإِنْشَاءَ كَانَ نِدَاءً لُّغَةً لَا عُرْفًا وَإِذَا قُلْتَ: يَا زَيْدُ، كَانَ نِدَاءً لُّغَةً وَعُرْفًا.

وَحُرُوفُ النَّدَاءِ ثَمَانِيَةٌ: الْهَمْزَةُ وَأَيُّ مَقْصُورَتَيْنِ وَمَقْمُودَتَيْنِ، وَيَاءٌ وَأَيَّا، وَهَيَّا، وَوَا فِي التَّذْبِيَةِ، فَالْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَنَزَلَةُ الْبَعِيدِ، لَنُومٍ أَوْ سَهْوٍ، فَيُنَادَى بِمَا لِلْبَعِيدِ؛ وَهُوَ مَا سِوَى الْهَمْزَةِ، وَقِيلَ الْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ، وَالْمَمْدُودَةُ لِّلْمَتَوَسِّطِ، وَالْبَاقِي لِلْبَعِيدِ. وَأَعْمَهَا دُخُولُ الْيَاءِ، وَتَتَعَيَّنُ فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ وَفِي الْاسْتِغَاثَةِ، نَحْوُ: يَا اللَّهُ، يَا لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يُنَادَى بِمَا لِلْبَعِيدِ، نَحْوُ: يَا رَحْمَنَ، يَا إِلَهَ. فَالْجَوَابُ إِنْ الْمُنَادِي يَسْتَصْغِرُ نَفْسَهُ وَيُنْزِلُهَا مَنَزَلَةَ الْبَعِيدِ تَوَاضَعًا وَاحْتِقَارًا لِنَفْسِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْمُنَادَى فَقَالَ:

الْمُنَادَى خَمْسَةٌ أَنْوَاعٌ: الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنَّكْرَةُ الْمُقْصُودَةُ، وَالنَّكْرَةُ غَيْرُ الْمُقْصُودَةِ، وَالْمُضَافُ، وَالْمُثَبَّطُ بِالْمُضَافِ.

قُلْتُ: الْمُرَادُ بِالْمَفْرُودِ هُنَا مَا لَيْسَ مُضَافًا وَلَا شَيْئًا بِهِ، فَيَصْلُقُ بِالْمَفْرُودِ وَالْمُثَبَّطِ وَالْمَجْمُوعِ، نَحْوُ: يَا زَيْدَ، وَيَا زَيْدَانِ، وَيَا زَيْدُونَ. وَالْمُرَادُ بِالنَّكْرَةِ الْمُقْصُودَةِ مَا عِيَتْهُ

وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، سواء كانت مفردة أو مثناة أو مجموعة، نحو: يا رجل، يا رجلاً،
وَيَا رِجَالاً، وَيَا نِسَاءً، ونحو ذلك. والنكرة غير المقصودة، هي غير المعينة كقول
الْأَعْمَى: يَا رَجُلًا خُذْ يَدَيَّ، وَكَقَوْلِ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُكَ. وسواء كانت
أيضاً مفردة أو مثناة أو مجموعة، نحو: يا رجلين وَيَا رِجَالاً. والمُرَاد بالمُضَاف مَا
أُضِيفَ إِلَى مَا بَعْدَهُ. نحو: يا عبد الله. ﴿يَصْنَعِي الْيَجَنِّ﴾ [يوسف: الآية 39]. مفرداً
كَانَ أَوْ مثنًى أَوْ مَجْموعاً، والمُشَبَّه بالمُضَافِ، ما عمل فيما بَعْدَهُ مطلقاً، نحو: يَا
طَالِعَا جَبَلًا. وَيَا رَجِيمًا بِالْعِبَادِ. وقد يُقَالُ: هو ما اتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ تَمَامِ مَعْنَاهُ،
فَيَدْخُلُ فِيهِ: يَا حَاضِرًا لَا يَغِيبُ وَيَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ مَسْمًى بِهِ.

ثم أشار إلى بَيَانِ حُكْمِهَا فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ فَقَالَ:

فَأَمَّا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ وَالتَّكْرَةُ الْمُقْصُودَةُ فَيَتَيَّانِ عَلَى الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَتْوِينٍ.

يَعْنِي، أَنَّ الْمُفْرَدَ الْعَلَمَ وَالتَّكْرَةَ الْمُقْصُودَةَ حُكْمُهُمَا الْبِنَاءُ، وَسَبَبُ بِنَائِهِمَا، إِثْمًا مَا
فِيهِمَا مِنَ الشَّبَهِ بِضَمِيرِ الْخَطَابِ، وَإِثْمًا لِإِجْرَائِهِمَا مَجْرَى الْأَصْوَاتِ، وَنُسْبَ لِسَبِيئِهِ،
وَقَوْلُهُ عَلَى الضَّمِّ، الصُّوَابُ أَنْ يَقُولَ: قَيِّتَانِ عَلَى مَا يُغْرِيَانِ بِهِ، لِيَشْمَلَ الْمَفْرَدَ
وَالْمثنى والمجموع بأنواعه.

نَحْوُ: يَا زَيْدُ وَيَا رَجُلُ.

وَيَا زَيْدَانِ، وَيَا زَيْدُونَ، وَيَا هُنْدَاتِ، وَيَا رِجَالِ، وَيَا هُنُودَ، وعِبَارَةُ الْخِلَاصَةِ
أَكْمَلُ حَيْثُ قَالَ:

وَابْنُ الْمُعَرَّفِ الْمُتَنَادَى الْمُفْرَدُ عَلَى الَّذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عُمِدَا

وَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ: الْبِنَاءُ عَلَى الضَّمِّ، وَمَا مِوَاهُ فَرُغَ اقْتِصَارَ عَلَى الضَّمِّ، وَمَا
كَانَ مَبْنًى قَبْلَ التَّنَادَى تَوَى ضَمُّهُ، نَحْوُ: يَا هَوْلَاءِ، وَيَا سَيَّوِيَهُ، ونحو ذلك. ويظهر أثر
ذَلِكَ فِي التَّابِعِ. تقول: يَا سَيَّوِيَهُ الْعَالِمُ، بِالرَّفْعِ مُرَاعَاةً لِلضَّمَّةِ الْمُنَوِيَةِ وَبِنَصْبِهِ مُرَاعَاةً
لِلْمَحَلِّ؛ لِأَنَّ مَحَلَّهُ نَصْبٌ؛ لِأَنَّ الْبَاءَ نَائِبَةٌ عَنْ أَذْعُو. ويجوز أَيْضًا الضَّمُّ وَالْفَتْحُ فِي
قَوْلِكَ: يَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَيَا هِنْدُ بِنْتُ سَعْدٍ، فَالضَّمُّ هُوَ الْأَصْلُ وَالْفَتْحُ مُرَاعَاةً
لِلْمَحَلِّ وَ إِنْ أَتَيْتَ بِتَابِعٍ لِلْمُنَادَى الْمَبْنِيِّ نَعْتَ أَوْ تَوْكِيدَ أَوْ عَطْفَ يَتْيَانِ، فَإِنْ كَانَ التَّابِعُ
مُضَافًا دُونَ أَنْ وَجِبَ نَصْبُهُ، نَحْوُ يَا زَيْدُ دَا الْجَيْلِ، وَيَا تَمِيمُ كُلِّهِمْ، وَيَا عَلِيَّ زَيْنُ
الْعَابِدِينَ، اتِّبَاعًا لِلْمَحَلِّ. وَإِنْ كَانَ مَقْرُونًا بِأَلٍ أَوْ غَيْرِ مُضَافٍ أَوْ مُضَافًا مَقْرُونًا بِأَلٍ فَفِيهِ
وَجْهَانِ: الرَّفْعُ مُرَاعَاةً لِلظَّاهِرِ، وَالتَّنْصِبُ مُرَاعَاةً لِلْمَحَلِّ، نَحْوُ: يَا زَيْدَ الْعَالِمِ، وَيَا
تَمِيمَ أَجْمَعُونَ، وَيَا زَيْدَ الْحَسَنِ الْوَجْهِ. وَإِنْ كَانَ التَّابِعُ بَدَلًا أَوْ عَطْفَ نَسَقٍ، جُعِلَ كَأَنَّهُ
مُسْتَقِلٌ بِالنَّدَاءِ؛ لِأَنَّ الْبَدَلَ وَعَطْفَ النَّسَقِ عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّرِ الْعَامِلِ. تقول: يَا زَيْدُ وَبَشْرُ،

ويا زيد كرز بالضم فقط، وتقول: يا زيد وأخانا، ويا زيد أخانا بالتَّضْبِ فقط، إلا إن كان النَّسَبُ مقروناً بأن ففيه وجهان، ورفع ينتهي، كقول الشاعر:

أَلَا يَا قَبِيسَ وَالضُّحَاكَ سِيراً فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ

وهذا في غير تابع أي، وأما تابعها فواجب الرفع، نحو: يا أيها الناس ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي تَزِلُّ عَلَيْهِ الْأَكْرُ﴾ [الحجر: الآية 6]؛ لأن هذه نكرة مقصودة، ولا تستعمل في النداء إلا كذلك، وهي وضلة لنداء ما فيه أل، إذ لا يجوز أن يُجمع بين يا وأل إلا مع الله. ومخبري الجمَل، نحو: يا لله، يا لمنطلق زيد مسمى به. ويا لخليفة هبّة، لأنه في المعنى يا مثل الخليفة وكثر في نداء اسم الجلالة حذف الياء، وتعويض الميم المشددة عنها، نحو: اللهم، ولا يُجمع بينهما إلا في الضرورة كقول الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ أَلَمًا أَقُولُ يَا لِلَّهِمَّ يَا لِلَّهِمَّ

■ تنبيه:

يجوز نداء ضمير المتكلم و الخطاب دون الغيبة، إذ لا يمكن نداء الغائب. وقول الصوفية: يا هو، لم يبق عندهم غائباً بل صار قريباً متعيناً إذ لم يبق في نظرهم إلا هو لانطباق بحر الأحديّة عليهم، فلم يَرَوْا سِوَاهُ. وقال القشيري: هو عندهم علم على الذات، فليس هو عندهم ضميراً، وإنما هو اسم للهوية الحقيقية الفردانية. واعتراض أبي حيان عليهم لأنه لم يعرف مقصودهم ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ نَفْسَهُمْ﴾ [البقرة: الآية 60]. والله تعالى أعلم.

ثم قال المصنف: وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لَا هَيْزُلَ.

قلت: الثلاثة الباقية هي النكرة غير المقصودة، والمضاف، والمشبّه بالمُضاف. فمثال غير المقصودة قول الراعي: يا غافلاً والموت يطلبه، وقول الأصمى: يا رجلاً خذ بيدي. ومثال المضاف: يا عبد الله، ويا أبانا. ومثال المشبّه بالمُضاف ويُقال له المطول: يا طالعا جبلاً، ويا رفيقاً بالعباد، ويا ثلاثة وثلاثين، مسمى به وإن ناديت جماعة هذه عدّتهم فإن لم تعينهم فكذلك، وإن عيّنتهم قلت: يا ثلاثة والثلاثون، بناءً الأول وتعريف الثاني ويجوز فيه الرفع والتضْبُّ كما تقدّم. ويدخل في هذا النكرة الموصوفة بجملة نحو: يا عظيماً يرجى لكل عظيم، ويا حاضراً لا يغيب، فيتعبّرُ نُضْبُهُ على المشهور. وقول المصنف: لا غير، لا نافية تعمل عمل ليس، وغير اسمها مبني على الضم لقطعه عن الإضافة، وخبرها محذوف، أي لا غير التَّضْبِ جائزاً،

وأنكره في المعني وقال: إنه لحن، والمشهور جَوَّازُهُ بدليل قول الشاعر:
لعمرك ما أشلفت ما لا غير تَنْشُلُ
والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

المُنَادَى في الأزمات والمآرب خمسة: المفرد العَلَم وهو الحق جلّ جلاله، وهذا هو المقصود بالذات، والأربعة وسائل. وقد يطلق المفرد العَلَم على الرسول عليه الصلاة والسلام لانفراده بالكمالات وظهوره بالمُعْجَزَات ظهور نار القيرى على عَلم، وإليه أشار صاحب البردة⁽¹⁾ بقوله:

خَفَضْتُ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ نُودِيَْتَ بِالرُّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَشَفِيعُهُ الْأَكْرَمُ، بِهِ تَفْرَجُ الْكَرْبُ، وَتُقْضَى الْمَآرِبُ. ولله دُرُّ الْقَاتِلِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ الْبَكْرِيُّ الصَّدِيقِيُّ⁽²⁾ حَيْثُ قَالَ:

قُلْتُ بِهِ فِي كُلِّ مَا تَرْتَجِي فَلِئِنَّ الْمَأْمَنُ وَالْمَعْقِلُ
وَعُذُّهُ مِنْ كُلِّ مَا تَخْتَشِي فَهُوَ شَفِيعٌ دَائِمًا يُقْبَلُ

والنكرة المقصودة وهي سِرُّ الْوَلَايَةِ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهَا كَانَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ اللَّهِ، يُقْرَعُ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ، وَتُقْضَى بِشَفَاعَتِهِ الْحَوَائِجُ لِأَنَّهُ نَائِبٌ عَنِ الرَّسُولِ الَّذِي هُوَ الْحِجَابُ الْأَعْظَمُ. وَإِنَّمَا فَسَّرْنَا النكرة المقصودة هُنَا بِسِرِّ الْخُصُوصِيَّةِ لِأَنَّهُا تَنْكَرُ أَوَّلًا، وَتَقْصِدُ ثَانِيًا بَعْدَ التَّمَكُّنِ مِنْهَا، فَيُظْهِرُ اللَّهُ صَاحِبَهَا بَعْدَ الْخَفَاءِ لِيَتَفَعَّلَ بِهِ الْعِبَادُ وَتَحِيَّا بِهِ الْبِلَادُ. والنكرة غير المقصودة هي الْخُصُوصِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى حَالِ الْخَفَاءِ، حَتَّى مَاتَ صَاحِبُهَا، فَهُوَ كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْحَقِّ، وَعَرُوسُ الْحَضَرَةِ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَمْثَالُهُ، وَمِنْ قَرَبِ مَنَ.

والمُضَافُ إِلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْخِدْمَةِ، وَهُوَ مُلْحَقٌ بِهِمْ فِي الْمَالِ.

(1) محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: شاعر من أتباع الشيخ أبي العباس المرسي، نسبته إلى بوصير بمصر وأصله من المغرب. مولده سنة 608 ووفاته بالإسكندرية سنة 696. له ديوان شعر وأشهر شعره البردة والهمزية في مدح الرسول ﷺ.

(2) محمد بن محمد أبي الحسن البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الدين: من علماء المتصوفين. له شعر جيد. مولده بمصر سنة 930 وولاته بها في 994. من كتبه: شرح مختصر أبي شجاع في الفقه، وديوان شعر، ورسائل في التصوف والعبادات، وهو صاحب الحزب المعروف بحزب البكري.

والمشبه بالمُضَاف وهو مَنْ تَزَيَّا بِزَيِّهِمْ وانتَسَبَ إِلَيْهِمْ، ولم يَكُنْ لَهُ نَاهِيَةٌ لِلظَّفَرِ بِسِرِّهِمْ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ تَلَحُّقُهُ بِرِكَائِهِمْ، وَتَشَجُّبُ عَلَيْهِ أَنْوَارُهُمْ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

لِي مَادَاتٍ مِنْ حُبِّهِمْ أَقْدَامُهُمْ قَوْقُ الْجِبَاءِ
إِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْهُمْ قَلِي فِي حُبِّهِمْ عَزُّ وَجَاءِ

فَأَمَّا الْمَفْرَدُ الْعَلَمُ، وَيُرَادُ بِهِ الرِّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالنَّكْرَةُ الْمَقْصُودَةُ، فَيُبَيَّنُ أَمْرُهُمْ عَلَى الضَّمِّ عَلَى اللَّهِ، وَالْجَمْعُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ ثَنَوِيَةِ الْأَثَرِ بِشَهَادَةِ الْمُؤَثِّرِ، فَلَا يَفْتَرِقُونَ عَنْهُ مَاعَةً.

وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لِلْمُقَادِيرِ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ مَا كَتَبَ لَهُمْ مَعَ السَّكُونِ تَحْتَ مَجَارِيهِ، إِنْ قَرَّبَهُمْ فَبَفْضِلِهِ، وَإِنْ فَرَّقَهُمْ فَبِعَدْلِهِ، وَالسُّرُّ مِنْ أَجْلِهِ يَحُلُّو. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ

ويُقال له: المفعول له، والمفعول لأجله. وحده في التسهيل بقوله: «هو المصدر المُعَلَّل، به حدث مشارك في الوقت، ظاهرًا أو مقدرًا، والفاعل تقديرًا أو تحقيقًا». وقال الفايهبي: هو المصدر القلبي الفضلة، المحدث لحدث مشارك، وقتًا وفاعلًا، وعرفه المصنف بقوله:

وَهُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكِّرُ بَيِّنَاتًا لِسَبَبِ وَقُوعِ الْفِعْلِ.

فخرج بالاسم: الفعل والحرف، وبالمَنْصُوبِ المجرور، وبالَّذِي يُذَكِّرُ كسائر المنصوبات ما عدا المفعول له. فالمفعول له هو الذي يُذكر علةً وباعثًا للفعل الواقع. فإذا قلت: قمتُ، ذلَّ على أنَّه وَقَعَ منك قيامٌ، وَلَا يَذْهَبُ ما عِلَّتُهُ، وَلَا الباعث عليه، فإذا قلت: إجلالاً أو محبةً، فقد بيَّنت علةَ القيام. فالمراد بالفعل اللَّغَوِي، فَيُضَدَّقُ بِالمَصْدَرِ والفِعْلِ العُرْفِيِّ، نحو: كَانَ قيامي إجلالاً لك، وسواء كَانَ باعثًا وعلةً، أو باعثًا فقط، كَقَعْدَتِ عن الحربِ جيتًا. ويشترط في نَصْبِهِ خَمْسَةُ شُرُوطَ:

الأول: كونه مصدرًا، فلا يجوز جنتك السَّمَن والعَسَل.

الثاني: كونه قلبيًا كالرغبة والإجلال، فلا يجوز جنتك قراءة العلم لأنَّ القراءة لسانية ونظرية.

الثالث: كونه ظاهرًا، فلا يجوز جازوك لَمَّا جئتُه.

الرابع: اتحاده بالمعلَّل به وقتًا، فلا يجوز جنتك أَمْس طمعًا في معروفك الآن.

الخامس: اتحاده بالمعلَّل به فاعلًا، فَلَا يجوز جنتك محبتك إِيَّاي.

وقد استكمل هذه الشروط ما مثَّل به المصنف مِنْ قوله:

نَحْوُ قَوْلِكَ: قَامَ زَيْنٌ إِجْلَالًا لِمَعْرُوفٍ، وَقَصْدُكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ.

فالإجلال والابتغاء مصدران قلبيان، وفاعل القيام والإجلال واحد، والوقت

واحد، ومتى فُقدَ شَرْطُ وجب جزؤه بحرف التعليل. ففاقد المصدرية قوله تعالى:

﴿وَالْأَرْضُ وَصَمَهَا لِلْأَنثَى﴾ ﴿١٠﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية 10]، و﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية 29].

أَيَّ خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِكُمْ. وفاقد القلبية: جئتكم لقراءة القرآن. وفاقد الظهور: جاوروك لما جئت له. وفاقد الاتحاد في الوقت قول الشاعر:

فجئت وقد نضت لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ
وفاقد الاتحاد في الفاعل، قوله:

وإني لتعروني لِيُذَكِّرَكِ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَّ الْمُضْفُورُ بِئِلْهِ الْقَطَرُ

لأنَّ الذَّكْرَى فعل المتكلم، وفاعل تعروني الهِزَّةُ، وإثما قلنا يُجَوِّ بِحَرْفِ التَّعْلِيلِ لِيَدْخُلَ اللَّامُ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهَا كَمَنْ، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ [الحَج: الآية 22]. وفي كقولهِ (ص): «دَخَلْتُ امْرَأَةَ النَّارِ فِي هِرَّةٍ». والباء، نحو: ﴿فَيُظَلِّمِينَ الَّذِينَ كَادُوا﴾ [النِّسَاء: الآية 160]. والكاف، نحو: ﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 198]. وعلى، نحو: ﴿وَلَتَكُنَّ بَدَأُ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 185]. وَلَا يَمْتَنِعُ جَرَّةُ بِهِذِهِ الْحُرُوفِ مَعَ تَوْفُرِ الشَّرْطِ، نحو: قَنَعَ لَزْمِهِ.

واعلم أن المفعول له على ثلاثة أقسام:

أَحَدُهَا: أن يكون مُجَرَّدًا مِنْ أَلْ وإِضَافَةٍ، نحو: قُمْتُ إِجْلَالًا لَكَ.

وَالثَّانِي: أن يكون مَقْرُونًا بِأَلْ، نحو: قُمْتُ إِجْلَالًا لَكَ.

الثَّالِث: أن يكون مُضَافًا، نحو: قَصَدْتُكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ. وقد اجتمع التجريد والإضافة في قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ آيَةً مِّنْ مَّا كَرِهَ اللَّهُ وَكَيْفِيَّتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 265]. ومن المَعْرُوفِ بِأَن قول الراجز:

لَا أَقْعِدُ الْجُبْنَ عَنِ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَّت زُمَرُ الْأَعْدَاءِ

أَي لَا أَقْعِدُ عَنِ الْحَرْبِ لِأَجْلِ الْجُبْنِ.

وقد اجتمعت الثلاثة في قول الْحَجَّاجِ:

يَرْكَبُ كُلُّ عَاقِرٍ جَمْهُورَ مَخَافَةٍ وَزَعْلٍ الْمُحْبِرِ

وَالْهَوَلُ مِنْ تَهَوَّلِ الْهَيُورِ. هـ والنَّاصِبُ لِلْمَفْعُولِ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلٍ وَشَيْءٍ، وَيَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ، إِذَا لَا مَنَاعَ، إِذَا كَانَ مُنْصَرَفًا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

■ الإِشَارَةُ:

المفعول من أَجْلِهِ هُوَ الْمُسَمَّى عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ بِعَالَمِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ عَالَمُ الْأَشْيَابِ وَالْعِلَلِ، بِخِلَافِ عَالَمِ الْقُدْرَةِ فَإِنَّهُ عَالَمُ الْإِبْرَازِ وَالْإِظْهَارِ، فَعَالَمُ الْقُدْرَةِ، هُوَ عَالَمُ الْأَمْرِ، وَعَالَمُ الْحِكْمَةِ هُوَ عَالَمُ الْخَلْقِ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الْأَعْرَاف: الآية 54]،

فالقُدرة تُبرِزُ والحِكْمة تُسْتَرُ، فَلَا تبرزُ القُدرةُ شيئًا إِلَّا مُرْتَدِيًا بِرداءِ الحِكْمةِ، إِلَّا فِي المعجزةِ للرسولِ والكرامةِ للولي. فَإِنَّ القُدرةَ تُبرِزُ بِلا تَغْطِيهِ، تصديقًا لذلكِ الشَّيْءِ أوِ الولي، فَعَالَمُ الدُّنْيَا القُدرةُ فِيهِ بَاطِنَةٌ، والحِكْمةُ فِيهِ ظَاهِرَةٌ، لِأَنَّهُ عَالَمُ التَّكْلِيفِ، لِيُظْهِرَ فِيهِ مَرِيَّةَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، بِخِلَافِ عَالَمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ القُدرةَ تَكُونُ فِيهِ ظَاهِرَةً والحِكْمةُ بَاطِنَةً، لِأَنَّهُ عَالَمُ التَّعْرِيفِ، قَدْ انْقَطَعَ فِيهِ التَّكْلِيفُ.

وَمَا أَنَا أَذْكَرُ لَكَ أَمْثَلَةَ تَفْهَمُ مِنْهَا القُدرةُ والحِكْمةُ:

فَمِثَالُ ذَلِكَ الْأَرْزَاقِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا بَارِزَةٌ مِنْ عَيْنِ الْبَيِّنَةِ بِمَخْضِ القُدرةِ، لَكِنَّا مَتَغَطِّيَةٌ بِالْحِكْمةِ وَهِيَ الْأَسْبَابُ وَالْعِلَلُ لِيَبْقَى سِرُّ القُدرةِ مَخْصُونًا وَكَتْمُهَا مَذْفُونًا. وَقَدْ تَظْهَرُ القُدرةُ فِيهِ بِلا حِكْمةٍ فَيَأْتِي مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ كَرَامَةً لِأَهْلِ التَّوَجُّهِ وَتَفْرِيقًا لَهُمْ لِيَقْبَلُوا عَلَيْهِ. وَكُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ تَقْوَاهُ ظَهَرَ لَهُ رِزْقُهُ بِلا سَبَبٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وَمِثَالُ القُدرةِ أَيْضًا مَعَ الحِكْمةِ جَرِيُّ السُّفْنِ عَلَى الْمَاءِ، فَهِيَ بِمَخْضِ القُدرةِ، لَكِنْ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَسْبَابٍ وَاضْطِلَاحٍ، إِذَا اخْتَلَّتْ وَقَعَ الْفَرْقُ. وَكَذَلِكَ الْغَرَسُ وَالرَّزْغُ وَكُلُّ مَا يُسْتَنْبَتُ، فَلَا بُدَّ مِنْ سَبَبٍ وَضَوْئِهِ لِيَجْنِيَ ثَمَرَتَهُ مَعَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الشَّامِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ الْأَسْبَابِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ لِيَقَى السُّرُّ مَخْصُونًا.

وَمِنْهَا تَذْكِيرُ الْأَشْجَارِ، وَقَدْ أَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُظْهِرَ القُدرةَ بِلا حِكْمةٍ فِي شَأْنِ التَّذْكِيرِ، فَسَقَطَتِ الشُّمَارُ. فَقَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِدُنْيَاكُمْ» الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ. وَكَذَلِكَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، لَا يَتَبَرَّزُ إِلَّا مَعَ الحِكْمةِ، فَإِذَا قَدَّرَ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ مَصِيبَةً مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَبْسٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ شِفَاءً أَوْ فَرَجٍ فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ الْوَقْتُ حَرَّكَهُ الْحَقُّ تَعَالَى لِسَبَبٍ ذَلِكَ، فَيَنْزِلُ بِهِ مَا قَدَّرَ لَهُ مُسْتَتَرًّا بِتِلْكَ الحِكْمةِ، فَالْجَاهِلُ يَقِفُ مَعَ الحِكْمةِ، وَالْعَارِفُ يَنْفِذُ إِلَى شُهُودِ القُدرةِ.

وَقَسُّ عَلَى هَذَا، فَالْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ الْبَاعِثُ هُوَ الْأَسْمُ الْمَنْصُوبُ لِتَغْطِيَةِ القُدرةِ الَّتِي يُذَكَّرُ بِهَا لِسَبَبِ وَقْعِ الْفِعْلِ السَّابِقِ فِي الْأَزَلِّ، وَمِنْهُ الْإِجْلَالُ وَالتَّعْظِيمُ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْفَتْحِ الْكَبِيرِ، وَالطَّلِبُ وَالِابْتِغَاءُ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْوَصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ

هذا هو الخامس من المفاعيل وعرفه ابن هشام بقوله: «اسم فضلة تالي الواو بمعنى مع تالية لجملة ذات فعل أو اسم فيه معناه وحروفه». فخرج بقوله اسم، نحو: لا تأكل السمكة وتشرب اللبن، وبيزرت والشمس طالعة.

وبقوله: فضلة نحو: اشترك زيد وعمرو.

وبقوله: تالي الواو، نحو: جئت مع عمرو.

وبقوله: بمعنى مع، نحو: جاء زيد وعمرو قبله أو بعده.

و بقوله تالية لجملة نحو: كل رجل و ضيعته، فكل مبتدأ و ضيعته عطوف عليه، والخبر محذوف أي مقرونان، فلم تتقدم على الواو جملة.

وبقوله: ذات فعل أو اسم فيه معنى الفعل وحروفه نحو: هذا لك و أياك، فلا يتكلم به لأن اسم الإشارة فيه معنى الفعل دون حروفه فلا يعمل فيه، خلافاً لأبي علي الفارسي، ولا يجوز جزمه لعدم إعادة الجار، ولا رفعه لفساد المعنى. فإن قلت: قد قالوا: ما أنت وزيداً، وكيف أنت وقصعة من ثريد، بالنصب، فالجواب أن مَنْ نَصَبَ قَدَّرَ الْعَامِلَ، أي ما تكون، وكيف تصنع، فالعامل في المفعول معه تكون وتصنع المقدرة، ولما حذف الفعل انفصل الضمير، وأكثرهم يرفعون ذلك بالعطف.

وعرفه المصنف بقوله:

هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ لِيَكُنْ مِنْ قَوْلٍ مَعَهُ الْقَوْلُ.

يعني أن المفعول معه هو الاسم المنصوب، وناسبه ما سبق عليه من الفعل وشبهه، لا الواو، خلافاً للجرجاني⁽¹⁾ لأنه لو كان الواو ناسبه لصح اتصال ضميره به، كما يتصل بإن وأخواتها، وحروف الجر. وقيل: منصوب بإسقاط الجر. وقيل: انتصب انتصاب المصدر الملاقى، وحكمته أنه يبين الشيء الذي وقع الفعل معه.

(1) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أبو بكر: واضح أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان بين طبرستان وخراسان. توفي سنة 471. له شعر وقي. من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمال في النحو، وشرح الإيضاح، وإعجاز القرآن.

نَحْوُ: جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ.

فإذا قلت: جاء الأمير لا يُدرى هل جاء وحده أو معه غيره، فإذا قلت: والجيش، فقد بينت مَنْ فعل معه الفعل. وكذلك: واستَوَى الماء والخَشَبَةُ أي استوى مع الخشبة، وأتى بمثالين أحدهما يصح فيه العطف وهو الأول، والآخر لا يصح فيه العطف وهو الثاني؛ لأن الاستواء إنما يُتَصَوَّر من الماء وأما الخشبة فلا فعل لها. قال الفاكهي: الماء اسم جنس إفرادي. ونقل ابن وثاد أنه اسم جنس جمعي، بينه وبين مفردة سقوط التاء، تقول: مائة وماء. نقله القُلَشَانِي⁽¹⁾ في شرح ابن الحاجب.

■ تنبيه:

للاسم بعد الواو خمس حالات:

وجوب العطف، نحو: اشترك زيد وعمرو.

ورجحانه، نحو: جاء زيد وعمرو، لأنه الأصل وقد أمكن بلا ضعف.

وجوب المفعول معه لعدم صحة العطف، إما من جهة الصَّنَاعَةِ، نحو: وَمَا لَكَ وزيدًا، وإما من جهة المعنى، نحو: مات زيد وطلوع الشمس، وبرزت والنيل.

ورجحانه، نحو: قمت وزيدًا، فالنصب أزجح لعدم الفاصل، وقول الشاعر:

فكونوا أنتم ويني أبيكم مكان الكلّيتين من الطيحال

إذ المعنى: فكونوا من بني أبيكم.

والخامس: امتناعهما معًا لقول القائل:

علفتها تبنًا وماء باردًا حتى شئت همالة عَيْنَاهَا

وقول الآخر:

إذا ما الفانيات برزن يومًا وزَجَجْنَ الحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

أما امتناع العطف فلا انتفاء المشاركة وأما امتناع المفعول معه فلا امتناع المَعِيَّة في الأول وامتناع الإعلام بها في الثاني. ويجب في ذلك إضمار فعل ناصب للاسم على أنه مفعول به، أي وسقيتها ماءً، وكحلن العيون. وقد يُؤوَّل الفعل المذكور بعامل يصح انصبابه عليهما معًا. فيؤوَّل علقتها بناولتها، وزججن بحسن. وقد يجب تقدير العامل في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: الآية 71] فيمن قطع الهمزة، لأن أجمع لا يعمل إلا في المعنى كالأمر ونحوه، والتقدير: فأجمعوا أمركم

(1) أحمد بن محمد بن عبد الله القُلَشَانِي: كان قاضيًا بتونس. له شرح على رسالة القيرواني، وعلى ابن الحاجب. توفي سنة 863.

واجتمعوا شركاءكم، بفتح الميم. والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

المفعول معه هو الذي تفعل الأشياء كلها معه وبحضوره، وهو الله، القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل شيء، والحاضر مع كل شيء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4]. وقال (ص): «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ». فالمعية عند أهل الفرق، بالعلم والإحاطة، وعند أهل الجمع، بالذات والصفات، لأن الصفة لا تفارق الموصوف. فالعلم لا يفارق العالم. وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَمٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ سَهْمُهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: الآية 7].

قال العارف بالله الورتجي - رضي الله عنه -: «المعية بالعلم عموم وبالقرب خصوص، والقرب بالعلم عموم ويظهر التجلي خصوص، وذلك دُنُوٌّ ﴿وَقَدْ قَدَّكَ﴾ ① تَكَنَّ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ②» [النجم: الآيتان 8، 9] فإذا ارتفع الأين والبين، والمكان والجهات، واتصل أنوار كشوف الذات والصفات بالعارف فذلك حقيقة المعية، إذ هو سبحانه وتعالى مُنَزَّهٌ عن الانفصال والاتصال بالحدث. ولو ترى أهل النجوى الذين مجالستهم لله وفي الله ل ترى من وجوههم أنوار المعية، أين أنت من علم الظاهر الذي يدل على الرسوم؟ ألم تعلم أن علمه تعالى أزلي؟ وبالعلم يتجلى للمعلومات، فالصفات شاملة على الأفعال، ظاهرة من مشاهد المعلومات، فإذا كانت الذات لا تخلو من قرب الصفات، كيف تخلو عن قرب الذات الأرواح العالية المقدسة العاشقة المستغرقة في بحر وجوده. ③ انتهى المراد منه.

وحاصل كلامه أن المعية بالعلم تستلزم المعية بالذات، لأن الصفة لا تفارق الموصوف. وهذا السر لا يفهمه إلا أهل الفناء في الذات، بصحبة مشايخ التربية، ولأفشان من لم يبلغ أذواقهم التسليم: إن لم تر الهلال فسلم لأناس راوه بالأبصار وبالله التوفيق.

ثم قال الشيخ رحمه الله:

وَأَمَّا خَيْرٌ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا وَاسْمٌ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا، فَقَدْ تَقَدَّمَ وَتَكْرُمًا فِي الْمَرْثُوعَاتِ، قلت: وكذلك مفعولا ظن وأخواتها، ثم قال: وَكَذَلِكَ التَّوَابِعُ، فَقَدْ تَقَدَّمَ هُنَاكَ، فلا فائدة في إعادتها لأن من المعادة، مُعَادَةُ الْمُعَادَةِ.

ثم ذكر المنخفضات من الأسماء فقال:

بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ

أي الأسماء المخفوضات، فهي من إضافة الصفة إلى موصوفها. ثم بيّنها فقال:
الْمَخْفُوضَاتُ ثَلَاثَةٌ: مَخْفُوضٌ بِالْحَرْفِ، وَمَخْفُوضٌ بِالْإِضَافَةِ. والصحيح أن
الخافض للمضاف إليه المضاف الأول فالخافض لفظي فيهما. ثم قال:

وَتَابِعٌ لِلْمَخْفُوضِ

أي مخفوض بالتبعية. وزاد بعضهم: المخفوض بالجوار، نحو: هنا جُحْرٌ ضَبٌّ
خَرِبَ. وتقدم قول امرئ القيس في بجاد مزمل، وزاد بعضهم: المخفوض بالتوقم،
كما تقدم في قول الشاعر:

ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

والصحيح، حصر المخفوض في اثنين: مخفوض بالحرف وبالإضافة. فأما
التابع فالصحيح أنه مجرور بما جر به المتبوع إلا البدل فإنه على نية تكرار العامل و
أما المخفوض بالمجاورة و بالتروم فالصحيح أنهما يرجعان إلى الجر بالمضاف
وبالحرف. قاله ابن هشام. وبعضهم حصر المخفوض في المضاف إليه فقط؛ وهو كل
اسم نُسِبَ إليه شيء بواسطة حرف الجر، لفظًا أو تقديرًا. والله تعالى أعلم.

■ الإِشَارَةُ:

المخفوضات عن مراتب الرجال ثلاثة:

مخفوض بسبب الحرف فهو مَنْ يعبد الله على حرف، أي طمع في عَوْضٍ
دنيوي أو أخروي وهو كالعبد السوء، إن أُعْطِيَ عمل، وإلا لم يعمل. فإن أصابه خير
وهو العَرْض الذي طمع فيه، اطمأن به وسكن إليه. وإن أصابته فتنة وهو فقدان ذلك
العَرْض، انقلب على وجهه، ورجع عن عبودية سيده، خسر الدنيا والآخرة. أما الدنيا
فلفقدان حفظه منها، وأما الآخرة، فلعدم التزوّد لها، و﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْبَاسُ﴾
[الحج: الآية 11].

ومخفوض بالإضافة إلى الأراذل وصحبتهم، وتقدم قول الشاعر:
وَلَيْسَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ سَاقِطٍ فَتَنَحَّطَ قَدْرًا مِنْ عُلَاكَ وَتُحَقِّرَا

وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: «لا تجالسوا الموتى، فتموت قلوبكم» قيل: ومن الموتى يا روح الله؟ قال: الراغبون في الدنيا، المُجِبُّونَ لها، أو كما قال عليه السلام. وفي حديث نبينا (ص): «المرء على دين خليله»، وقال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسِرَ معهم»، و«المرء مع مَنْ أَحَبَّ» ولا تُعرَفُ مراتبُ الرجال إلا بأصحابها أعني مشايخها.

ومخفوض بالتَّبعية لنفسه وهواه، فَمَنْ تَبَعَ هَواهُ أَهْوَى بِهِ إِلَى الْهَوَانِ كما قال الشاعر:

لا تتبع النفس في هواها إن اتبع الهوى هوان
وقال آخر:

نون الهوان من الهوى مسروقة وأسير كل هوى أسير هوان
ولابن دريد رحمه الله:

إذا طلبتك النفس يوماً بشهوة وكان إليها للخلاف طريق
قدَّعها وخالف ما هويت فلأنما هَواكَ عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقُ

فالعز كلّه في مخالفة الهوى والذل كلّه في اتّباعه، ويكفيك قوله: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» [الجنّية: الآية 23].

ثم بيّن المصنّف ما يخفّض بالحرف فقال:

فَأَمَّا الْمَخْفُوضُ بِالْحَرْفِ فَهُوَ مَا يُخَفِّضُ بِمَنْ، وَإِلَى، وَعَنْ، وَعَلَى، وَفِي، وَرُبَّ، [وَالْبَاءِ]، وَالْكَافِ، وَاللَّامِ. وَيَحْرُوفُ الْقَسَمِ، وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْبَاءُ، وَالنَّاءُ.

قلت: قد تقدّم الكلام عليها عبارة وإشارة. وزاد هنا

وَيَوَاوِ رُبِّ نحو قول امرئ القيس⁽¹⁾:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

وظاهر قوله أن واو رُبِّ هي الخافضة بنفسها، وهو مذهب الكوفيين. ومذهب البصريين أن التخفيض بِرُبِّ محذوفة بعد الواو، كما تُحذف بعد الفاء، كقوله:

(1) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي: أشهر شعراء العرب. يمانى الأصل، مولده بنجد أو باليمن نحو 130 قبل الهجرة ومات بأنقرة سنة 80 ق هـ. كان أبوه ملك أسد وغطفان. قال الشعر وهو غلام. يعرف بالملك الضليل لاضطراب أمره طول حياته وفي القروح لما أصابه في مرض موته وكتب الأدب مشحونة بأخباره.

فَمَثَلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضَعًا فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَجْدَلٍ
فَجَزَ بِرُبِّ الْمَحْذُوفَةِ بَعْدَ الْفَاءِ، وَمَعْنَى طَرَقَتْ: أَتَيْتَهَا لَيْلًا، وَالْهَيْتُهَا: شَغَلْتُهَا،
وَالْتَمَائِمُ: الْمَعَاوِذُ أَيِ الْحُرُوزُ الَّتِي تَعْلَقُ عَلَى الصَّبِيِّ وَقَايَةً مِنَ الْعَيْنِ وَالسَّحَرِ،
وَمَجْدَلٌ مِنْ أَحْوَالِ الصَّبِيِّ فَهُوَ مَجْدَلٌ إِذَا تَمَّ لَهُ حَوْلُ أَيِّ سَنَةٍ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْحُبْلَى
وَالْمَرْضِعَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمَا أَزْهَدُ النِّسَاءِ فِي الرِّجَالِ وَأَقْلَهُنَّ شَغْفًا بِهِمْ. وَكَذَلِكَ وَبَعْدَ بَل
مِثَالُهُ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَلْ بَلَدٌ مِلَّةُ الْفَجَاجِ قَتَمَهُ لَا يُشْتَرِي كُتَّانَهُ وَجْهَرُفَ

وَقَدْ تُحَدِّثُ مِنْ غَيْرِ تَقَدَّمَ شَيْءٌ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَسَمَ دَارٍ وَفَسَتْ فِي طَلَلِهِ كِدَتْ أَقْضَى الْحَيَاةِ مِنْ جَلَلِهِ

فَرَسَمَ مَجْرُورَ بِرُبِّ مَحْذُوفَةٍ، أَيِ رُبِّ رَسْمٍ دَارٍ.

وَرَسَمٌ وَمُنْدٌ. وَهُمَا بِمَعْنَى مَنْ إِنْ جَرَا زَمَانًا مَاضِيًا، نَحْوُ: مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ، أَيِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبِمَعْنَى فِي إِنْ جَرَا حَاضِرًا إِذَا كَانَ الْمَجْرُورُ بِهِمَا
حَاضِرًا، نَحْوُ: مَا رَأَيْتَهُ مِنْذُ يَوْمِنَا، أَيِ فِي يَوْمِنَا. وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ مُنْذُ وَمِنْذُ اسْمَانِ، إِذَا
وَقَعَ بَعْدَهُمَا اسْمٌ أَوْ فِعْلٌ مَاضٍ. قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ:

وَمُنْذُ وَمِنْذُ اسْمَانِ حَيْثُ رَفَعَا أَوْ أَوْلِيَا الْفِعْلِ كَجِئْتَ مُدْعَا

وَأَمَّا مَا يُخَفِّضُ بِالْإِضَافَةِ، فَتَحْوُ قَوْلُكَ: هَلَامُ زَيْدٍ.

قُلْتُ: الْإِضَافَةُ فِي اللَّغَةِ هِيَ الْإِلْصَاقُ. تَقُولُ: أَضَفْتُ ظَهْرِي إِلَى الْحَائِطِ أَيِ
أَلصَقْتُهُ بِهِ. قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

فَلَمَّا دَخَلْنَا أَضَفْنَا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَرِيٍّ جَدِيدٍ مُسْتَطَبٍ

يُرِيدُ: لَمَّا دَخَلْنَا هَذَا الْبَيْتَ اسْتَدْنَا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَرِيٍّ، مَنْسُوبٍ إِلَى الْحَيَرَةِ،
مَخْطُوطٍ فِيهِ طَرَائِفُ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: نِسْبَةُ تَقْيِيدِيَّةٌ بَيْنَ اسْمَيْنِ، تَوْجِبُ جَرَ الثَّانِي مِنْهُمَا أَبَدًا.

وَهُوَ هَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يُقَدَّرُ بِاللَّامِ أَيِ الْاسْتِحْقَاقِيَّةِ، وَمَا يُقَدَّرُ بِمَنْ. أَيِ
الْجِنْسِيَّةِ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ مَا يُتَقَدَّرُ بِفِي الظَّرْفِيَّةِ، وَضَابِطُ الَّذِي يُتَقَدَّرُ بِاللَّامِ إِلَّا يَكُونُ
الْمُضَافُ بَعْضُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَا يَصْلُحُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ أَنْ يُخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمُضَافِ. وَضَابِطُ
الَّذِي يُتَقَدَّرُ بِمَنْ، أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَصَالِحًا لِلْإِخْبَارِيَّةِ عَنْهُ، نَحْوُ:
ثُوبٌ خَزٌّ، وَدِرَاهِمٌ فَضَّةٌ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُضَافَ الْأَوَّلَ بَعْضُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَيَصْلُحُ

المضاف إليه أن يخبر به عن المضاف، فتقول: ثوب خز، ودراهم فضة، ألا ترى أن المضاف الأول بعض المضاف إليه ويصلح المضاف إليه أن يخبر به عن المضاف فتقول الثوب خز و الدراهم فضة بخلاف نحو: غلام زيد ونحوه مما يقدر باللام. وضابط ما يتقدر يعني أن يكون المضاف إليه ظرفاً للمضاف الأول، نحو: ﴿بَلْ مَكْرُ الْبَيْلِ﴾ [سَبَأ: الآية 33]، ﴿فَيَسَامُ ثَلَاثُ أَهْلٍ﴾ [البقرة: الآية 196] و ﴿رَبُّنَا أَرْبَعُ أَهْلٍ﴾ [البقرة: الآية 226]، و ﴿أَلَدُ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: الآية 204] فالخصام ظرف مجازي لا لد، و ﴿يَصْنَعِي السَّيِّحِ﴾ [يُوسُف: الآية 39]، و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: الآية 4]، وما سارق الليلة أهل الدار، وفي الحديث في شأن مالك رضي الله عنه: «فلا يوجد عالم أعلم من عالم المدينة»، ونحو ذلك. والحق أنه قليل ثم مثل المصنف للأميرين فقال: فَأَلَدِي يُقَدَّرُ بِاللَّامِ، نَحْوُ: غُلَامُ زَيْدٍ وعبد الله وشبهه. وَالَّذِي يُقَدَّرُ بِمَنْ، نَحْوُ: ثُوبُ خَزٍّ، وَبَابُ سَاجٍ، وَخَاتَمٌ حَلِيدٍ.

وتقدم ضابطه، وسكت عن الثالث، لأنه قليل بالنسبة للأولين، وفي الخاتم لغات فتح التاء وكسرهما، وخَيْتَامٌ كَيْطَارٌ، وخَاتَامٌ كَسَابَاطٌ.

■ فائدة لغوية:

لم يأتِ فاعِلٌ يفتح العين في الصفات قط وأتى في الأسماء في الفاظ محصورة، كَالخَاتَمِ، والقَالِبِ، والطَّابِعِ، والتَّابِلِ وهو الإبزار، والكَاغِد وهو الورق يفتح الغين وبالدال المهملة، وكَتَبْتُ العَامَّةُ له بِالْعَلَاءِ لحن، وقد نظم ابن مالك رحمه الله ما أتى على فاعل من الأسماء فقال:

واخصص إذا أطلقت وزن فاعل	ببَادِقٍ وَخَاتَمٍ وَتَابِلٍ
وَدَائِقٍ وَرَاصِقٍ وَرَامِكٍ	وَزَابِحٍ وَزَامِجٍ وَزَاجِلٍ
وَسَامِجٍ وَشَامِجٍ وَشَالِجٍ	وَطَابِعٍ وَطَابِقٍ وَخَاطِلٍ
وَقَالِقٍ وَهَالِمٍ وَقَارِبٍ	وَطَالِبٍ وَكَاغِدٍ وَقَابِلٍ
وكَامِجٍ وَهَارِنٍ وَيَارِجٍ	وَيَارِقٍ وبعضها بِفَاعِلٍ

(1) أحمد بن عبد العزيز الهلالي، نزيل مدغرة سجلماسة ودقينها. كان إماماً في تحصيل العلوم وتحققها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب، قرأ مسجلماسة وفاس وألف كتباً عديدة منها: شرح خطبة القاموس، وشرح منظومة القادري في المنطق، وإنشاء الأدموس ورياضة الشمس من اصطلاح صاحب القاموس. توفي سنة 1175.

وبقي عليه مآلقة مدينة بالأندلس فإنها يفتح اللام، ذكر هذه الفائدة شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي^(١) رحمه الله في كتابه: شمس الأدموس، في اصطلاح القاموس، وبالله التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وحيب رب العالمين.

هذا آخر ما قصدناه من الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية. نسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه أو طالع أو حصلة أو سعى في شيء منه. وأن يكسره جلاب القبول، وأن يبلغنا به القصد والمأمول إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ووافق الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس بإزاء جبل النجاة الثامن من شعبان سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، عرفنا الله خيرها ووقانا شرها، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

فهرس المحتويات

7 متن الأجرومية
15 الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية
15 مقدمة المؤلف
45 باب الإعراب
51 باب معرفة علامات الإعراب
83 باب الأفعال
107 باب مرفوعات الأسماء
110 باب الفاعل
116 باب المفعول الذي لم يسم فاعله
123 باب المبتدأ والخبر
133 باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر
145 باب النعت
156 باب العطف
164 باب التوكيد
168 باب البدل

173	بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ
174	بَابُ الْمَفْعُولِ بِهِ
178	بَابُ الْمُضَلَّرِ
181	بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ
187	بَابُ الْحَالِ
193	بَابُ التَّصْيِيرِ
198	بَابُ الِاسْتِثْنَاءِ
201	بَابُ لَا
205	بَابُ الْمُتَادَى
210	بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ
213	بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ
216	بَابُ مَخْفُوضَاتِ الْأَسْمَاءِ
221	فهرس المحتويات

